شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد الرابع والخمسون، السنة الخامسة، ذو القعدة ١٤٣٥ - أيلول ٢٠١٤

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه
المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار
- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان:١،٥ ريال
تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — الآيات الشّيطانيّة، والأفلام المسيئة، والدّواعش ..... الشيخ حسين كوراني — 6

تحقيق — مدينة الكاظميّة ..... المؤرّخ السّيّد حسن الأمين — 8

مراقبات — أعمال شهر ذي القعدة ..... إعداد: "شعائر" — 13

أحسن الحديث — سورة "النّجم" ..... إعداد: سليمان بيضون — 16

العلم بحقيقة الأسماء ..... العلّامة الطّباطبائيّ ﵀ — 18

أيام الله — مناسبات شهر ذي القعدة ..... إعداد: صافي رزق — 21

وقال الرسول — كلامُكَ من عملِك ..... إعداد: محمّد ناصر — 24

حدود الله — سجدة التّلاوة، وقضاء الصّلاة ..... إعداد: "شعائر" — 25

يزكّيهم — كمالُ الإنسان بالتّقوى ..... شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت ﵀ — 26

الملف — الإمام عليّ بن موسى الرّضا، ثامن الأئمّة الأسباط والنّقباء ..... — 27

استهلال ..... من الصّلوات المرويّة عن الإمام العسكريّ ﵇ — 28

النّصّ على إمامة الإمام الرّضا ﵇ ..... الشّيخ المفيد ﵀ — 29

دولةُ بني العبّاس في صحيفة "ابن الحنفيّة" ..... السّيّد جعفر مرتضى — 32

وثائق مهمّة عن "ولاية العهد" ..... الشّيخ باقر شريف القَرشي — 36

لولا دعاؤكم — دعاءُ الأسماء المَرويّ عن رسولِ الله ﷺ ..... رواية السّيّد ابن طاوس ﵀ — 43

صاحب الأمر — فضلُ الإمام المعصوم، وصفاتُه ..... رواية الشّيخ الكلينيّ ﵀ — 44

تحقيق

مدينةُ الكاظميّة
تاجُ الزَّوْرَاء، ومَثوى الجوادَين ﵇

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	خصالٌ ست للصّلاة الكاملة	السّيّد حبيب الله الخوئيّ ﵀	46
يذكرون	علاج الوسوسة: الذّكر والفكر	الشّيخ حسين بن عبد الصّمد العامليّ	47
حوارات	إجابات العلّامة الحلّيّ عن أسئلة عقائديّة وفقهيّة ...	إعداد: "شعائر"	48
فكر ونظر	المنازلُ السّبعة للسّالكين إلى الله تعالى	المحقّق الشّيخ المصطفوي	52
	عِلمُ المعصوم أسْمَى أنواع العلوم	الفقيه السّيّد حيدر الآمليّ ﵀	54
أعلام	آية الله الشّيخ جعفر كاشف الغطاء	إعداد: "شعائر"	57
كلمة سواء	كلمة السِّرّ لإنجاح الوحدة الإسلاميّة	سامح مظهر	61
وصايا	من شرح وصيّة العلاّمة الحلّي لولده	الفاضل الهندي	62
مرابطة	غزّة تحت النّار	مصطفى يوسف	64
وثائق	من مخطوطة "الإصابة في تمييز الصّحابة"	عبدالخالق الجنبي	66
دوائر ثقافية			67
موقف	أحوالُ الإمام. اختبارٌ للخَلق	الشّيخ محمد حسين المظفّر	68
فرائد	السّهروردي الفيلسوف	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	(عيون أخبار الرّضا) للشّيخ الصّدوق	قراءة: محمود إبراهيم	70
بصائر	من قصص التشرّف بلقاء الإمام المهدي ﷺ	المحدّث النّوري ﵀	72
مصطلحات	التّقيّة	ثامر العميدي	73
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	74
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	لا تتباهَ بقربِكَ من الله	الإمام الخميني ﵀	82

بسملة

الآيات الشّيطانيّة، والأفلام المسيئة، والدّواعش

■ الشيخ حسين كوراني

﴿.. أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ..﴾
(الصّف: ٩).

ذاتَ فجرٍ يكسر رتابة المشهد السّياسيّ العالميّ، تنفّس الصّبح في «طهران». مستقبل البشريّة واعد. اللّافت أنّ إرهاصات هذه البشارة العالميّة تنبعث من «فرنسا». من قرية «نوفل لو شاتو» هناك حطّ رحاله القائد الثّمانينيّ. الإمام الخمينيّ. دارت رحى الثّورة الخمينيّة الزّلزال. ﴿..جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ..﴾. رفرفت راية فلسطين فوق «سفارة فلسطين». ما تزال الأولى والأخيرة بانتظار نتائج «ما بعد ما بعد حيفا، وما بعد ملاحم غزّة هاشم».

لا مكان في المدرسة الخمينيّة للاستعراض. ليست إيران إلّا البداية والمنطلَق. سعادة الشّعب الإيرانيّ والبشريّة رهن استئصال الغدّة السّرطانيّة وكلّ الورم الصّهيونيّ الخبيث.

سرعان ما زمجر الهدير الخمينيّ: «**يوم القدس يوم الفصل بين الحقّ والباطل**». «**أدعو جميع مسلمي العالم إلى اعتبار آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، التي هي من أيّام القدر، ويُمكن أن تكون حاسمة في تعيين مصير الشّعب الفلسطينيّ، يوماً للقدس، وأن يُعلنوا من خلال مراسم الاتّحاد العالميّ للمسلمين دفاعَهم عن الحقوق القانونيّة للشّعب الفلسطينيّ المُسلم**».

تحرير فلسطين تحرير العالم من شرّ الصّهيونيّة وشيطانها الأكبر. إسقاط النّظام الشّاهنشاهيّ المتصَهين، ليس إلّا المدخل.

***

على مدار ما يزيد على ثلاثة عقود منذ إعلان «سفارة فلسطين الأولى والأخيرة حتى الآن» أنجزت إيران –وما تزال– كلّ الوعود الخمينيّة للشّعب الفلسطينيّ. حفظ القائد التّاريخيّ الملهم – الإمام الخامنئيّ –الوصيّة. جنوده في «**غزّة هاشم**» يحاصرون من حاصرَهم ﴿..مِن وَرَائِهِم جُدُرٍ..﴾ فطعن الأمّة والبشريّة كلّها في الصّميم. الصّهيونيّة الآن في مأزق وجوديّ. مع بدء الفِرار تسارُع الانهيار.

لم تكن هذه النّتيجة «المعجزة» متاحة لولا «**الحرب الكونيّة المفروضة**». «**رُبَّ ضارّةٍ نافعة**».

قال الخمينيّ حينها: «**الخيرُ في ما وقع**». لم نعرف أنّه ينظر بنور الله إلى «**أمّ الاختراع**» من «**الملفّ النّوويّ**» و«**الصّناعات العسكريّة**» وغيرها. حتّمت الحاجة الإبداع. انتقلت خبراته لاحقاً إلى حيث يلزم، فكانت «**حرب تمّوز**» وكانت جولات «**غزّة هاشم**»، وصولاً إلى المنازلة الفصل التي تدور رحاها الآن.

بدأ مسار يوم القدس – الخمينيّ – الخامنئيّ يحفر قبر الصّهيونيّة العالميّة قبل رحيل الإمام «**بنفسٍ هادئة وقلب مطمئنّ**». ثبّت الخامنئيّ قواعد «**إزالة إسرائيل من الوجود**». وضعت «**حرب تمّوز**» الكيان الصّهيونيّ على شفير القبر. ما زال يترنّح. ضيّقت عليه «**غزّة**» الخناق. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٨.

***

تلازم المسار الإستراتيجيّ العالميّ ليوم القدس وفصل خطابه الخمينيّ – الخامنئيّ مع ردّات فعلٍ عالميّة. تتوالى فصولها. لم تنقطع يوماً.

منذ الأيّام الأولى لنَهضتِه، كان الإمام الخمينيّ واضحاً في استهداف «الصّهيونيّة» و«إسرائيلها» بالخصوص.

مبكّراً، أدرك «**الاستكبار العالميّ**» أنّ ما يجري في إيران مفتاح تحوّلٍ كونيّ عنوانه: **عالميّة الإسلام**.

أدرك **دهاقنة الصّهيونيّة العالميّة** أنّ زوال كيانهم النّشاز رهن البدء بإدارة هذا المفتاح. برز كفرهم كلّه - عبر الفرعون صدّام - للقضاء على مصدر هذه الصّحوة الإنسانيّة الهادرة. بعد فشلهم العسكريّ. تواصلت حروبهم الثّقافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة. في كلٍّ منها كان «**الخيرُ في مَا وَقَعَ**». «**في التّجارب علْمٌ مُسْتَأْنَف**». ترسّخت جذور الثّورة، واشتدّ زندها والسّاعد. تمضي - الثّورة - بالأمّة في طريق «ذات الشّوكة» قُدُماً - مرْقالةً - من نصرٍ إلى فتح. سرّ التّسديد والظّفر والفتوح في البعد العمليّ - السّياسيّ، أنّ مؤشّر البوصلة استقرّ على قضيّة الإسلام والإنسانيّة الأولى «**فلسطين**».

***

بنظرة استراتيجيّة إلى تخطيط الاستكبار في مواجهة الظّاهرة الخمينيّة واستمرارها الخامنئيّ بكلّ جدارةٍ وفرادةِ ريادة، يتبدّى هدفان متداخلان: الدّفاع عن «إسرائيل» ومنع انتشار الإسلام وتعمّق عالميّته بإقبال شعوب الأرض عليه. الهدفان متماهيان. يشكّل انهيار «**ثكنة الغرب**» في قلب الشّرق سقوط المشروع الغربيّ في استعباد الشّرق والغرب. تستبدّ اللّهفة آنذاك بشعوب الأرض إلى نور الإسلام. تعاظَم تداخل الهدفين والتّماهي بتعاظم عمليّات المقاومة الإسلاميّة في لبنان ضدّ الاحتلال الصّهيونيّ. هكذا - لا غير - يمكننا فهم مسارعة «الاستكبار» إلى الغارات الثّقافيّة التي استهدفت رسول الله صلّى الله عليه وآله، بدءاً بالآيات الشّيطانيّة، مروراً بالرّسوم والأفلام المُسيئة، ومحاولات إحراق القرآن الكريم، والجهود الهائلة في عوالم «التّربية!» والقصّة والمسرح والإعلام والإعلان وغيرها.

***

باءت كلّ تشويهات الاستكبار بالفشل الذّريع. محور المقاومة أو إيران - لا فرق - يواصل الزّحف المظفّر. يُرسي قواعد شرقٍ وغربٍ جديدَين.

فكّرَ الاستكبارُ وقدَّر ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ المدّثر:١٩-٢٣.

قال أبو لهب والمخابرات البريطانيّة للشّيطان الأكبر: تجربتُنا بالأمس هي الحلّ. تمّ استنساخها فكان الوهّابيّون الجُدُد دواعشُ أميركا و«إسرائيل» ويهود العرب.

لحُسن حظّ الإنسانيّة، فاتَهم أنّ الأمّة اليوم تُوقِن بأنّ الوهّابيّين ليسوا من أهل السُّنّة والجماعة. الشّيخ البوطيّ حيٌّ عند ربّه يُرزق.

***

القاسم المشترَك بين كلّ هذه المخطّطات، ضربُ تعلّق المسلمين برسول الله ﷺ. إطفاء نور الله المتوقّد من هذه العلاقة الإلهيّة. الحيلولة دون عالميّة التّوحيد.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصّف:٧-٩.

لن تُخدَع الأمّة بأنّ المشركين يتظاهرون بحرب الدّواعش. إنّهم مؤسِّسون وممولون. ثمّة اختلاف مصالح لكنّه -فقط- قبل نهايات الطّريق. لن يكتمل. غايةُ استشرائه «**حَمْلُ امرأة**».

وعلى الله قصدُ السّبيل.

مدينةُ الكاظميّة
تاجُ الزَّوْرَاء، ومَثوى الجوادَين عليهما السلام

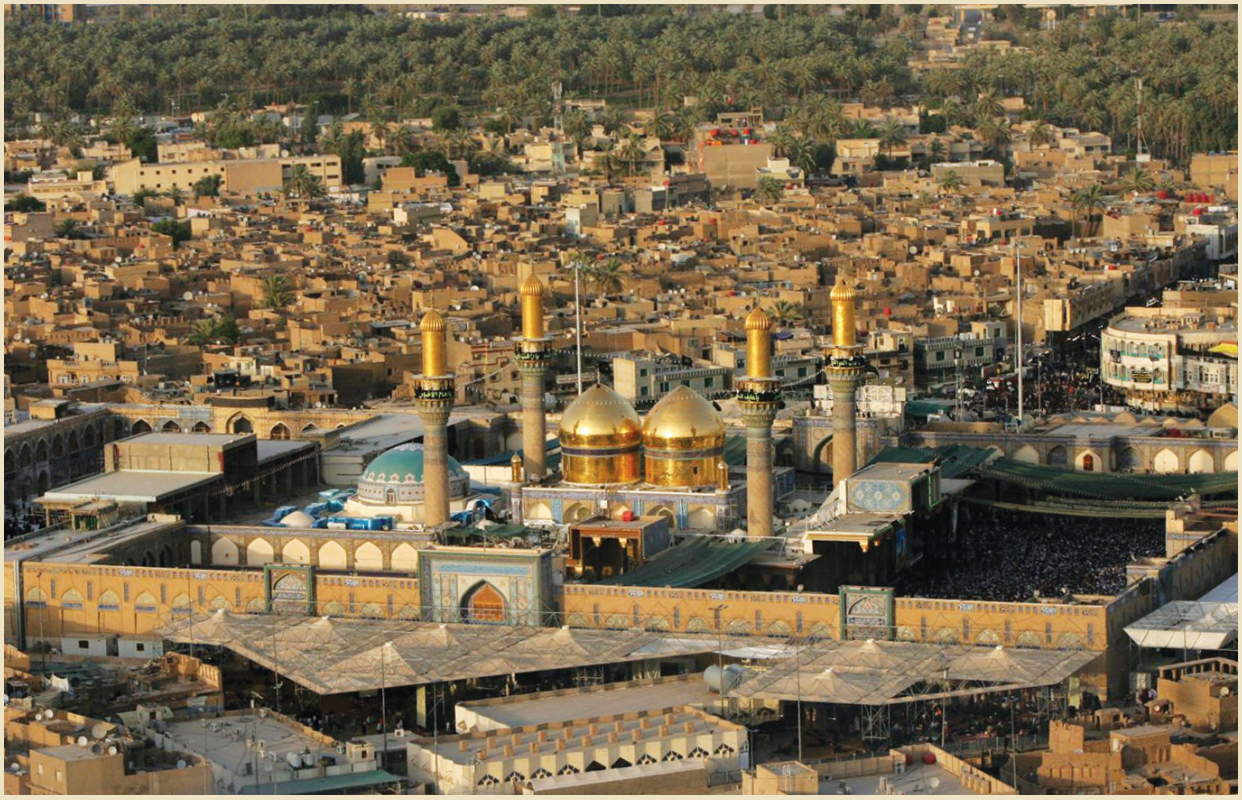

مقام الإمامين الكاظمَين عليهما السلام وسط مدينة الكاظمية

المؤرّخ السّيد حسن الأمين

حَظِيتْ «مقابر قريش» في الجانب الغربيّ من مدينة بغداد بشرفٍ خاصّ وجلالٍ منفرد بعد أن دُفن فيها الإمام الشّهيد موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ثمّ حفيدُه الإمام الشّهيد محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام، الأمر الذي أدّى إلى انطلاق حركة عمرانيّة في جوار المرقدَين الشّريفَين، بدءاً من أواخر القرن الهجريّ الثّاني، نهض بها الموالون للأئمّة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، استمرّت طوال القرون التّالية، ولمّا تزل، فاستقامت البقعةُ مدينةً عامرةً عُرفت بنسبتها إلى الإمام الكاظم عليه السلام، فسُميّت: «المشهد الكاظميّ»، و«بلدة الكاظم عليه السلام»، و«الكاظميّة»، و«بلدة الكاظمَين» أو «بلدة الجوادَين» عليهما السلام.

وتُعدّ الكاظميّة اليوم من المراكز الكبيرة التي يقصدها الزّوّار من كلّ مكان، وإليها تنتسب الكثير من البيوتات العَلَويّة والأُسَر العلميّة والأدبيّة التي أدّت دوراً فعّالاً في صناعة تاريخ العراق.

هذا التّحقيق، يُعرّف بأبرز المحطّات في تاريخ المدينة المقدّسة، اختصرناه من المجلّد التّاسع من (دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة) للمؤرّخ السّيد حسن الأمين رحمه الله.

إنّ أوّل ما نعلمه عن منطقة الأرض التي تَجثِم «الكاظميّة» اليوم في طرفها الشّرقيّ أنّها كانت جزءاً قريباً من الحدود الفاصلة بين دولة الآشوريّين من شمالها والكيشيّين من الجنوب، في العصور البابليّة الأولى، أي قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً، ويُروى أنّ منازعاتٍ وحروباً قد وقعت فيها أو قريباً منها بين الدّولتَين.

ويتّضح من دراسة الأنهار والقرى والمدن المحيطة بدجلة، أنّ المنطقة التي شُيِّدت لاحقاً مدينة بغداد عليها كانت عامرةً بريّها ومزارعها منذ أقدم العصور. وأرض الكاظميّة الحاليّة كانت جزءاً من هذه المنطقة العامرة الخضراء بلا شكّ، وإن لم نكن نعرف شيئاً من تفصيل ذلك.

منظر جوي لمدينة الكاظمية ويبدو المقام المقدّس وسط الصورة

وآخر عهدنا بأرض الكاظميّة قبل تأسيس بغداد أنّها كانت تُسمّى «الشُّونيزيّ»، فإنْ صدقت الرّواية فمقتضاها أنّ هذه التّسمية قد أُطلِقت بعد انتهاء العهد السّاساني، لأنّ التّسمية عربيّة.

يقول الخطيب البغداديّ حول هذه التّسمية: «مقابر قريش كانت قديماً تعرَف بمقبرة الشّونيزيّ الصّغير، والمقبرة التي وراء التُّوثَة تعرَف بمقبرة الشّونيزيّ الكبير، أخَوان يقال لكلّ واحد منهما: الشّونيزيّ، فدُفن كلّ واحدٍ منهما في إحدى هاتَين المقبرتَين ونُسبت المقبرة إليه».

مقابر قريش

في عام ١٤٥ للهجرة ابتدأ المنصور الدّوانيقي العبّاسيّ بتأسيس مدينته المدوَّرة «بغداد» أو «الزّوراء»، واستتمّ البناء - في رواية الخطيب البغداديّ - في سنة ١٤٦ للهجرة، ثمّ استتم بناء سُوْر المدينة وفرغ من خندقها وسائر شؤونها في سنة ١٤٩ للهجرة.

ولما أنهى المنصور عمارة مدينته اقتطع «الشّونيزيّ الصّغير» المجاورة لها من جهة الشّمال فجعلها مقبرة، ولعلّه اعتبرها خاصّة بعائلته وأُسرته فسمّاها «مقابر قريش»، وقد تُسمّى أيضاً «مقابر بني هاشم»، ويروي الشّيخ المفيد أنّها «كانت مقبرةً لبَني هاشم والأشراف من النّاس».

* مع مرور الأيّام دُرِس اسمها «الشُّونيزيّ الصّغير»، وعُرفت بـــ«مقابر قريش»، وتوالى الدّفن فيها بدءاً من العام ١٥٠ للهجرة.

* وفي عام ١٨٣ للهجرة لخَمسٍ بَقِينَ من رجب استُشهد الإمام موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، وكان قد دُسّ إليه السُّم من قِبل السِّنديّ بن شاهك بأمرٍ من هارون العبّاسيّ، وحُمل جثمانُه الطّاهر إلى مقابر قريش فدُفن هناك حيث قبرُه الشّريف الآن، وهو موضعٌ كان

باب المراد - المشهد الكاظمي الشريف

صلوات الله عليه ابتاعَه لنفسه، كما في بعض الرّوايات.

* وفي عام ٢٢٠ للهجرة في آخر ذي القعدة استُشهدَ ببغداد الإمام أبو جعفر محمّد الجواد بن عليّ الرّضا بن موسى بن جعفر عليهم السلام، ودُفن في تربة جدّه أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السّلام.

* وأصبح السّكن حول مقابر قريش - بعد دفن الإمامَين فيها - في ازديادٍ واتّساع على مرور الأيّام، وإنْ لم نعثر في المصادر التّاريخيّة على نصّ خاصّ يحدّد لنا تاريخاً تحقيقيّاً لبدء السُّكنى هناك. لكنّ المؤكّد أنّه أخذ طريقةَ التّجمع والتّقارب بعد دفن الإمامين عليهما السّلام، حيث دفعت العقيدة الدّينيّة بعض النّاس إلى السُّكنى حول المشهد لحمايته وإدارته وإيواء زائريه، وكان هذا التّجمع حول المشهد هو النّواة الأولى لمدينة الكاظميّة.

* ويُستفاد من مجموع النّصوص التّاريخيّة المتعلّقة بالعصر العباسيّ الأوّل أنّ هذه المنطقة المغمورة قد قفزت قفزاتٍ واسعةً إلى الإمام فأصبحت جزءاً متّصلاً ببغداد، بل محلّةً من محلّاتها، عامرةً بالسّكّان زاخرةً بالعُمران، شأنها في ذلك شأن سائر المحلّات البغداديّة الشّرقيّة والغربيّة.

في القرن الرّابع

* في أوائل القرن الرّابع كانت المنازل حول «مقابر قريش» كثيرة، وكان بعض تلك المنازل مشتملاً على حُجرات، ولكلّ حُجرة بابٌ أو أكثر.

* وفي عام ٣٣٤ للهجرة قبض معزّ الدّولة البُوَيْهيّ على أزمّة الحكم في بغداد، وكان من جملة أعماله خلال أيّام مُلكه: تَشييد المرقد الكاظميّ تشييداً رائعاً في عمارته، وإنزالُ جماعة من الجنود الدَّيالِمَة ومعهم أفراد من المَراوزة [جمع المَروزيّ نسبةً إلى مدينة مَرو] هناك لغرض الخدمة والحفاظ على الأمن. وكان ذلك سبباً جديداً وذا أهميّة في توسُّع السّكن وانتشار الدُّور حول المشهد. وأصبح النّاس يفدون في أعداد غفيرة إلى الكاظميّة في الجمُعات والمواسم والمناسبات الدّينيّة، كذكرى عيد الغدير وذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وغيرهما من المناسبات.

جانب من مدينة الكاظمية (١٩٣٧م)

* وفي النّصف الثّاني من القرن الرّابع تأصّل السّكنُ في هذه المدينة حتّى صحّ أن يُطلَق على المقيمين هناك اسم السّكّان، كما حدث عندما أمر عضد الدّولة البويهيّ بإطلاق الصّلات لأهل الشّرف وغيرهم من ذوي الفاقة.

* وكان من أسباب ازدياد العمران في هذه المدينة النّاشئة أن البويهيّين حفروا ذُنابةً لنهر دُجَيل وساقوا الماء منها إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

في القرن الخامس

* يستفاد من النّصوص التّاريخيّة المتعلّقة بتلك الفترة تَزايدُ السّكّان حول المشهد في أواسط القرن الخامس، وأنّ كثيراً منهم من العلويّين، كما يستفاد منها أيضاً وجود دُور للسُّكنى داخل سور المشهد ودُور خارجه. جاء في رواية ابن الجوزيّ في حوادث سنة ٤٥٠ للهجرة ما نصّه: «وحُمل الخليفة [العبّاسيّ] إلى المشهد بمقابر قريش وقيلَ له: تبيتُ فيها، فامتنع وقال: هؤلاء العلويّون الذين بها يُعادونني».

* في السّابع من صفر سنة ٤٤٣ هجريّة اجتمع عددٌ هائل من النّواصب واقتحموا المشهد الشّريف، ونهبوا ما فيه، وارتكبوا الفظائع، وهدموا القبّتَين الشّريفتَين.

في القرنَين السّادس والسّابع

* في سنة ٥١٧ للهجرة كرّر النّواصب فعلتَهم، حيث اقتحموا العتبة الكاظميّة، وأماطوا اللّثام عن مبلغ حقدهم على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ويُروى أنّ المقتنيات المنهوبة استُرجعت من سُرّاقها لاحقاً.

* والظّاهر أن الكاظميّة قد أصبحت في هذه الفترة مأهولةً بالسّكّان بنحو يصحّ أن يقال فيه: «أهل مشهد موسى بن جعفر»، كما يقال: «أهل الكَرْخ» أو «أهل المختارة»، وكانوا كثيري العدد.

* وفي النّصف الأوّل من القرن السّابع تعرّضت مدينة الكاظميّة لعدّة فيضانات خرّبت معالمَها، وفي هذه الفترة تمّ تشييد سور جديد للمشهد.

استقلال مدينة الكاظميّة

انطوى العصر العباسيّ وبلدةُ المشهد الكاظميّ «محلّةٌ عامرة، فيها خَلقٌ كثير، ذات سور، مفردة». والرّاجح أنّ انفراد الكاظميّة عن بغداد قد تحقّق في أواسط القرن الخامس إثر الفِتَن والاضطرابات التي عمّت العراق وخصّت بغداد نفسها، فدمّرت البلاد وأشاعت الخراب، وسبّبت انكماش بغداد على نفسها.

وربّما يؤكّد ذلك ويؤيّده تعيين النُّقَباء الخاصّين بالمشهد الكاظميّ - ابتداءً من أوائل القرن الخامس - ولم يكن قبل ذلك، حيث يرشدنا إلى بدء انفراد البلدة وازدحامها بالسّكّان أيضاً بالشّكل الذي تدعو فيه الحاجة إلى تعيين نقيب خاصّ بها، غير نقيب العلويّين أو الطّالبيّين ببغداد.

ومهما يكن من أمر، فإنّ بلدة المشهد الكاظميّ قد أصبحت في أُخرَيات العصر العبّاسيّ مدينة مُفردَة تضمّ سائر مقتضيات المدن ومرافقها من دُور وسكّان وعمارة ومؤسّسات.

وصف مدينة الكاظميّة من الدّاخل

كان المشهد في وسط المدينة قريباً من طرفها الشّماليّ الغربيّ، وقد اشتمل على: دار للأيتام، ودار لتعليم الخط والقراءة والقرآن الكريم، ومكان خاصّ لدراسة الفقه والحديث، ومكتبة، ودار لاستراحة الزّائرين وإطعامهم في شهر رمضان في الأقل، ومارستان «مستشفى» فيه الأدوية والأشربة والمعالجون، ونقيب يُشرف على شؤون المشهد والبلدة.

وكانت المناسبات الدّينيّة، في الفترة الأخيرة من العصر العباسيّ، غاصّةً بجماهير الزّائرين. ثمّ كانت أُسَر علويّة متعدّدة قد

اختارت الكاظميّة مقراً لسُكناها كـ «بني الحدّاد» و«بني نازُوك»، وآخرين غيرهم.

كما كان من جملة سكّانها أعلام فقهاء وأدباء مبرّزون وعلماء دين لامِعون، عرفنا منهم أفراداً وضاع عنّا الباقون، بسبب إهمال التّاريخ لهم أو نِسبتهم إلى بغداد، تغليباً لها على كلّ ما يجاورها من محلّات وبقاع.

في الغزو المغوليّ

في الشّهر الأوّل من عام ٦٥٦ للهجرة حاصر الجيش المغوليّ بغداد، وتمّ احتلالها يوم الاثنين الثّامن عشر من المحرّم أو بعد ذلك بأيّام، ورافق هذا الاحتلال عددٌ من حوادث التّخريب والتّلف وضروبٌ من المصائب والنّكبات.

وعلى الرّغم من خروج بلدة المشهد الكاظميّ عن خطّ زحف الجيش المحتلّ وعدم وجود أيّة قوّة عسكريّة عبّاسيّة فيها، فقد أُصيبت بشيء من ذلك الخراب العام، وسارع الوزير ابن العلقميّ إلى تدارُك الأمر بإصلاح ما تلف وتجديد ما اندثر من البلدة، كما قام صدر الوقوف شهاب الدّين عليّ بن عبد الله بعمارة ما أتلفَه الحريق في المشهد المطهّر.

القرن الثّامن، فما بعد

* ما أن أطلّ القرن الثّامن حتّى كانت المدينة قد سارت أشواطاً في طريق تقدّمها، وبدأ استعمال لقب «كاظميّ» في هذه الفترة، حيث جاء في ترجمة السّيّد عبدالكريم آل طاووس - وهو من سكّان الكاظميّة في أواخر القرن السّابع - أنّه «حِلِّيُّ المَنشأ، بغداديُّ التّحصيل، كاظِميُّ الخاتمة».

* وفي أوائل القرن العاشر الهجريّ دخلت الكاظميّة عهداً جديداً من الشّأن والاستقلال الإداريّ الدّاخليّ، وأصبحت مدينة لها كيانها ودورها في الشّؤون العامّة. وبدأت الخطوة الأولى نحو هذا العهد الجديد في سنة ٩١٤ للهجرة - وهي سنة دخول الصّفويّين إلى العراق - فقد زار الشّاه إسماعيل الصّفويّ الكاظميّة وأمر بتشكيل إدارة خاصّة بالبلدة ومحكمة شرعيّة يرأسها قاضٍ يحمل لقب «شيخ الإسلام»، وقد عُيّن الشّيخ عبد الله قنديل بهذا المنصب. كما أمر الشّاه بتشييد المشهد الكاظميّ تشييداً رائعاً فخماً، وتعيين الرّواتب لخدّام المشهد والمسؤولين عنه.

* وفي سنة ٩٤١ للهجرة احتلّ الملك سليمان العثمانيّ العراق، لكنّ وضعَ الكاظميّة السّابق لم يتغيّر، واستمرّت عمليّة عمارة المشهد الشّريف.

* وفي القرون الأربعة الأخيرة - أي منذ الاحتلال العثمانيّ حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى - حفل العراق بما لا يُمكن وصفه من مآسي الأوبئة والطّواعين والكوارث الطّبيعيّة، وكانت هذه الحوادث من العنف والشّدّة والتّتابع بشكلٍ حَدَّ من تطوّر العراق كلّه إلى أبعد الحدود، ما ارتدّ بشكلٍ أو آخر على مدينة الكاظميّة.

وفي هذه الحقبة أصبحت الكاظميّة قضاءاً يديرُه «قائمُ مقام»، كما أُنشئ جسر من الخشب عائم بين الكاظميّة والجانب الشّرقيّ من بغداد، ويُعرَف اليوم باسم «جسر الأئمّة».

جسر الأئمة عليهم السلام على نهر دجلة

النّشاط العلميّ والثّقافيّ

كان الوضع العلميّ والفكريّ للكاظميّة أكثر تقدّماً واتّساعاً وعُمقاً من وضعها العمرانيّ، فقد أنجبت هذه البلدة، خلال عمرها الطّويل، عدداً كبيراً جدّاً من الفقهاء والأدباء والشّعراء والمفكّرين والأطباء.

وضمّت الكاظميّة بين جوانحها مجموعة من المدارس الدّينيّة التي تُعنى بتدريس العلوم الإسلاميّة، وكانت عامرة زاهرة بطلّابها وأساتذتها، وفي طليعتها مدرسة الفقيه السّيّد محسن الأعرجي، المؤسَّسةُ في أوائل القرن الثّالث عشر الهجريّ، كما ضمّت البلدة عدداً كبيراً من المكتبات الضّخمة الحافلة بنفائس المخطوطات وأمّهات الكتب.

وإن صحّ ما يُروى من تأسيس أوّل مطبعة عراقيّة حَجريّة في الكاظميّة في سنة ١٢٣٧ للهجرة، فإن ذلك يُعدّ في صدر قائمة النّشاط العلميّ لهذه المدينة في النّصف الأوّل من القرن الماضي.

الوضع السّياسيّ

من النّاحية السّياسيّة كان للكاظميّة رأي وصوت في الشّؤون والمشاكل العامّة منذ العهد الصّفويّ حتّى نهاية العهد العثمانيّ.

وكان أبرز مواقف الكاظميّة السّياسيّة: موقفها خلال الحرب العالميّة الأولى عندما هجم البريطانيّون على البصرة، ووصلت برقيّة استنجاد من وجوه البصرة إلى علماء الكاظميّة بتاريخ يوم الاثنين ٢٠ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣ للهجرة، فأصدر العلماء أمراً بوجوب الدّفاع على كلّ مسلم.

وفي يوم الثّلاثاء ١٢ محرّم سنة ١٣٣٣ للهجرة خرج السّيد مهدي الحيدري قاصداً ساحة الحرب وبصحبته الشّيخ مهدي الخالصي وجماعة من المجاهدين، وخرجت البلدة بأسرها لتشيّع ركب الجهاد الزّاحف، وفي هذه السّنة تألّفت «الجمعيّة الإرشاديّة» لجمع التّبرّعات للمجاهدين في حربهم ضدّ الانكليز.

ثمّ تواردت على الكاظميّة وفود العلماء الزّاحفين نحو المعركة من النّجف الأشرف وكربلاء، وكانت البلدة تستقبل كلّ واحد منهم بمنتهى التّرحاب والتّكريم وتودّعه بمثل ذلك.

واحتلّ الجيش البريطانيّ الكاظميّة في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ للهجرة.

وفي سنة ١٣٣٨ للهجرة انطلقت من الكاظميّة الثّورة لإلغاء الانتداب البريطانيّ، بقيادة العلماء المجاهدين من آل الصّدر وآل ياسين والحيدريّ والخالصيّ، وفي شهر رمضان من هذه السّنة أفتى الميرزا الشّيرازيّ بوجوب الخروج في مظاهرات من أجل الاستقلال.

ولم تنقطع الكاظميّة بعد الاحتلال البريطانيّ الغاشم عن العمل الجاد في محاربته بكل ما أُوتيت من طاقات وقوى ماديّة ومعنويّة، بل كان لها من الدّور الكبير في مكافحة المحتل ما حمل «مِس بل» في رسائلها على وصف هذه البلدة بـ«المتطرّفة في إيمانها بالوحدة الإسلاميّة، والمتشدّدة في مناوأة الإنكليز».

[مِس بل، مستشرقة وموظفة في إدارة الاستخبارات البريطانيّة، كانت محور السّياسة العراقيّة في عهد الاحتلال الانكليزيّ، لُقّبت بملكة العراق غير المتوجّة، ماتت في بغداد سنة ١٩١٣م]

وحسبنا من نشاط الكاظميّة السّياسيّ في محاربة الاحتلال أن نقرأ ما كتبه الكاتب الإنكليزيّ «فيليب أيرلاند» إذ يقول ما نَصُّه: «وكان الشّعور المعادي لبريطانيا في الكاظميّة شعوراً قويّاً جدّاً، فقد هدّد العلماءُ جميعَ من يصوّت للاحتلال البريطانيّ بالمروق عن الدّين».

ثمّ حَسبُنا من ذلك النّشاط ما ذكره المؤرّخون مِن سَبق الكاظميّة في العمل ضدّ الاحتلال، ومن طبع المنشورات وتوزيعها سرّاً بتوقيع «الجمعيّة الإسلاميّة العربيّة»، الأمر الذي أقضَّ مضجع السّلطة العسكريّة المحتلّة.

بطاقة تعريف

* تقع مدينة الكاظميّة على بعد خمسة كيلومترات شمال غرب العاصمة العراقيّة بغداد، وعلى الضّفة اليُمنى لنهر دجلة الذي يقسم العاصمة إلى ناحيتَي الكرخ والرّصافة.
* تبلغ مساحتها ١٤ ألف م٢، وتحيط بها بساتين الفاكهة والثّمار من ثلاث جهات، وقد عمد نظام البعث البائد إلى مصادرة جميع هذه البساتين من أصحابها، وحوّلها إلى ملكيّات خاصّة لأقارب الرّئيس المخلوع، إلّا أنّها أُعيدت إلى أصحابها مع قيام الحكم الجديد، كما تعمّد النّظام البائد إدخال ظاهرة السّفور إلى المدينة بدءاً من العام ١٩٧٠م.
* تشتهر الأحياء القديمة في الكاظميّة بطراز معماري فريد، ميزته ما يُعرف بـ«الطّارمة» وهي الشُّرفة الصّغيرة، والنّوافذ البارزة المعروفة بـ«الشّناشيل».
* أهمّ شوارعها: شارع باب المراد، شارع القبلة، شارع باب الدّروازة، شارع قريش.
* **في الكاظميّة وجوارها عدّة مساجد تاريخيّة، أشهرها:**

– مسجد بُراثا، بين الكاظميّة وبغداد، وهو من أجَلِّ البِقاع، صلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام بمائة ألف من أصحابه عند عودته من قتال الخوارج، وبقربه مسجد فيه مشهد يقال إنّه للوصيّ يوشع عليه السلام، وقيل هو مشهد فَتى نبيّ الله موسى عليه السلام الذي صحبَه في سفره إلى الخضر عليه السّلام، وبالقرب منه مسجد فيه قبر، يُقال إنّه قبر البهلول.

* دُفن في الكاظمية عددٌ من الأعلام منهم: الشّريف الرّضي، وأخوه الشّريف المرتضى، والشّيخ المفيد، والشّيخ نصير الدين الطّوسي، كما دُفن فيها النّفر الذين استُشهدوا مع أمير المؤمنين عليه السّلام في النّهروان، وهم تسعة لا غير.
* كانت الكاظمية مركز الحوزة العلميّة الإماميّة، قبل أن يتسبّب الغوغاء من النّواصب في منتصف القرن الخامس بإحراق عددٍ كبير من المكتبات فيها، ما اضطرّ الشّيخ الطّوسي إلى الانتقال إلى النّجف الأشرف وتأسيس الحوزة فيها، وهو غير الشّيخ نصير الدّين المتقدّم ذكرُه.
* تؤكّد المصادر التّاريخيّة دخول المغول إلى الكاظميّة، وإعمالهم السّيف في أهلها، كما هدموا وأحرقوا جانباً من مقام الإمامَين الكاظمَين عليهما السّلام.

شهر ذي القعدة الحرام

لإجابة الدّعاء عند الشّدّة

إعداد: «شعائر»

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبِّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَني مِمَّنْ يُديمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إلهي وَأَلْحِقْني بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب (إقبال الأعمال) لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و(المراقبات) للفقيه الكبير الشّيخ الملكيّ التّبريزيّ، وفي هَديهما: هذا الباب.

(**مفاتيح الجنان**): «اعلم أنّ هذا الشّهر هو أوّل الأشهر الحُرُم الّتي ذكرها الله في كتابه المجيد.

وروى السّيّد ابن طاوس في حديث: أنّ شهر ذي القعدة محلٌّ لإجابة الدّعاء عند الشّدّة».

وقد ورد عن رسول الله ﷺ استحبابُ صوم ثَلاثَةَ أَيّامٍ، الخَميس وَالجُمُعَة وَالسَّبْت، من الشّهر الحرام، ليُكتَب للعبد عبادة سنة.

عمل التّوبة يوم الأحد من ذي القعدة

(**إقبال الأعمال**): عن أنس بن مالك، قال: «خرج رسول الله ﷺ، يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال: **يا أَيُّها النّاسُ، مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ التَّوْبَةَ؟**

قلنا: كلّنا نريد التّوبة يا رسول الله.

فقال صلّى الله عليه وآله: **اغْتَسِلوا وَتَوَضَّأوا وَصَلّوا أَرْبَعَ رَكَعاتٍ** [كلّ ركعتين بتشهُّد وتسليم] **وَاقْرَأوا في كُلِّ رَكْعَةٍ** (فاتِحَةَ الكِتابِ) مَرَّةً، وَ(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ثَلاثَ مَرّاتٍ، وَ(المُعوّذتين) مَرَّةً، **ثُمَّ اسْتَغْفِروا سَبْعينَ مَرَّةً، ثُمَّ اخْتُموا بِـ** (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ)، **ثُمَّ قولوا:** (يا عَزِيزُ يا غَفّارُ، اغْفِرْ لِي ذُنوبِي وَذُنُوبَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ).

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: **ما مِنْ عَبْدٍ مِنْ أُمَّتي فَعَلَها إِلّا نُودِيَ مِنَ السَّماءِ: يا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ العَمَلَ، فَإِنَّكَ مَقْبولُ التَّوْبَةِ مَغْفورُ الذَّنْبِ.**

وَيُنادي مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ: أَيُّها العَبْدُ، بورِكَ عَلَيْكَ وَعَلى أَهْلِكَ وَذُرِّيَّتِكَ.

وَيُنادي مُنادٍ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، تَرْضى خُصَماؤُكَ يَوْمَ القِيامَةِ.

وَيُنادي مَلَكٌ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، تَموتُ عَلى الإيمانِ، وَلا يُسْلَبُ مِنْكَ الدِّينُ، وَيُفْسَحُ في قَبْرِكَ وَيُنَوَّرُ فيهِ.

وَيُنادي مُنادٍ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، يَرْضى أَبَواكَ وَإِنْ كانا ساخِطَيْنِ، وَغُفِرَ لِأَبَوَيْكَ ذلك (ولكَ) وَلِذُرِّيَّتِكَ، وَأَنْتَ في سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

وَيُنادي جَبْرَئيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَنا الَّذي آتيكَ مَعَ مَلَكِ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلامُ، أن يَرْفقَ بِكَ وَلا يَخْدِشَكَ أَثَرُ المَوْتِ، إِنَّما تُخْرُجُ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِكَ سَلّاً.

قلنا: يا رسول الله، لو أنَّ عبداً يقول في غير الشّهر؟ فقال عليه السلام: **مِثْلَ ما وَصَفْتُ، وَإِنَّما عَلَّمَني جَبْرَئيلُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، هَذِهِ الكَلِماتِ أَيّامَ أُسْرِيَ بي».**

اليوم الحادي عشر: ولادة الإمام الرّضا عليه السلام

(**عيون أخبار الرّضا**): عن إبراهيم بن العبّاس، قال: «ما رأيتُ أبا الحسن الرّضا عليه السّلام جفا أحداً بكلمةٍ قطّ، ولا رأيتُه قطعَ على أحدٍ كلامَه حتّى يفرغَ منه، وما ردّ أحداً عن حاجةٍ يقدر عليها، ولا مدّ رِجلَه بين يدَي جليسٍ له قطّ، ولا اتّكأَ بين يدَي جليسٍ قطّ، ولا رأيتُه شتمَ أحداً من مواليه ومماليكه قطّ، ولا رأيتُه تفلَ، ولا رأيته يُقهقه في ضحكةٍ قطّ، بل كان ضحكُه التّبسّم، وإذا خلا ونصبَ مائدتَه أجلسَ معه على مائدته مماليكه ومواليه حتّى البوّاب السّائس.

وكان، عليه السّلام، قليلَ النّوم باللّيل، كثيرَ السَّهَر، يُحيي أكثرَ لياليه من أوّلها إلى الصّبح. وكان كثيرَ الصّيام فلا يفوتُه صيامُ ثلاثة أيّامٍ في الشّهر، ويقول ذلك صومُ الدّهر، وكان عليه السّلام كثيرَ المعروف والصَّدَقَة في السّرّ، وأكثر ذلك يكون منه في اللّيالي المُظلمة، فمَن زعم أنّه رأى مثلَه في فضله فلا تُصدِّق».

اليوم الثّالث والعشرون: شهادة الإمام الرّضا عليه السلام

(**عيون أخبار الرّضا**): عن الهرويّ قال: «سمعتُ الرّضا عليه السّلام يقول: **إنّي سَأُقْتَلُ بِالسُّمِّ مَظْلوماً، وَأُقْبَرُ إلى جَنْبِ هارونَ [العبّاسيّ]، وَيَجْعَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تُرْبَتي مُخْتَلَفَ شيعَتي وَأَهْلِ بَيْتي، فَمَنْ زارَني في غُرْبَتي وَجَبَتْ لَهُ زِيارَتي يَوْمَ القِيامَةِ، وَالّذي أَكْرَمَ مُحَمَّداً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَاصْطَفاهُ عَلى جَميعِ الخَليقَةِ، لا يُصَلّي أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدَ قَبْري رَكْعَتَيْنِ إلّا اسْتَحَقَّ المَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ يَلْقاهُ. وَالّذي أَكْرَمَنا بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالإمامَةِ وَخَصَّنا بِالوَصِيَّةِ، إنَّ زُوّارَ قَبْري لَأَكْرَمُ الوُفودِ عَلى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَما مِنْ مُؤْمِنٍ يَزورُني فَتُصيبُ وَجْهَهُ قَطْرَةٌ مِنَ السَّماءِ إلّا حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَسَدَهُ عَلى النّارِ**».

ليلة النّصف من الشّهر

(**المراقبات**): «ومن مهامّ هذا الشّهر عملُ ليلة النّصف منه. روى سيّدنا، قدّس الله سرّه العزيز في (الإقبال) «..» عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّ (في **ذي القعدة ليلةً مباركةً، وهي ليلة خمس عشرة، ينظرُ اللهُ إلى عبادِه المؤمنين فيها بالرّحمة، أجرُ العامل فيها بطاعةِ الله أجرُ مائة سائحٍ لم يَعْصِ اللهَ طرفةَ عَيْن**)، فإذا كان نصفُ اللّيل فَخُذ في العمل بطاعة الله والصّلاة وطلبِ الحوائج، فقد رُوي أنّه لا يبقى أحدٌ سألَ الله فيها حاجةً إلّا أعطاه «..» وبالجملة، العملُ في هذه اللّيلة من جهة قِلّة العاملِ به لعدمِ اشتهاره، له خصوصيّةٌ ليست في غيره من أعمال اللّيالي المشهورة، وهذه من المُهمّات عند المُراقبين، لأنّ الذّكر عند غفلة العامّة عن مهامّ المُراقبات أسرعُ للإجابة، وأقربُ للقبول، وأزيدُ في الأجر، وأعظمُ عند الله تعالى..».

اللّيلة الخامسة والعشرون

عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه: «**إنَّ أَوَّلَ رَحْمَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ في خَمْسٍ وَعِشْرينَ مِنْ ذي القَعْدَةِ، فَمَنْ صامَ ذَلِكَ اليَوْمَ وَقامَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَهُ عِبادَةُ مائَةِ سَنَةٍ، صامَ نَهارَها وَقامَ لَيْلَها، وَأَيُّما جَماعَةٍ اجْتَمَعَتْ ذَلِكَ اليَوْمَ في ذِكْرِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتَفَرَّقوا حَتّى يُعْطَوْا سُؤْلَهُمْ؛ وَيَنْزِلُ في ذَلِكَ اليَوْمِ أَلْفُ أَلْفِ رَحْمَةٍ يَضَعُ مِنْها تِسْعَةً وَتِسْعينَ في حِلَقِ الذّاكِرينَ وَالصّائِمينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ، وَالقائِمينَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ**».

اليوم الخامس والعشرون: دحو الأرض

(**جواهر الكلام، الشّيخ النّجفيّ**): «يومُ دَحْوِ الأرض من تحت الكعبة، وهو اليومُ الخامس والعشرون من ذي القعدة الّذي في ليلته وُلد إبراهيم عليه السّلام، ووُلد عيسى عليه السّلام.

وفي الخبر: (**وفيها دُحِيَتِ الأرضُ من تحتِ الكعبة، مَن صامَ ذلك اليوم كان كَمَن صام ستِّين شهراً**).

وعن الإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام، أنّه قال: (**في خمس وعشرين مِن ذي القعدة أنزلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرام، فمَن صامَ ذلك اليوم كان كفّارةَ سبعين سنة، وهو أوّلُ يومٍ أنزلَ اللهُ فيه الرّحمةَ من السّماء على آدمَ عليه السّلام**). «..»

وعن محمّد بن عبد الله الصيقل، قال: (خرج علينا أبو الحسن الرّضا عليه السّلام في يوم خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال: **صُوموا فإنّي أصبحتُ صائماً**، قلنا: جُعلنا فداكَ، أيّ يومٍ هو؟ قال: **يومٌ نُشِرَت فيه الرّحمةُ، ودُحِيَت فيه الأرضُ، ونُصِبَت فيه الكعبةُ، وهبطَ فيه آدم**).

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، قال: (**في خَمس وعشرين ليلة من ذي القعدة أُنزِلَت الرّحمةُ من السّماء، وأُنزِلَ تعظيمُ الكعبةِ عَلى آدم، فمَن صامَ ذلكَ اليوم استغفرَ له كلُّ شيءٍ بين السَّماء والأرض**).

وعن أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي عليه السّلام، قال: (**الأيّامُ الّتي يُصَامُ فيهنّ أربعةٌ** - إلى أن قال - **ويومُ الخامس والعشرين من ذي القعدة، فيه دُحِيَت الأرضُ**)».

* **أمّا أعمال هذا اليوم كما وردت في (مفاتيح الجنان):**

- الغسل.
- الصّوم.
- رَكعتان عند الضُّحى [بعد طلوع الشّمس، وقبل صلاة الظّهر] بـ (الحمد) مرّة، وسورة (الشّمس) خمس مرّات، ويقول بعد التّسليم: (**لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**).

ثمّ يدعو ويقول: (**يا مُقِيلَ العَثَراتِ أَقِلْنِي عَثْرَتِي، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ أَجِبْ دَعْوَتِي، يا سامِعَ الأَصْواتِ اِسْمَعْ صَوْتِي وَارْحَمْنِي وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي وَما عِنْدِي، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام**).

- ويُستَحبّ أن يدعو في هذا اليوم بهذا الدُّعاء: «**أَللَّهُمَّ داحِيَ الكَعْبَةِ وَفالِقَ الحَبَّةِ...**». [مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذي القعدة]
- زيارة الإمام الرّضا عليه السلام، وقد ورد أنّ زيارته في هذا اليوم آكَدُ آدابِه المسنونة (أي المستحبّة).

اليوم الأخير: شهادة الإمام الجواد عليه السّلام

(**مفاتيح الجنان**): زيارة الإمام الجواد عليه السّلام:

السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى آبائِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى أَبْنائِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى أَوْلِيائِكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ وَآتَيْتَ الزَّكاةَ وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَتَلَوْتَ الكِتابَ حَقَّ تِلاوَتِهِ وَجاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، وَصَبَرْتَ عَلَى الأَذَى فِي جَنْبِهِ حَتّى أَتاكَ اليَقِينُ، أَتَيْتُكَ زائِراً عارِفاً بِحَقِّكَ مُوالِياً لأَوْلِيائِكَ مُعادِياً لأَعْدائِكَ فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ.

ثمّ قبّل القبر وَضَعْ خدَّيكَ عليه، ثمّ صلّ ركعتَين للزّيارة وصَلِّ بعدهما ما شئت.

ثمّ اسجُد وقُل: «**إِرْحَمْ مَنْ أَساءَ وَاقْتَرَفَ، وَاسْتَكانَ وَاعْتَرَفَ**».

ثمّ اقلب خدّكَ الأيمن، وقُل: «**إِنْ كُنْتُ بِئْسَ العَبْدِ فَأَنْتَ نِعْمَ الرَّبُّ**».

ثمّ اقلب خدَّكَ الأيسرَ، وقُل: «**عَظُمَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ، فَلْيَحْسُنِ العَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ يا كَرِيمُ**».

ثمّ عد إلى السّجود وقل: «**شُكْراً شُكْراً**»، **مائة مرّة**. ثمّ انصرف.

موجز في التّفسير

سورة النَّجم

إعداد: سليمان بيضون

* سورة (النّجم) هي السُّورة الثّالثة والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (التّوحيد).
* آياتُها اثنتان وستّون، وهي مكّيّة، تُورِثُ المداومةُ على قراءتها محبّةَ النّاس.
* سُمِّيتْ بسورة (النّجم) لابتدائها بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ ..﴾.
* إحدى سُوَر العزائم الأربع، عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «إنّ العَزائِمَ أَرْبَعٌ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذي خَلَقَ، وَالنَّجْمِ، وَتَنْزِيلِ السَّجْدَة، وَحم السَّجْدَة».

قال العلّامة الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان): «في تفسير القمّيّ في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، قال: «النّجم رسولُ الله ﷺ. ﴿..إِذَا هَوَىٰ﴾: لمّا أُسْرِيَ به إلى السّماء وهو في الهواء..». أقول: وروى تسميتَه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّجم بإسناده عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن الرّضا عليه السلام، وهو من البطن». (المصدر: ج ١٩)

وفي (تحقيق كلمات القرآن الكريم) للشّيخ حسن المصطفوي أنّ معنى «النّجم» في الآية: «..هو نفسُ رسول الله ﷺ الهابط من المحلّ الأعلى والمقام الأسنى، ومن مرتبة الحقّ في الحقّ إلى جانب الخلق، بالرّسالة إليهم وهدايتِهم وسَوقِهم إلى الحقّ..».

مضامين سورة (النّجم)

هدفُ سورة النّجم المباركة هو التّذكير بالأصول الثّلاثة؛ وحدانيّتُه تعالى في ربوبيّته، والمَعاد، والنُّبوّة. وهي في ذلك تبدأ بالنّبوّة، فتصدّقُ الوحيَ إلى النّبيّ ﷺ، وتَصِفُه، ثمّ تتعرّضُ للوحدانيّة، فتنفي الأوثانَ والشّركاء أبلغَ النّفي، ثمّ تَصِفُ انتهاءَ الخَلْق، وتنسبُ إليه تَعالى التّدبيرَ؛ من إحياء، وإماتة، وإضحاك، وإبكاء، وإغناء، وإقناء، وإهلاك، وتعذيب، ودعوة، وإنذار. وتختمُ الكلامَ بالإشارة إلى المَعاد، والأمر بالسّجدة والعبادة. (تفسير الميزان، للعلّامة الطّباطبائيّ)

ويُمكن تقسيم محتوى هذه السّورة إلى سبعة أقسام:

١) بداية السّورة، وهي تتحدّث عن حقيقة الوحي، واتّصال النّبيّ ﷺ مباشرةً بمُنزِل الوحي «جبريل عليه السّلام».

٢) في القِسم الثّاني يجري الكلام على معراج الرّسول ﷺ بعبارات موجزة وغزيرة المعنى.

٣) ثمّ يجري الكلام عن خرافات المشركين، وعبادة الملائكة، ويُعنّفُ هذا القسم الكفّارَ، ويحذّرهم من عبادة الأوثان.

٤) يفتح القرآنُ سبيلَ التّوبة بوجه المُنحرفين وعامّةِ المُذنبين، ويؤمّلُهم بمغفرة الله الواسعة، ويؤكّد أنّ كُلّاً مسؤولٌ عن عمله.

٥) إكمالاً للأهداف المتقدّمة، يأتي القِسم الخامس ليُبَيِّنَ جوانبَ من مسألة المعاد، ويقيم دليلاً واضحاً على هذه المسألة بما هو موجودٌ في النّشأة الأولى، أي الدّنيا.

٦) إشاراتٌ إلى العواقب المؤلمة للأُمَم التي اتّخذت موقف العداوة والمعاندة للحقّ، كالذي حدث لقوم ثمود، وعاد، وغيرهم.

٧) تختم هذه السّورة بالأمر بالسّجود لله تعالى وعبادتِه. (تفسير الأمثل)

ثواب تلاوتها

* عن النّبيّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ النَّجْمِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ وَمَنْ جَحَدَ بِهِ». (تفسير مجمع البيان)

* عن الإمام الصّادق عليه السلام: «مَنْ كانَ يُدْمِنُ قِراءَةَ (وَالنَّجْمِ) في كُلِّ يَوْمٍ، أَوْ في كُلِّ لَيْلَةٍ، عاشَ مَحْموداً بَيْنَ النّاسِ، وَكانَ مَغْفوراً لَهُ، وَكانَ مُحَبَّباً بَيْنَ النّاسِ». (ثواب الأعمال)

تفسيرُ آياتٍ منها

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ الآيات: ١-٤.

الإمام الباقر عليه السلام: «ما ضَلَّ [صاحبكم] في عَلِيٍّ وَما غَوَى، وَما يَنْطِقُ فيهِ عَنِ الهَوَى، وَما كانَ قالَ فيهِ إلّا بِالوَحْيِ الذي أُوحِيَ إِلَيْهِ».

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ الآيتان:٨-٩.

الإمام الكاظم عليه السلام: «..فَلَمّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكانَ مِنْ رَبِّهِ كَقابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، رُفِعَ لَهُ حِجابٌ مِنْ حُجُبِهِ، فَكَبَّرَ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يَقولُ الكَلِماتِ الّتي تُقال في الافْتِتاحِ، فَلَمّا رُفِعَ لَهُ الثّاني كَبَّرَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذلِكَ حَتّى بَلَغَ سَبْعَةَ حُجُبٍ وَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبيراتٍ، فَلِذلِكَ العِلَّةِ تُكَبِّرُ للافْتِتاحِ في الصَّلاةِ سَبْعَ تَكْبيراتٍ...».

قوله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ الآية:١٤.

* عن الإمام الحسين عليه السلام، أنّ يهودياً من يهود الشّام وأحبارهم قالَ لأمير المؤمنين عليه السلام: «.. فَإِنَّ موسى ناجاهُ اللهُ تَعالى عَلى طورِ سَيْناءَ. قالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَقَدْ كانَ كَذلِكَ، وَلَقَدْ أَوْحَى اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، إِلى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، فَمَقامُهُ في السَّماءِ مَحْمودٌ، وَعِنْدَ مُنْتَهى العَرْشِ مَذْكورٌ...».

* الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّما سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهى لِأَنَّ أَعْمالَ أَهْلِ الأَرْضِ تَصْعَدُ بها المَلائِكَةُ الحَفَظَةُ إِلى مَحَلِّ السِّدْرَةِ، وَالحَفَظَةُ البَرَرَةُ دونَ السِّدْرَةِ يَكْتُبونَ ما يُرْفَعُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْمالِ العِبادِ في الأَرْضِ..».

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ..﴾ الآية:٣٢.

الإمام الصّادق عليه السلام: «الفَواحِشُ: الزِّنا، وَالسَّرِقَةُ. وَاللَّمَمُ: الرَّجُلُ يَلُمُّ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ».

قوله تعالى: ﴿..فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ الآية:٣٢.

سُئل الإمام الصّادق عليه السلام: هل يجوز أن يُزكّي المرء نفسه؟ قال: «نَعَمْ، إذا اضْطُرَّ إِلَيْهِ، أَما سَمِعْتَ قَوْلَ يوسُفَ: ﴿..ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف:٥٥، وَقَوْلَ العَبْدِ الصّالِحِ: ﴿..وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف:٦٨».

قوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ الآية:٣٧.

عن الإمام الباقر عليه السلام، في تفسير هذه الآية، أنّ النّبيّ إبراهيم عليه السلام كان إذا أصبحَ قال: «..أَصْبَحْتُ وربِّي مَحْمُودٌ، أَصْبَحْتُ لَا أُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً ولَا أَدْعُو مَعَه إِلَهاً ولَا أَتَّخِذُ مِنْ دُونِه وَلِيّاً - ثَلاثاً - وإِذَا أَمْسَى قَالَهَا ثَلاثاً..».

قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ الآيتان:٣٩-٤٠.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذا غَلَبَهُ ضَعْفُ الكِبَرِ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَلَكَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ في حالَتِهِ تِلْكَ، مِثْلَ ما كانَ يَعْمَلُ وَهُوَ شابٌّ نَشيطٌ صَحيحٌ، وَمِثْلَ ذَلِكَ إِذا مَرِضَ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً يَكْتُبُ لَهُ في سَقَمِهِ ما كانَ يَعْمَلُ مِنَ الخَيْرِ في صِحَّتِهِ حَتّى يَرْفَعَهُ اللهُ وَيَقْبِضَهُ، وَكَذلِكَ الكافِرُ إِذا اشْتَغَلَ بِسَقَمٍ في جَسَدِهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ما كانَ يَعْمَلُ مِنْ شَرٍّ في صِحَّتِهِ».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «لَيْسَ يَتْبَعُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الأَجْرِ إِلّا ثَلاثُ خِصالٍ: صَدَقَةٌ أَجْراها في حَياتِهِ فَهِيَ تَجْري بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ صَدَقَةً مَوْقوفَةً لا تُوَرَّثُ، وَسُنَّةُ هُدًى سَنَّها وَكانَ يَعْمَلُ بِها وَعَمِلَ بِها مِنْ بَعْدِهِ غَيْرُهُ، وَوَلَدٌ صالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ».

لَيْسَ يَتْبَعُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الأَجْرِ إِلّا ثَلاثُ خِصالٍ: صَدَقَةٌ أَجْراها في حَياتِهِ ... وَسُنَّةُ هُدًى سَنَّها ... وَوَلَدٌ صالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ الآية:٤٨.

أمير المؤمنين عليه السلام: «أَغْنَى كُلَّ إِنْسانٍ بِمَعيشَتِهِ، وَأَرْضاهُ بِكَسْبِ يَدِهِ».

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ الآية:٥٦.

الإمام الصّادق عليه السلام: «يَعْني مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَيْثُ دَعاهُمْ إِلَى الإِقْرارِ بِاللهِ في الذَّرِّ الأَوَّلِ».

(الشّيخ الحويزيّ، تفسير نور الثّقلين)

العِلمُ بحقيقة الأسماء

استحقاقُ الإنسان الخلافةَ الإلهيّة في الأرض

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

آياتٌ أربع (٣٠-٣٣) من سورة البقرة، تَحكي قصّة استخلاف الله تعالى لآدمَ عليه السلام على الأرض، واستحقاقه هذا المقام بما له ولذرّيّته من قابليّة علميّة لا تتوفّر حتّى للملائكة المقرّبين، وقد أضاءَ عليها العلّامة السّيد محمّد حسين الطّباطبائي في تفسيره (الميزان) بما لا مزيدَ عليه، مُنوِّهاً بأنّها على خلاف سائر قصص القرآن الكريم، لم تَرد إلّا في هذا المحلّ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة: ٣٠-٣٣.

***

* قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾: إنّ القولَ منه تعالى إيجادُ أمرٍ يدلُّ على المَعنى المقصود. فأمّا في التّكوينيات، فنفسُ الشيء الذي أوجدَه تعالى وخلَقه هو شيءٌ مخلوقٌ موجود، وهو بعينه قولٌ له تعالى، لدلالته بوجوده على خصوص إرادته سبحانه. فإنّ من المعلوم أنّه إذا أراد شيئاً فقال له كُنْ فكانَ، ليس هناك لفظٌ متوسِّط بينه تعالى وبين الشيء، وليس هناك غيرُ نفس وجودِ الشيء، فهو بعينه مخلوقٌ، وهو بعينه قولُه «كُن»، فقولُه سبحانه في التّكوينيّات نفسُ الفعل وهو الإيجاد، وهو الوجود، وهو نفسُ الشيء.

وأمّا في غير التّكوينيّات، كمَورد الإنسان مثلاً، فالقولُ منه سبحانه بإيجاده تعالى أمراً يُوجِبُ علماً باطنيّاً في الإنسان بأنْ كذا وكذا، وذلك إمّا بإيجاد صوتٍ عند جسمٍ من الأجسام، أو بنَحوٍ آخر لا نُدركُه، أو لا نُدركُ كيفيّة تأثيره في نفس الإنسان [الأنبياء مثلاً]، بحيث يوجَد معه علمٌ في نفسه بأنْ كَذا وكذا.

وكذلك القولُ في قوله تعالى للملائكة أو الشّيطان، لكنْ يختصّ هذان النّوعان وما شابهَهما، لو كان لهما شبيهٌ بخصوصيّة، وهي أنّ الكلامَ والقول المعهود فيما بيننا إنّما هو باستخدام الصّوت، أو الإشارة بضميمة الاعتبار الوضعيّ، الذي يستوجبُه فينا فطرتُنا الحيوانيّة الاجتماعيّة، ومن المعلوم - على ما يُعطيه كلامُه تعالى - أنّ المَلَك والشّيطانَ ليس وجودُهما من سِنخ وجودنا الحيوانيّ الاجتماعيّ، وليس في وجودهما هذا التّكامل التّدريجيّ العلميّ الذي يستدعي وضعَ الأمور الاعتباريّة.

ويظهر من ذلك أن ليس فيما بين الملائكة ولا فيما بين الشّياطين هذا النّوعُ من التّفهيم والتّفهّم الذّهنيّ المستخدَم فيه الاعتبارُ اللّغويّ والأصواتُ المؤلَّفة الموضوعة للمعاني، وعلى هذا، فلا يكونُ تحقّقُ القول فيما بينهم أنفسهم نظيرَ تحقُّقه فيما بيننا أفرادَ الإنسان بصدور صوتٍ مؤلّفٍ تأليفاً لفظيّاً وضعيّاً من فمٍ مشقوق ينضمّ إليه أعضاءٌ فعّالةٌ للصّوت من واحدٍ، والتّأثّرُ من ذلك بإحساس أُذُنٍ مشقوقٍ ينضمّ إليها أعضاءٌ آخذةٌ للصّوت المقروعِ من واحدٍ آخر، لكنْ حقيقةُ القول موجودةٌ فيما بين نوعَيهما، بحيث يترتّب عليه أثرُ القول وخاصّتُه: وهو فهمُ المعنى المقصود وإدراكُه، فبَين الملائكة أو الشّياطين قولٌ لا كنَحو قولنا، وكذا بين الله سبحانه وبينَهم قولٌ لا بنحو إيجادِ الصّوت واللّفظ الموضوع وإسماعه لهم.

انطواء الإنسان على سرٍّ، يُتدارَك به أمرُ الفساد

* قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..﴾ مُشعِرٌ بأنّهم إنّما

فهموا وقوعَ الإفساد وسَفْكِ الدّماء من قوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، حيث إنّ الموجودَ الأرضيّ بما أنّه ماديٌّ مركّبٌ من القوى الغضبيّة والشّهويّة، والدّارُ دارُ التّزاحم، محدودةُ الجهات، وافرةُ المُزاحمات، مُرَكّباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتُها وإصلاحاتها في مظنّة الفساد ومصبّ البطلان، لا تتمّ الحياة فيها إلّا بالحياة النّوعيّة، ولا يكمُلُ البقاء فيها إلّا بالاجتماع والتّعاون، فلا تخلو [هذه الدّار] من الفساد وسَفْكِ الدّماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافةَ المُرادةَ لا تقعُ في الأرض إلّا بكَثْرةٍ من الأفراد، ونظامٍ اجتماعيٍّ بينَهم يُفضي بالنّهاية إلى الفساد والسّفك.

والخلافةُ، وهي قيامُ شيءٍ مقامَ آخر، لا تتِمُّ إلّا بكون الخليفة حاكياً للمستخلِف في جميع شؤونه الوجوديّة، وآثاره، وأحكامه، وتدابيره بما هو مستخلِف، واللهُ سبحانه في وجوده مسمًّى بالأسماء الحسنى، متّصفٌ بالصّفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزّهٌ في نفسه عن النّقص، ومقدّسٌ في فعله عن الشّر والفساد جلّت عظَمتُه، والخليفةُ الأرضيّ بما هو كذلك لا يليقُ بالاستخلاف، ولا يَحكي بوجوده المَشوبِ بكلّ نقصٍ وشَينٍ الوجودَ الإلهيّ المقدّس، المنزّهَ عن جميع النّقائص وكلّ الأعدام، فأينَ التّرابُ وربُّ الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرُّفِ ما جهلوه، واستيضاحِ ما أَشكَل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليسَ من الاعتراض والخصومةِ في شيء.

فمُلخَّصُ قولِهم يعود إلى أنّ جَعْلَ الخلافة إنّما هو لأجل أن يحكيَ الخليفةُ مستخلِفَه، بتسبيحه بحمدِه، وتقديسِه له بوجوده، والأرضيّةُ لا تدَعُهُ يفعلُ ذلك، بل تجرُّهُ إلى الفساد والشّرّ، والغايةُ من هذا الجَعل، وهي التّسبيحُ والتّقديس بالمعنى الذي مرّ من الحكاية، حاصلةٌ بتَسبيحنا بحَمدِك وتقديسِنا لك، فنحن خلفاؤك، أو فاجعلنا خلفاءَ لك، فما فائدةُ جعلِ هذه الخلافة الأرضيّة لك؟ فردَّ اللهُ سبحانه ذلك عليهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ ..﴾. وهذا السّياق، يُشعر:

أوّلاً: بأنّ الخلافةَ المذكورة إنّما كانت خلافةَ الله تعالى لا خلافةَ نوعٍ من الموجود الأرضيّ كانوا في الأرض قبل الانسان وانقرضوا، ثمّ أراد الله تعالى أن يخلفَهم بالإنسان كما احتملَه بعضُ المفسّرين، وذلك لأنّ الجواب الذي أجابَ سبحانه به عنهم - وهو تعليمُ آدمَ الأسماء - لا يناسبُ ذلك، وعلى هذا فالخلافةُ غيرُ مقصورةٍ على شخصِ آدمَ عليه السّلام، بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص، ويكون معنى «**تعليم الأسماء**» إيداعَ هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثارُه تدريجاً دائماً، ولو اهتدى إلى السّبيل أمكنَه أن يُخرجَه من القوّةِ إلى الفعل، ويؤيّد عمومَ الخلافة قولُه تعالى: ﴿..إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ..﴾ الأعراف:٦٩، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ..﴾ يونس:١٤، وقوله تعالى: ﴿..وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ..﴾ النمل: ٦٢.

وثانياً: إنّه سبحانه لم ينفِ عن خليفة الأرض الفسادَ وسَفْكَ الدّماء، ولا كذّبَ الملائكةَ في دعواهم التّسبيحَ والتّقديس، وقرّرهم على ما ادّعوا، بل إنّما أبدى شيئاً آخر، وهو أنّ هناك أمراً لا يقدرُ الملائكةُ على حملِه ولا تتحمّلُه، ويتحمّلُه هذا الخليفةُ الأرضيّ، فإنّه يحكي عن الله سبحانه أمراً، ويتحمّلُ منه سرّاً ليس في وسع الملائكة، ولا محالةَ يتدارك بذلك أمر الفساد وسفْك الدّماء.

الّذين عرَضَهم اللهُ على الملائكة موجوداتٌ عاليةٌ محفوظةٌ عندَه تعالى، أنزلَ اللهُ سبحانه كلَّ اسمٍ في العالَم بخيرها وبركتِها، واشتقّ كلَّ ما في السّماوات والأرض من نورها وبهائها.

القولُ من الله تعالى إيجادُ الشّيء، وفي غير التّكوينيّات قولُه سبحانه هو إيجادُ أمرٍ يُوجِبُ علماً باطنيّاً.

الخليفةُ الأرضيُّ يَحكي عن الله سبحانه أمراً، ويتحمّلُ منه سرّاً تعجزُ الملائكةُ عن تحمُّله.

عِلمُ آدم عليه السلام بـ «حقيقة الأسماء»

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ..﴾، مُشعِرٌ بأنّ هذه الأسماء، أو أنّ مسمّياتِها كانوا موجوداتٍ أحياء، عقلاء، مَحجوبين تحت حجاب الغيب، وأنّ العِلمَ بأسمائهم كان غيرَ نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلّا كانت الملائكةُ بإنباء آدمَ إيّاهم بها عالمين وصائرين مثل آدم، مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرامٌ لآدم ولا كرامة، حيث علّمَه اللهُ سبحانه أسماء ولم يعلِّمْهم، ولو علّمَهم إيّاها كانوا مثلَ آدم أو أشرفَ منه، ولم يكن في ذلك ما يُقنِعُهم أو يُبطِلُ حجّتَهم، وأيُّ حجّةٍ تتمّ في أن يعلّمَ اللهُ تعالى رجلاً عِلْمَ اللّغة ثمّ يباهي به ويُتمّ الحجّةَ على ملائكة مُكرَمين ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء:٢٧، بأنّ هذا خليفتي وقابلٌ لكرامتي دونكم؟ ويقول تعالى: أنبئوني باللّغات التي سوف يضعُها الآدميّون بينهم للإفهام والتّفهيم إنْ كنتم صادقين في دَعواكم أو مسألتكم خلافتي؟ على أنّ كمال اللّغة هو المعرفة بمقاصد القلوب، والملائكةُ لا تحتاجُ فيها إلى التّكلّم، وإنّما تتلقّى المقاصدَ من غير واسطة، فلَهم كمالٌ فوق كمال التّكلّم، وبالجملة، فما حصلَ للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء، هو غيرُ ما حصلَ لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليمٍ من الله تعالى، فأحدُ الأمرَين كان ممكناً في حقّ الملائكة وفي مقدرتِهم دون الآخر، وآدمُ إنّما استحقّ الخلافةَ الإلهيّة بالعلم بالأسماء دون إنبائها، إذ الملائكةُ إنّما قالوا في مقام الجواب: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ..﴾، فنفوا العلم.

فقد ظهرَ ممّا مرّ أنّ العلمَ بأسماء هؤلاء المسمّيات يجب أن يكون بحيث يكشفُ عن حقائقِهم وأعيان وُجوداتِهم، دون مجرّد ما يتكفّلُه الوضعُ اللّغويّ من إعطاء المفهوم، فهؤلاء المسمّياتُ المعلومة حقائقُ خارجيّةٌ، ووجوداتٌ عينيّة، وهي مع ذلك مستورةٌ تحت ستر الغيب، غيبِ السّماوات والأرض، والعلمُ بها على ما هي عليها كان أوّلاً ميسوراً ممكناً لموجودٍ أرضيٍّ لا ملَكٍ سماويّ، وثانياً: دخيلاً في الخلافة الإلهيّة.

وإذا تأمّلتَ هذه الجهات، أعني عموم الأسماء وكونَ مسمّياتها أُولي حياةٍ وعلم، وكونَها غيبَ السّماوات والأرض، قضيتَ بانطباقها بالضّرورة على ما أُشيرَ إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الحجر:٢١، حيث أخبرَ سبحانه بأنّ كلّ ما يقعُ عليه اسمُ شيءٍ فلَه عنده تعالى خزائنُ مخزونة، باقيةٌ عنده غير نافدة، ولا مقدّرة بقدر، ولا محدودة بحدّ، وأنّ القَدْر والحدّ في مرتبة الإنزال والخَلق، وأنّ الكثرة التي في هذه الخزائن ليست من جنس الكثرة العدديّة الملازمة للتّقدير والتّحديد، بل تعدُّد المراتب والدّرجات..

فتحصّل أنّ هؤلاء الذين عرَضَهم اللهُ على الملائكة موجوداتٌ عاليةٌ محفوظةٌ عندَه تعالى، محجوبةٌ بحُجُبِ الغَيب، أنزلَ اللهُ سبحانه كلَّ اسمٍ في العالَم بخيرها وبركتِها، واشتقّ كلَّ ما في السّماوات والأرض من نورها وبهائها، وأنّهم على كَثرتهم وتعدُّدهم لا يتعدّدون تعدّدَ الأفراد، ولا يتفاوتون تفاوتَ الأشخاص، وإنّما يدور الأمرُ هنا كمدار المَراتب والدّرجات، ونزولُ الاسم من عند هؤلاء إنّما هو بهذا القِسم من النّزول.

(مختصَر عن الجزئين الأوّل والثّاني)

مناسبات شهر ذي القعدة

إعداد: صافي رزق

١ ذي القعدة

* ١٧٣ هجريّة: ولادة السّيّدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السّلام.
* ٦ هجريّة: صلح الحُديبيّة.

١١ ذي القعدة/ ١٤٨ هجريّة

ولادة الإمام الرّضا عليه السّلام في المدينة المنوّرة.

١٢ ذي القعدة/ ٥ هجريّة

حصار النّبيّ صلّى الله عليه وآله لبني قريظة.

٢٣ ذي القعدة/ ٢٠٣ هجريّة

شهادة الإمام الرّضا عليه السّلام (على رواية).

٢٥ ذي القعدة

* دَحْو الأرض، ونزول الحجر الأسود وقواعد الكعبة من الجنّة.
* ١٠ هجريّة: خروج النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع.

٣٠ ذي القعدة/ ٢٢٠ هجريّة

شهادة الإمام الجواد عليه السّلام.

أبرز مناسبات ذي القعدة

❖ خروج النّبيّ ﷺ إلى حجّة الوداع ❖ ولادة الإمام الرّضا عليه السلام وشهادته ❖ شهادة الإمام الجواد عليه السلام

❖ ولادة السّيّدة المعصومة عليها السلام ❖ يوم دَحْو الأرض ❖ صلح الحديبيّة

تُقدِّم «شعائر» مُقتطفات من أمّهات المصادر ترتبطُ بأبرزِ مناسبات شهر ذي القعدة، كمَدخلٍ إلى حُسنِ التَّفاعل مع أيّامه المُباركة، مع الحِرْصِ على عنايةٍ خاصَّةٍ بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

اليوم ٢٥: خروج النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: «..**فَخَرَجَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله فِي أَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ**، "..." **حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ فِي سَلْخِ أَرْبَعٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَه وقَدْ كَانَ اسْتَلَمَه فِي أَوَّلِ طَوَافِه، ثُمَّ قَالَ:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ..﴾ البقرة:١٥٨، **فَأَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ الله تَعَالَى بِه، وإِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ شَيْءٌ صَنَعَه الْمُشْرِكُونَ فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا..﴾ البقرة:١٥٨..».

(الكافي، الكليني)

اليوم الحادي عشر ولادة الإمام الرّضا عليه السّلام

عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام [الإمام الكاظم] ونَحْنُ نُرِيدُ الْعُمْرَةَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَلْ تُثْبِتُ هَذَا الْمَوْضِعَ الَّذِي نَحْنُ فِيه؟ قَالَ: **نَعَمْ، فَهَلْ تُثْبِتُه أَنْتَ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، إِنِّي أَنَا وأَبِي لَقِينَاكَ هَاهُنَا وأَنْتَ مَعَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام ومَعَه إِخْوَتُكَ، فَقَالَ لَه أَبِي: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أَنْتُمْ كُلُّكُمْ أَئِمَّةٌ مُطَهَّرُونَ والْمَوْتُ لَا يَعْرَى مِنْه أَحَدٌ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ شَيْئاً أُحَدِّثْ بِه مَنْ يَخْلُفُنِي مِنْ بَعْدِي فَلَا يَضِلَّ، قَالَ: **نَعَمْ، يَا أَبَا عَبْدِ الله، هَؤُلَاءِ وُلْدِي وهَذَا سَيِّدُهُمْ** - وأَشَارَ إِلَيْكَ -[إلى الإمام الكاظم عليه السلام]، **وقَدْ عُلِّمَ الْحُكْمَ والْفَهْمَ والسَّخَاءَ والْمَعْرِفَةَ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْه النَّاسُ، ومَا اخْتَلَفُوا فِيه مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ودُنْيَاهُمْ، وفِيه حُسْنُ الْخُلُقِ، وحُسْنُ الْجَوَابِ، وهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الله عَزَّ وجَلَّ، وفِيه أُخْرَى خَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلِّه**، فَقَالَ لَه أَبِي: ومَا هِيَ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي؟ قَالَ عليه السلام: **يُخْرِجُ الله عَزَّ وجَلَّ مِنْه غَوْثَ هَذِه الأُمَّةِ وغِيَاثَهَا، وعِلْمَهَا ونُورَهَا وفَضْلَهَا وحِكْمَتَهَا، خَيْرَ مَوْلُودٍ وخَيْرَ نَاشِئٍ، يَحْقُنُ الله عَزَّ وجَلَّ بِه الدِّمَاءَ، ويُصْلِحُ بِه ذَاتَ الْبَيْنِ، ويَلُمُّ بِه الشَّعْثَ ويَشْعَبُ بِه الصَّدْعَ، ويَكْسُو بِه الْعَارِيَ ويُشْبِعُ بِه الْجَائِعَ ويُؤْمِنُ بِه الْخَائِفَ، ويُنْزِلُ الله بِه الْقَطْرَ ويَرْحَمُ بِه الْعِبَادَ، خَيْرُ كَهْلٍ وخَيْرُ نَاشِئٍ، قَوْلُه حُكْمٌ وصَمْتُه عِلْمٌ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيه..».**

(الكافي، الكليني)

اليوم الثّالث والعشرون شهادة الإمام الرّضا عليه السلام

عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ قال: «سألتُ أبا الصّلت الهرويّ، فقلتُ لهُ: كيفَ طابَت نفسُ المأمون بقتلِ الرِّضا عليه السلام، مع إكرامِهِ ومحبَّتِهِ لَهُ، وما جَعل لَهُ مِن ولايةِ العَهْدِ بَعْدَه؟!

فقال: إنَّ المأمون إنّما كان يُكرِمُه ويُحبّه لِمعرفَتِهِ بِفضلِه، وجَعَلَ لَهُ ولايةَ العَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِيَرى النّاسُ أنّهُ راغِبٌ في الدُّنيا فيسقط محلّه من نُفوسِهم، فلمّا لَمْ يَظهر منه في ذلك للنّاسِ إلّا ما ازدادَ به فَضلاً عندهم ومَحلاً في نفوسِهم، جَلَبَ عليهِ المُتكلِّمين من البُلدان طَمَعاً في أنْ يَقطعهُ واحدٌ منهُم، فيَسقط محلّه عند العلماء [وبسببهم] يَشتهر نقصه عند العامّة. فكان لا يكلِّمهُ خصمٌ من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين والبراهمة والملحدين والدّهريّة، ولا خصمٌ من فِرَقِ المسلمين المخالفين إلّا قَطَعَهُ وألزَمَهُ الحُجّة.

وكان النّاس يقولون: والله إنّه أَوْلَى بالخلافة من المأمون، وكان أصحابُ الأخبار يَرفعون ذلكَ إليه، فيَغتاظ من ذلك ويَشتدّ حَسَدُه له،

وكان الرّضا عليه السّلام لا يُحابي المأمون مِن حقٍّ، وكان يُجيبُه بما يَكره في أكثرِ أحواله، فيُغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له، فلمّا أعيتْه الحيلةُ في أمرِهِ اغتالَه، فقتَلَهُ بالسّمّ».

(عيون أخبار الرّضا، الشّيخ الصّدوق)

اليوم الأخير: شهادة الإمام الجواد عليه السّلام

* عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: «قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَطُوفَ عَنْكَ وعَنْ أَبِيكَ فَقِيلَ لِي إِنَّ الأَوْصِيَاءَ لَا يُطَافُ عَنْهُمْ، فَقَالَ لِي: **بَلْ طُفْ مَا أَمْكَنَكَ فَإِنَّه جَائِزٌ**، ثُمَّ قُلْتُ لَه بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ سِنِينَ: إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْذَنْتُكَ فِي الطَّوَافِ عَنْكَ وعَنْ أَبِيكَ فَأَذِنْتَ لِي فِي ذَلِكَ فَطُفْتُ عَنْكُمَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ وَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ فَعَمِلْتُ بِه، قَالَ: **ومَا هُوَ؟** قُلْتُ: طُفْتُ يَوْماً عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، فَقَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: **صَلَّى الله عَلَى رَسُولِ الله**، ثُمَّ الْيَوْمَ الثَّانِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ طُفْتُ الْيَوْمَ الثَّالِثَ عَنِ الْحَسَنِ عليه السلام، والرَّابِعَ عَنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، والْخَامِسَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، والسَّادِسَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، والْيَوْمَ السَّابِعَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، والْيَوْمَ الثَّامِنَ عَنْ أَبِيكَ مُوسَى عليه السلام، والْيَوْمَ التَّاسِعَ عَنْ أَبِيكَ عَلِيٍّ عليه السلام، والْيَوْمَ الْعَاشِرَ عَنْكَ يَا سَيِّدِي وهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدِينُ الله بِوَلَايَتِهِمْ، فَقَالَ: **إِذَنْ والله تَدِينُ الله بِالدِّينِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَه**، قُلْتُ: ورُبَّمَا طُفْتُ عَنْ أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام، ورُبَّمَا لَمْ أَطُفْ، فَقَالَ: **اسْتَكْثِرْ مِنْ هَذَا فَإِنَّه أَفْضَلُ مَا أَنْتَ عَامِلُه إِنْ شَاءَ الله**».

(الكافي، الكليني)

اليوم الأوّل: ولادة السّيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السّلام

السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليه السلام، فقدتْ أباها وهي في مقتبَل العمر، إلّا أنّ أخاها الإمام الرّضا عليه السلام كَفِلَها وأولاها العناية الخاصّة، فعاشت في كَنَفِه صلوات الله عليه تأخذُ عنه العلمَ والحكمة حتّى غَدَت ذات علمٍ وروايةٍ ومقامٍ رفيع. وقد ورد أنّ الإمام الرّضا عليه السلام لقّبها بـ«**المعصومة**»، استناداً إلى الحديث المرويّ عنه عليه السّلام: «**مَن زَارَ الْمَعْصُومَةَ بِقُم كَمَنْ زَارَنِي**».

(الفاطمة المعصومة، محمّد علي المعلّم)

اليوم الخامس والعشرون: دَحْو الأرض

يوم دَحْو الأرض هو اليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة، حيث ورد في حديثٍ معتبَر عن الرّضا عليه السلام: «**إنّ الأرضَ دُحِيَت وانبَسَطَت من تحت الكعبة المُشَرَّفة في هذا اليوم، وفي ليلته وُلد إبراهيم عليه السَّلام، ووُلِدَ فيها عيسى ابن مريم عليه السَّلام**». ومضافاً إلى ذلك ورد في هذا اليوم إنزال الكعبة والرّحمة من السّماء على آدم.

(بناء الجماعة الصّالحة، السّيّد الحكيم)

اليوم الأوّل: صلح الحديبيّة

«قال الطّبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح:١، (قيل: المراد بالفتح هنا صلح الحديبيّة، وكان فتحاً بغير قتال)، وقال الزّهريّ: (لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبيّة، وذلك أنّ المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامَهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلقٌ كثيرٌ، وكثر بهم سواد الإسلام). وقال الشّعبيّ: (بويع بالحديبيّة بيعة الرّضوان، وأطعم نخيل خيبر، وظهرت الرّوم على فارس، وفرح المسلمون بظهور أهل الكتاب، وهم الرّوم، على المجوس، إذ كان فيه مصداق قوله تعالى إنّهم ﴿..سَيَغْلِبُونَ﴾ الرّوم:٣، وبلغ الهديُ محلّه).

والحديبيّة: بئر. ورُوي أنّه نفد ماؤها فظهر فيها من أعلام النّبوّة ما اشتهرت به الرّوايات، قال البراء بن عازب: (تعدّون أنتم الفتح فتح مكّة، وقد كان فتح مكّة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرّضوان يوم الحديبيّة، كنّا مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله أربع عشرة مائة، والحديبيّة: بئر، فنزحناها فما ترك منها قطرة، فبلغ ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وآله فأتاها فجلس على شفيرها، ثمّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فتوضّأ ثمّ تَمَضْمَضَ ودعا ثمّ صبّه فيها وتركها، ثمّ إنّها أصدَرَتنا نحن وركابنا)».

(بحار الأنوار، العلامة المجلسيّ)

بالكلام ابْيَضَّتِ الوُجُوه، واسْوَدَّت
كلامُكَ من عملك، مذخورٌ في صحيفَتك

إعداد: محمد ناصر

مجموعةٌ مختارة من الأحاديث الشّريفة، تبيّن مدى خطورة الكلام في فلاح المرء أو هوانه، وأنّه من العمل، يُحاسَب عليه خيراً أو شرّاً. يليها توضيح وبيان للفقيه النّراقيّ من كتابه (جامع السّعادات) للفرق بين الخوْض في ما لا يعني وفضول الكلام، وكلاهما خسارة.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الرّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رضْوانِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَت، يَكتب اللهُ تَعالى لَهُ بها رِضْوانَهُ إلى يَوْمِ يَلْقاه، وإنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ سخطِ اللهِ ما كانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلغَ مَا بَلَغَت، يَكتبُ اللهُ لَهُ بها سخطه إلى يَوْمِ يَلْقَاه».
* الإمام عليّ عليه السلام: «مَغْرِسُ الكَلامِ القَلْبُ، ومُسْتَوْدَعُهُ الفِكْرُ، ومُقَوِّمُهُ العَقْلُ، ومُبْدِيهِ اللّسانُ، وجِسْمُهُ الحرُوفُ، ورُوحُهُ المَعْنَى، وحِلْيَتُهُ الإعْرابُ، ونِظَامُهُ الصَّواب».
* وعنه عليه السّلام: «..ومَا خَلَقَ اللهُ عَزّ وَجَلّ شَيئاً أحسنَ مِنَ الكَلامِ وَلَا أَقْبَحَ مِنْهُ، بِالكَلامِ ابْيَضَّتِ الوُجُوه، وبالكلامِ اسْوَدَّتِ الوُجوه».

الحَثُّ على تَرْكِ مَا لا يَعني مِن الكلام

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ الكَلام في ما لا يَعْنِيه».
* وعنه صلّى الله عليه وآله: «أكثر النّاس ذنوباً أكثرهم كلاماً في ما لا يعنيه».
* الإمام عليّ عليه السلام لَمّا مَرَّ بِرَجُلٍ يتكلّم بفضول الكلام: «إنَّكَ تُمْلِي على حَافِظَيْكَ كِتَاباً إلى رَبِّكَ، فَتَكَلَّمْ بِمَا يَعْنِيكَ وَدعْ مَا لا يَعْنِيك».
وعنه عليه السّلام: «إيَّاكَ وفُضُولَ الكَلام، فَإنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَنَ، وَيُحَرِّكُ عَلَيْكَ مِنْ أَعْدَائِكَ مَا سَكَن».
* الإمام الحسين عليه السلام لابن عباس: «لا تَتَكَلَّمَنَّ في ما لا يَعْنِيكَ فَإنِّي أَخافُ عليكَ الوِزْرَ، ولا تَتَكَلَّمَنَّ في ما يَعْنِيكَ حتّى تَرى لِلْكلامِ مَوْضِعاً».

اعتبار الكلام من العمل

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ مَنْ حَسبَ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إلَّا في ما يَعْنِيه».
* الإمام عليّ عليه السلام: «كَلامُكَ مَحْفُوظٌ عَلَيْكَ مُخَلَّدٌ فِي صَحِيفَتِكَ، فاجْعَلْهُ في ما يُزْلِفُكَ».

قال العلماء

التّكلُّم بِما لا يعني أو بِالفضول، والمُراد **بالأوّل**: التّكلُّم بما لا فائدة فيه أصلاً، لا في الدِّين ولا في الدُّنيا، **والثّاني**: أعَمّ منه، إذ يتناول الخوض في ما لا يعني والزّيادة في ما يعني عن قدر الحاجة؛ فإنَّ مَن يعنيه أمرٌ ويتمكّن من تقريره وتأديته وتأدية مقصوده بكلمةٍ واحدة، ومع ذلك ذكر كلمتَين، فالثّانية فضول، أي فضل عن الحاجة. ولا ريبَ في أنَّ التّكلُّم بِما لا يعني وبالفضول مذموم، وإن لم يكن فيه إثم، والسِّرّ في ذمّه أنّه يوجب تضييع الوقت، والمنع من الذِّكر والفِكر، فمَن ترك ذكرَ الله والفِكرَ في عجائب قدرته، واشتغل بِمباحٍ لا يعنيه، وإن لم يأثَم، إلّا أنّه قد خسر، حيث فاته الرّبح العظيم بذكر الله وفكره. فإنّ رأسَ مال العبد أوقاتُه، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه، ولم يدّخر بها ثواباً في الآخرة، فقد ضيّع رأس ماله.

(جامع السّعادات - مختصر)

من فتاوى الفقهاء

سجدة التّلاوة، وقضاء الصّلاة

إعداد: «شعائر»

وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

س: هل يعتبر في سجدة التّلاوة جميع ما يعتبر في سجود الصّلاة؟

ج: يعتبر في هذا السّجود - بعد تحقّق مسمّاه - النّيّة وإباحة المكان، والأحوط وضع المواضع السّبعة ووضع الجبهة على ما يصحّ السّجود عليه وإن كان الاقوى عدم اللّزوم، نعم الأحوط ترك السّجود على المأكول والملبوس، بل عدم الجواز لا يخلو من وجه. ولا يُعتبَر فيه الاستقبال ولا الطهارة من الحدث والخبث ولا طهارة موضع الجبهة ولا ستر العورة. وليس في هذا السّجود تشهّد ولا تسليم ولا تكبيرة افتتاح، نعم يُستحبّ التّكبير للرّفع عنه. ولا يجب فيه الذّكر، بل يُستحبّ ويكفي مطلقه والأولى أن يقول: «**لا إلهَ إلّا اللهُ حقّاً حقّاً، لا إله إلّا اللهُ إيماناً وتصديقاً، لا إله إلّا الله عبوديّةً ورِقّاً، سجدتُ لك يا ربِّ تعبّداً ورِقّاً لا مُستنكِفاً ولا مُستكبراً، بل أنا عبدٌ ذليلٌ خائفٌ مُستجير**».

س: مَن أراد أن يقضي صلاة سنة، فكيف يجب أن يأتي بها؟ هل يمكنه أداء جميع صلوات الصّبح أولاً ثم جميع صلوات الظّهر وهكذا... أم يجب عليه أن يؤدّي جميع الفرائض الخمس من كلّ يوم ثمّ فرائض اليوم الثّاني وهكذا إلى نهاية السّنة؟ وإذا لم يعلم عدد الصّلوات الفائتة فما هو تكليفه؟

ج: لا يعتبر في القضاء كيفية خاصّة، نعم تجب مراعاة التّرتيب بين الظّهرين من كلّ يوم وكذلك العشاءين. وفي صورة الشّكّ في عدد الصلوات الفائتة يجزي قضاء المقدار المتيقّن فواته منها.

س: هل تبطل الصّلاة بالإتيان بشهادة ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام في التّشهّد؟ وما هو حكم الإتيان بها في الأذان أو الإقامة؟

ج: الشّهادة بالولاية لمولى الموحّدين عليه السّلام ليست جزءاً من الأذان والإقامة والتّشهّد ولا يجوز إتيانها بقصد الجزئيّة، ولكن لا إشكال في إتيانها إذا كان بعنوان إظهار الإيمان وإن كان الأفضل في الصّلاة والتّشهّد - الّذي هو أحد أجزائها - أن يقتصر على ما هو مذكور في الرّسائل العمليّة وأن لا يؤتى بأمورٍ زائدة على ذلك حتّى وإن كانت كلام حقّ وصحيحة.

(نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لمكتب الإمام الخامنئيّ دام ظلّه)

المرجع الدّيني الكبير السّيّد السّيستانيّ دام ظلّه

س: بعض أنواع السّجّاد مصنوعة من مادّة مستخرجة من مشتقّات النفط، فهل يجوز السّجود عليها؟

ج: لا يصحّ السّجود عليها.

س: هل يجوز السّجود على أوراق الكتابة، وعلى المحارم الورقيّة (الكلينكس)، ونحن لا ندري من أيّ مادّة صنعت، وهل مادّتها الأولى ممّا يصحّ السّجود عليه، أم لا؟

ج: لا يجوز السّجود على المحارم الورقيّة إلّا بعد التّأكّد من أنّها صُنعت ممّا يصحّ السّجود عليه، ويجوز السّجود على القرطاس إذا لم يكن مصنوعاً من الحرير.

س: تشغّل الشّركات والمؤسّسات الكبيرة في الدّول الغربيّة وغيرها مجاميع من الموظفين يداومون في مكاتبها وهم لا يعلمون شيئاً عن ملكيّة المكان، فما هو الحكم بالنّسبة إلى:

١. الصّلاة فيها والوضوء بمياهها؟

ج: لا مانع من الصّلاة فيها، والوضوء بمياهها، ما لم يُعلم غصبها من محترم المال.

٢. حكم الصّلوات السّابقة إذا كانت الصّلاة بها مشكلة؟

ج: إذا تبيّن بعد الصّلاة كون المكان مغصوباً صحّت صلاته.

س: كيف نعرف منتصف اللّيل؟ وهل السّاعة الثّانية عشرة مساءً علامة عليه، كما هو شائع الآن عند بعض النّاس؟

ج: منتصف اللّيل هو منتصف ما بين غروب الشّمس وطلوع الفجر، فإذا غربت الشّمس في السّاعة السّابعة مساء، وطلع الفجر في السّاعة الرابعة صباحاً، كان منتصف تلك اللّيلة في تمام السّاعة الحادية عشرة والنّصف مساءً، فالمتّبع لتحديد منتصف اللّيل هي مواعيد الغروب والطّلوع المختلفة باختلاف الأزمنة والأمكنة.

(مسألة): يقول الفقهاء: إنَّ الصّلاةَ لا تسقطُ بحال، ومعنى ذلك أنّها لا تسقطُ في السّفر ولا في الحَضَر، فلو ضاقَ وقتُ الصّلاة وجبَ على المسلم، المسافرِ مثلاً، أداءُ صلاتِه في الطّائرة، أو الباخرة، أو السّيّارة، أو القطار، أثناء التّوقّف أو الحركة "...".

(الفقه للمُغتربين)

كمال الإنسان بالتّقوى

سِيَر العلماء الرّبّانيّين بمنزلة كُتُب الأخلاق

شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدس سره

مُختاراتٌ من ترجمةٍ خاصّة بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازةِ مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ بهجت، ويَتضمّن الكتاب توجيهات مركزيّة مختصَرة جرى اختيارُها بعنايةٍ من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

* ما أقرب الإنسان من **الموت**، ومع ذلك فما أكثر ما يظنّه بعيداً، وما أشدّ **غفلته** عنه!
* نَسري كلّ ليلة إلى **عوالم برزخيّة** [أثناء النّوم] لا نملك من الاختيار فيها شيئاً.. ومع ذلك فنحن غافلون عن الموت كلّ هذه الغفلة!

***

* إذا ما راعى الإنسان ما عليه من **واجبات**، فإنّ مقامه أسمى من مقام **الملائكة**؛ وعندها ﴿..لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس:٦٢.
* لقد أتاح لنا الأئمّة، عليهم السّلام، هذه **الأدعية** ليَرَونا **غرقى في الأنوار**.
* **حالة حضور القلب والدّعاء** هي الرَّوح والرّاحة: «**وفي مناجاتك رَوْحي وراحتي**».
* الله أعلم **بالآثار** الّتي تتضمنّها **العبادات البسيطة والمُختصرة**، إذا ما صدرت ممّن هم أهل لها.

***

* لقد جاء الأنبياء، عليهم السّلام، ليبعدونا عن **الدّنيا والرّكون إليها**.
* امتلاك متاع الحياة المرفّهة المريحة شيءٌ، وسلامة القلب وراحة النّفس وطمأنينتها شيءٌ آخر: ﴿..أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرّعد:٢٨، ولكنّنا نعتمد على الأسباب، ونحن عن ذكر مسبّب الأسباب غافلون.
* إنّ الله تعالى يريدنا أن نكون دائماً معه، وأن نكون على اتّصالٍ دائمٍ **بالينبوع**، وهذا ما فيه صلاحنا.
* كمال الإنسان بالتّقوى، **لا أقلّ من ذلك ولا أكثر**.
* يا ليتنا كنّا ندرك أنّ **حلّ كُلّ مشاكلنا** يكمن في أمرٍ واحدٍ لا غير؛ هو أن نحدّد ما **كلّفنا الله تعالى** به؛ فنعرف ما ينبغي علينا القيام به، وما ينبغي علينا تركه!

بعض العلماء بوصيّتهم أبناءهم بالصّلاة أوّل الوقت أو صلاة اللّيل، إنّما كانوا يضمنون لهم بذلك مستقبلهم.

* **العُجب والكبر والحسد** تمنع قبول الأعمال، ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿..إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة:٢٧.
* بعض العلماء بوصيّتهم أبناءهم **بالصّلاة أوّل الوقت أو صلاة اللّيل**، إنّما كانوا يضمنون لهم بذلك مستقبلهم.
* سِيَر العلماء (الرّبّانيّين) هي بمنزلة **كُتُب الأخلاق المعتبرة**.

***

*** يا لرحمة الله الواسعة الّتي تحيط بالمؤمنين المهتمّين بشؤون المسلمين الّذين يرفعون أكفّهم بالدّعاء والبكاء والتّضرّع والابتهال لكشف كلّ هذه البلايا والمصائب الّتي تحلّ بالمسلمين والمؤمنين.**

* إذا كنّا غير مبالين بأن **ندعو** لكشف الضّرّ عن أهل الإيمان، فإنّ ذاك الضّرّ سيمسّنا نحن أيضاً.
* **وظيفتنا** هي أن **نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر** ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وأمّا ما هي النّتيجة؟ فليست مقادير الأمور بأيدينا.
* نرجو أن **يوفّقنا الله**، عند امتحانه وابتلائه لنا، **فنتنبّه** ولا نرى المُنكَر معروفاً والمعروف مُنكَراً.. فنحن فاسدون، ونتمنّى من الله أن نفهم أنّنا فاسدون، لكي نعزم على **إصلاح ومعالجة أنفسنا!**
* **إنّ مخالطة الكفّار والتّشبّه بهم ومُجانستهم**، تجعل تسلّطهم على المسلمين وتحكّمهم فيهم أكثر سهولة!

الملف

الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام

ثامن الأئمّة الأسباط والنّقباء

اقرأ في الملف

استهلال	من الصّلوات الكبيرة المرويّة عن الإمام العسكريّ عليه السلام
النَّصّ على إمامة الإمام الرّضا عليه السّلام	الشيخ المفيد قدس سره
دولةُ بني العبّاس في صحيفة «ابن الحنفيّة»	السّيّد جعفر مرتضى
وثائق مهمّة عن «ولاية العهد»	الشّيخ باقر شريف القرشي دام ظله

قال الإمام الرضا عليه السلام:

إنّ الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء

استهلال

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا
الَّذِي ارتَضَيْتَهُ وَرَضَّيْتَ بِهِ مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ
اللَّهُمَّ وَكَمَا جَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ،
وَقَائِمًا بِأَمْرِكَ، وَنَاصِرًا لِدِينِكَ، وَشَاهِدًا عَلَى
عِبَادِكَ، وَكَمَا نَصَحَ لَهُمْ فِي السِّرِّ
وَالعَلَانِيَةِ، وَدَعَا إِلَى سَبِيلِكَ بِالحِكْمَةِ
وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، فَصَلِّ عَلَيْهِ
أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ
وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

المَجْلِسي: بحار الأنوار: ٧٦/٩١

تَفادياً لمخاطر ظاهرة «الواقفة»

النّصّ على إمامة الإمام الرّضا عليه السلام

الشّيخ المفيد قدس سره

باب ذكر الإمام القائم بعد أبي الحسن موسى (الكاظم) عليه السلام من ولده، وتاريخ مولده، ودلائل إمامته، ومبلغ سنّه، ومدّة خلافته، ووقت وفاته وسببها، وموضع قبره، وعدد أولاده، ومختصر من أخباره.
ما يلي تحرير هذا الباب من (كتاب الإرشاد: ص ٢٧٤). بتصرّفٍ يسير، مع إضافة حول اسم أمّ الإمام الرّضا عليه السلام، وإضافة فقرة من تتمّة حديث أورده الشّيخ المفيد وأشار إلى بقيّته.

قال الشّيخ المفيد عليه الرّحمة: وكان الإمام بعد أبي الحسن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصّادق) ابنه أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام:

١- لفضله على جماعة إخوته وأهل بيتِه، وظهور علمه وحلمه وورَعه واجتهاده، واجتماع الخاصّة والعامّة على ذلك فيه ومعرفتهم به منه.

٢- وبنصّ أبيه على إمامته عليه السّلام من بعده وإشارته إليه بذلك دون جماعة إخوته وأهل بيته.

وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة. وقُبض بطوسٍ من أرض خراسان، في صفر من سنة ثلاث ومائتين، وله يومئذ خمسٌ وخمسون سنة، وأمّه أم ولد يقال لها: أمّ البنين. وكانت مدّة إمامته وقيامه بعد أبيه في خلافته عشرين سنة.

توضيح: قال الشّيخ الصّدوق في (عيون أخبار الرّضا عليه السّلام: ك١، ص ٢٦):

«.. ذكرت حميدة (أمّ موسى بن جعفر عليه السلام): أنّها رأت في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله، (يقول) لها: **يا حميدة، هبي (نجمة) لابنك موسى فإنّه سيولد له منها خير أهل الأرض**، فوهبتها له، فلمّا وَلدت له الرّضا عليه السلام، سمّاها الطّاهرة، وكانت لها أسماء، منها نجمة، وأروى، وسَكَن وسُمان وتُكْتَم».

***

أضاف الشّيخ المفيد:

ممّن روى النّص على الرّضا عليّ بن موسى عليهما السلام بالإمامة من أبيه والإشارة إليه منه بذلك، من خاصّته وثقاته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته: داود بن كثير الرَّقّي، ومحمّد بن إسحاق بن عمّار، وعليّ بن يقطين، ونعيم القابوسي، والحسين بن المختار، وزياد بن مروان، والمخزوميّ، وداود بن سليمان، ونصر بن قابوس، وداود بن زربيّ، ويزيد بن سُلَيط، ومحمّد بن سنان.

١- عن **داود الرَّقّي** قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: جُعلت فداك، إنّي قد كبرت سنّي فخُذ بيدي وأنقِذني من النّار، مَن صاحبُنا بعدَك؟

قال: **فأشارَ إلى ابنِه أبي الحَسن فقال**: «**هَذا صاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي**».

٢- عن محمّد بن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السّلام: ألا تدلّني على مَن آخذُ عنه ديني؟

فقال: «هَذا ابْني عَلِيٌّ، إنَّ أَبي أَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَني إلَى قَبْرِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ لِي: يا بُنَيَّ، إنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلا قالَ: ﴿..إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾، وَإنَّ اللهَ إذا قالَ قَوْلاً وَفَى بِهِ».

٣- قال عليُّ بن يقطين: كنتُ عند العبد الصّالح (الإمام الكاظم عليه السّلام) فقال لي: «يا عَلِيَّ بْنَ يَقْطين، هَذا عليٌّ سَيِّدُ وُلْدِي، أَما إنِّي قَدْ نَحَلْتُهُ كُنْيَتِي»، وفي رواية أخرى «كُنْيَتِي»، فضرب هشام براحتِه جبهتَه، ثمّ قال وَيْحَك، كيف قلتَ؟ فقال عليّ بن يقطين: سمعتُه واللهِ منه كما قلتُ، فقال هشام: إنّ الأمر، واللهِ، فيه من بعدِه.

٤- عن أبي الحسن موسى عليه السّلام قال: «ابْنِي عَلِيٌّ أَكْبَرُ وُلْدِي، وَآثَرُهُمْ عِنْدِي، وَأَحَبُّهُمْ إلَيَّ، وَهُوَ يَنْظُرُ مَعِي في الجَفْرِ، وَلَمْ يَنْظُرْ فيهِ إلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ».

٥- عن الحسين بن المختار قال: خرجتْ إلينا ألواحٌ من أبي الحَسن موسى عليه السّلام وهو في الحبس: «عَهْدِي إلَى أَكْبَرِ وُلْدِي أَنْ يَفْعَلَ كَذا وَأَنْ يَفْعَلَ كَذا، وَفُلانٌ لا تُنِلْهُ شَيْئاً حَتَّى أَلْقاكَ أَوْ يَقْضِي اللهُ عَلَيَّ المَوْتَ».

٦-عن (زياد بن مروان القنديّ) قال: دخلتُ على أبي إبراهيم (الكاظم) وعنده أبو الحسن (الرّضا) ابنه عليهما السّلام، فقال لي: «يا زِيادُ، هَذا ابْنِي فُلانٌ، كِتابُهُ كِتابِي، وَكَلامُهُ كَلامي، وَرَسولُهُ رَسولِي، وَما قالَ فَالقَوْلُ قَوْلِي».

٧- عن محمّد بن الفضيل قال: حدّثني المخزوميّ - وكانت أمّه من وُلد جعفر بن أبي طالب - قال: بعثَ إلينا أبو الحسن موسى فجمعَنا، ثمّ قال: «أَتَدْرونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟»، فقلنا: لا، قالَ: «اشْهَدُوا أَنَّ ابْنِي هَذا وَصِيِّي، وَالقَيِّمُ بِأَمْرِي، وَخَليفَتِي مِنْ بَعْدِي، مَنْ كانَ لَهُ عِنْدِي دَيْنٌ فَلْيَأْخُذْهُ مِنِ ابْنِي هَذا، وَمَنْ كانَتْ لَهُ عِنْدِي عِدَةٌ فَلْيَتَنَجَّزْها مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ لِقائي فَلا يَلْقَني إلّا بِكِتابِهِ».

٨- عن داود بن سليمان قال: قلتُ لأبي إبراهيم عليه السّلام: إنّي أخاف أن يحدثَ حدثٌ ولا ألقاك، فأخبِرني مَن الإمامُ بعدَك؟ فقال: «ابْنِي فُلانٌ»، يعني أبا الحسن (الرّضا) عليه السّلام.

٩- عن نصر بن قابوس، قال: قلتُ لأبي إبراهيم عليه السّلام: إنّي سألتُ أباك: مَن الذي يكون من بعدك؟ فأخبرَني أنّك أنت هو، فلمّا تُوفِّي أبو عبد الله عليه السّلام، ذهبَ النّاسُ يميناً وشمالاً، وقلتُ بكَ أنا وأصحابي، فأخبِرني مَن الذي يكون بعدَك من وُلدك؟ قال: «ابْنِي فُلانٌ»، يعني أبا الحسن (الرّضا) عليه السّلام.

١٠-عن داود بن زربيّ قال: جئتُ إلى أبي إبراهيم (الكاظم) عليه السّلام بمال، فأخذَ بعضَه وتركَ بعضَه، فقلتُ: أصلحكَ الله، لأيّ شيء تركتَه عندي؟ فقال: «إنَّ صاحِبَ هَذا الأَمْرِ يَطْلُبُهُ مِنْكَ»، فلمّا جاء نعيُه بعثَ إليَّ أبو الحسن الرّضا عليه السّلام فسألَني ذلك المال، فدفعتُه إليه.

١١- عن أبي إبراهيم (الكاظم) عليه السّلام أنّه قال في السّنة التي قُبض عليه فيها: «إنِّي أُؤخَذُ في هَذِهِ السَّنَةِ، وَالأَمْرُ إلى ابْني عَلِيٍّ سَمِيِّ عَلِيٍّ وَعَلِيٍّ، فَأَمّا عَلِيٌّ الأَوَّلُ فَعَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ، وَأَمّا عَلِيٌّ الآخَرُ فَعَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ - صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ - أُعْطِيَ فَهْمَ الأَوَّلِ وَحِلْمَهُ، وَنَصْرَهُ، وَوَرَعَهُ، وَوِرْدَهُ، وَدينَهُ، وَمِحْنَةَ الآخَرِ وَصَبْرَهُ عَلى ما يَكْرَهُ...». في الحديث بطوله.

إنّ الإمامةَ خلافةُ اللهِ وخلافةُ رسولِه صلّى اللهُ عليه وآله

وبما أنّ الشّيخ المفيد قد صرّح بأنّه لم يُورد الحديثَ كلّه، نرجع إلى (الكافي) لنجد فيه بقيّة هذا الحديث، ونختار منها ما يلي:

«.. وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ هَارُونَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِي: يَا يَزِيدُ، وإِذَا مَرَرْتَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ وَلَقِيتَهُ، وَسَتَلْقَاهُ، فَبَشِّرْهُ أَنَّهُ سَيُولَدُ لَه غُلَامٌ أَمِينٌ مَأْمُونٌ مُبَارَكٌ، وَسَيُعْلِمُكَ أَنَّكَ قَدْ لَقِيتَنِي، فَأَخْبِرْهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا هَذَا الْغُلَامُ جَارِيَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَارِيَةَ، جَارِيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُبَلِّغَهَا مِنِّي السَّلَامَ فَافْعَلْ.

قَالَ يَزِيدُ: فَلَقِيتُ بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَدَأَنِي فَقَالَ لِي: يَا يَزِيدُ، مَا تَقُولُ فِي الْعُمْرَةِ؟ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ذَلِكَ إِلَيْكَ، وَمَا عِنْدِي نَفَقَةٌ. فَقَالَ سُبْحَانَ اللهِ، مَا كُنَّا نُكَلِّفُكَ وَلَا نَكْفِيكَ، فَخَرَجْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَابْتَدَأَنِي فَقَالَ: يَا يَزِيدُ، إِنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَثِيراً مَا لَقِيتَ فِيه جِيرَتَكَ وَعُمُومَتَكَ. قُلْتُ: نَعَمْ، ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ. فَقَالَ لِي: أَمَّا الْجَارِيَةُ فَلَمْ تَجِئْ بَعْدُ، فَإِذَا جَاءَتْ بَلَّغْتُهَا مِنْه السَّلَامَ.

فَانْطَلَقْنَا إِلَى مَكَّةَ فَاشْتَرَاهَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ، فَلَمْ تَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى حَمَلَتْ فَوَلَدَتْ ذَلِكَ الْغُلَامَ. قَالَ يَزِيدُ: وكَانَ إِخْوَةُ عَلِيٍّ يَرْجُونَ أَنْ يَرِثُوه فَعَادُونِي إِخْوَتُهُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّه لَيَقْعُدُ مِنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ بِالْمَجْلِسِ الَّذِي لَا أَجْلِسُ فِيه أَنَا..».

١٢- عن ابن سنان، قال: دخلتُ على أبي الحسن موسى (**الكاظم**) عليه السّلام من قبل أن يَقدم العراقَ بسَنة، وعليٌّ (**الرّضا**) ابنُه جالسٌ بين يدَيه، فنظر وقال: «**يا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ سَيَكونُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَرَكَةٌ فَلا تَجْزَعْ لِذَلِكَ**».

قال: قلتُ: وما يكون جعلَني اللهُ فداك، فقد أقلقتَني؟

قال: «**أَصيرُ إِلى هَذِهِ الطّاغِيَةِ، أَما إِنَّهُ (لَا يَبْدَأُنِي) مِنْهُ سُوءٌ وَلا مِنَ الذي يَكونُ مِنْ بَعْدِهِ**».

قال: قلتُ: وما يكون، جعلني اللهُ فداك؟

قال: «**يُضِلُّ اللهُ الظّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**».

قال: قلتُ: وما ذاك، جعلني اللهُ فداك؟

قال: «**مَنْ ظَلَمَ ابْنِي هَذا حَقَّهُ وَجَحَدَهُ إِمامَتَهُ مِنْ بَعْدِي، كانَ كَمَنْ ظَلَمَ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ، إِمامَتَهُ وَجَحَدَهُ حَقَّهُ بَعْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

قال: قلتُ: واللهِ لئن مدّ اللهُ لي في العمر لأُسَلِّمَنّ له حقَّه، ولأُقِرَّنّ بإمامته.

قال: «**صَدَقْتَ - يا مُحَمَّدُ - يَمُدُّ اللهُ فِي عُمُرِكَ، وَتُسَلِّمُ لَهُ حَقَّهُ، وَتَقِرُّ لَهُ بِإِمامَتِهِ وَإِمامَةِ مَنْ يَكونُ مِنْ بَعْدِهِ**».

قال: قلتُ: ومَن ذاك؟

قال: «**ابْنُهُ مُحَمَّدٌ**».

قال: قلتُ: له الرِّضى والتّسليم.

دولة بني العبّاس في صحيفة «محمد ابن الحنفيّة»

أسرار تأسيس الإمبراطوريّة

السّيّد جعفر مرتضى

نقل ابنُ أبي الحديد عن أبي جعفر الإسكافيّ، أنّه قد صحّت الرّواية أنّه: لمّا مات عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمّد ابن الحنفيّة من أخوَيه: الحسن، والحسين ميراثَه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو أطْلعاه على غيرها لهلَك، وكان في هذه الصّحيفة ذِكرُ لدولة بني العبّاس. فصرّح ابن الحنفيّة لعبد الله بن العبّاس بالأمر، وفصّله له.

في هذا السّياق كتب سماحة العلّامة المحقّق السّيّد جعفر مرتضى، في كتابه (الحياة السّياسيّة للإمام الرّضا عليه السلام)، واقتطفنا منه هذه المقالة باختصار وتصرّف، ومنه إدخالُ بعض الهوامش في المتن.

«شعائر»

الظّاهر أنّ صحيفة ابن الحنفية انتقلتْ منه لولده أبي هاشم، وعن طريقِه وصلت إلى بني العبّاس. ويقال: إنّها قد ضاعت منهم أثناء حربهم مع مروان بن محمّد الجعديّ، آخر خلفاء الأمويّين. وقد ذُكرت هذه الصّحيفة في كلام بني العبّاس، وخلفائهم كثيراً «..».

متى بدأ العبّاسيّون دعوتهم، وكيف؟

الذين بدأوا بالدّعوة أوّلاً هم العَلَويّون، وبالتّحديد من قِبل **أبي هاشم، عبد الله بن محمّد الحنفيّة**، وهو الذي نظّم الدّعاة، ورتّبَهم، وقد انضمّ تحت لوائه: **محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب**، وغيرهم.. وهؤلاء الثّلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، وأطلعَهم على أمر دُعاتِه.

وقد قرأ **محمّد بن عليّ، ومعاوية بن عبد الله** تلك الصّحيفة، المشار إليها آنفاً، ووجد كلٌّ منهما ذكراً للجهة التي هو فيها.

ولهذا نلاحظ: أنّ كُلّاً **من محمّد بن عليّ، ومعاوية بن عبد الله**، قد ادّعى الوصاية من أبي هاشم، ما يدلّ دلالة واضحة على أنّه لم يخصّص أيّاً منهما بالوصيّة، وإنّما عرّفهما دعاتَه فقط.

«..» وبعد موت **معاوية بن عبد الله** (بن جعفر بن أبي طالب)، قام ابنه **عبد الله** يدّعي الوصاية من أبيه – من أبي هاشم – وكان له في ذلك شيعة، يقولون بإمامته سرّاً حتى قُتل. وأمّا **محمّد بن عليّ بن العبّاس** فقد كان بمنتهى الحنكة والدّهاء، وقد تعرّف – كما تقدّم – من أبي هاشم على الدّعاة، واستطاع بما لديه من قوّة الشّخصيّة،

وحُسن الدّهاء أن يسيطر عليهم، ويستقلّ بهم، ويُبعدهم عن **معاوية بن عبد الله**، وعن ولده، و يبعدهما عنهم. واستمر **محمّد بن عليّ** يعمل بمنتهى الحذر والسّريّة. وقد اختار خراسان، فأرسل دعاته إليها.

لا بدّ من ربط الثّورة بأهل البيت

كان لا بدّ للعبّاسيّين من ربط الثّورة والدّعوة بأهل البيت عليهم السّلام، حيث إنّهم كانوا بحاجة إلى أن لا تقابَل دعوتهم بالاستغراب والاستهجان، حيث إنّهم لم يكونوا معروفين في أقطار الدّولة الإسلاميّة المُترامية الأطراف، ولا كان يعرف أحدٌ لهم حقّاً في الدّعوة لأنفسهم، كما هو الحال بالنّسبة إلى العلويّين، ما يجعل الدّعوة لهم مع وجود العلويّين مستغربة ومستهجنة.

وبالفعل لقد شيّد الخراسانيّون، الذين كانوا يحبّون أهل البيت، عليهم السّلام، أركانَ دولة بني العبّاس، وقامت خلافتُهم على أكتافهم، واستقامت لهم الأمور بفضل سواعدهم، وأسيافهم.

شيّد الخراسانيّون، المحبّون لأهل البيت، عليهم السّلام، أركانَ دولة بني العبّاس، وقامت خلافتُهم على أكتافهم، واستقامت لهم الأمور بفضل سواعدهم، وأسيافهم.

تخوُّف العبّاسيّين من العلويّين

وقد كان الخلفاء من بني العبّاس يدركون جيّداً مقدار نفوذ العلويّين، ويتخوّفون منه، منذ أيّامهم الأولى في السّلطة. وممّا يدلّ على ذلك:

أنّ السّفّاح، من أوّل عهده كان قد وضع الجواسيس على بَني الحسن، حيث قال لبعض ثقاته، وقد خرج وفد بني الحسن من عنده: «قُم بإنزالهم ولا تَأْلُ في ألطافهم (إلطافهم)، وكلّما خلوتَ معهم، فأظهر الميل إليهم، والتّحاملَ علينا، وعلى ناحيتنا، وأنّهم أحقُّ بالأمر منّا، وأحصِ لي ما يقولون، وما يكون منهم في مسيرهم، ومَقدمهم..».

كان الخلفاء من بني العبّاس يدركون جيّداً مقدار نفوذ العلويّين، ويتخوّفون منه، منذ أيّامهم الأولى في السّلطة.

وقد تنوعت هذه المراقبة، وتعدّدت أساليبها بعد عهد السّفّاح، يظهر ذلك لكلّ من راجع كُتب التّاريخ «..».

وحسبنا هنا بعد كلّ الذي قدّمناه، أن نذكر فقراتٍ من رسالة أبي بكر الخوارزميّ، التي أرسلها إلى أهل نيشابور.

بعد أن ذكر كثيراً من الطّالبيّين، الذين قتلهم الأمويّون، والعبّاسيّون - ومنهم الرّضا عليه السّلام الذي تسمّم بيد المأمون - يقول أبو بكر الخوارزمي:

«فلمّا انتهكوا [أي الأُمويّون] ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثمَ العظيم، غضبَ اللهُ عليهم، وانتزع المُلكَ منهم، فبعثَ عليهم (أبا مجرم) لا أبا مسلم، فنظر، لا نظرَ اللهُ إليه، إلى صلابة العلويّة، وإلى لِين العبّاسيّة، فترك تُقاه، واتّبعَ هواه، وباع آخرتَه بدنياه، بقَتلِه عبد الله بن

معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وسلّط طواغيتَ خراسان، وأكرادَ إصفهان. وخوارجَ سجستان على آل أبي طالب، يقتلُهم تحت كلّ حجرٍ ومدَر، ويطلبُهم في كلّ سهلٍ وجَبل، حتّى سلّطَ عليه أحبَّ النّاس إليه، فقتلَه كما قتل النّاسَ في طاعتِه، وأخذه بما أخذَ النّاس في بيعتِه، ولم ينفعه: أن أسخطَ اللهَ برضاه، وأنْ ركبَ ما لا يهواه، وخَلَتْ من الدّوانيقيّ الدّنيا، فخبطَ فيها عَسْفاً، وتقضّى فيها جوراً وحيفاً. وقد امتلأت سجونُه بأهل بيت الرّسالة، ومعدنِ الطّيب والطّهارة، قد تتبّع غائبَهم، وتلَقّطَ حاضرهم، حتّى قتل عبد الله بن محمّد بن عبد الله الحسنيّ بالسّند، على يد عمر بن هشام الثّعلبيّ، فما ظنُّك بمَن قرب متناوله عليه، وَلانَ مَسُّهُ على يديه.

وهذا قليلٌ في جنب ما قتلَه هارون منهم، وفعلَه موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجّه على الحسين بن عليّ بفخٍّ من موسى، وما اتّفق على عليّ بن الأفطس الحسينيّ من هارون، وما جرى على أحمد بن عليّ الزّيدي، وعلى القاسم بن عليّ الحسينيّ من حَبْسِه، وعلى غسّان بن حاضر الخزاعيّ، حين أُخذ من قبله، والجملة أنّ هارون مات وقد حصدَ شجرةَ النّبوّة، واقتلعَ غرسَ الإمامة. وأنتم، أصلحكم الله، أعظمُ نصيباً في الدّين من الأعمش، فقد شتَموه، ومن شريك، فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم، فقد أخافوه، ومن عليّ بن يقطين، فقد اتّهموه».

إلى أن يقول: بعد كلامٍ له عن بني أميّة: «.. وقُل في بني العبّاس، فإنّك ستجدُ بحمد الله مقالاً، وجُلْ في عجائبهم، فإنّك ترى ما شئتَ مجالاً.

يُجْبى فَيْؤُهُم، فيُفرَّق على الدّيلميّ، والتّركيّ، ويحتمَل إلى المغربيّ، والفرغانيّ. ويموت إمامٌ من أئمّة الهدى، وسيّدٌ من سادات بيت المصطفى، فلا تُتبَع جنازتُه، ولا تُحصَّص مقبرته، ويموت "..." لهم، أو لاعبٌ أو مسخرةٌ، أو ضاربٌ، فتحضر جنازتَه العدولُ والقضاة، ويعمرُ مسجدَ التّعزية عنه القوّادُ والولاة..

ويَسلمُ فيهم مَن يعرفونه دهريّاً، أو سوفسطائيّاً، ولا يتعرّضون لَمن يدرسُ كتاباً فلسفيّاً ومانويّاً، ويقتلون مَن عرفوه شيعيّاً، ويسفكون دم من سمّى ابنه عليّاً..

ولو لم يقتَل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن خنيس، قتيلِ داوود بن علي، ولو لم يحبَس فيهم غير أبي تراب المروزيّ، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، وثائرةً لا تُطفأ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا يلتحم.

وكفاهم أنّ شعراء قريش قالوا في الجاهليّة أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السّلام، ويعارضون فيها أشعار المسلمين، فحُملت أشعارهم. ودُوّنت

قال السّفّاح، لأحد ثقاته، وقد خرج وفد بني الحسن من عنده: «قُم بإنزالهم، وكلّما خلوتَ معهم، فأظهر الميل إليهم، والتّحاملَ علينا، وعلى ناحيتنا، وأنّهم أحقُّ بالأمر منّا، وأحصِ لي ما يقولون، وما يكون منهم في مسيرهم، ومَقدمهم..».

ولو لم يقتَل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن خنيس، ولو لم يحبَس فيهم غير أبي تراب المروزيّ، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، وثائرةً لا تُطفأ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا يلتحم.

أخبارهم، ورواها الرّواة، مثل: الواقديّ، ووهب بن منبه التّميميّ، ومثل الكلبيّ، والشّرقيّ ابن القطاميّ، والهيثم بن عديّ، ودأب بن الكناني، وأنّ بعض شعراء الشّيعة يتكلّم في ذِكر مناقب الوصيّ، بل ذِكر معجزاتِ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فيُقطَع لسانُه، ويمزَّق ديوانُه، كما فُعل بعبد الله بن عمّار البرقيّ، وكما أُريدَ بالكميت بن زيد الأسديّ، وكما نُبش قبر منصور بن الزّبرقان النّمري، وكما دمّر على دعبل بن عليّ الخزاعيّ، مع رِفقتِهم من مروان بن أبي حفصة اليماميّ، ومن عليّ بن الجهم الشّامي. ليس إلّا لغلوّهما في النّصب، واستيجابهما مقتَ الرّبّ، حتّى إنّ هارون بن الخيزران، وجعفراً المتوكّل على الشّيطان، لا على الرّحمن، كانا لا يُعطيان مالاً، ولا يَبذلان نوالاً، إلّا لمَن شتم آل أبي طالب، ونصرَ مذهبَ النّواصب، مثل: عبد الله بن مصعب الزّبيريّ، ووهب بن وهب البختريّ، ومن الشّعراء مثل: مروان بن أبي حفصة الأمويّ، ومن الأدباء مثل: عبد الملك بن قريب الأصمعيّ. فأمّا في أيّام جعفر فمثل: بكّار بن عبد الله الزّبيريّ، وأبي السّمط ابن أبي الجون الأمويّ، وابن أبي الشّوارب العبشميّ».

وبعد كلامٍ له عن بني أميّة أيضاً، قال:

«وماذا أقول في قومٍ حملوا الوحوش على النّساء المسلمات، وأجروا لعبادة [هكذا] وذويه الجرايات، وحرثوا تربةَ الحسين عليه السّلام بالفدّان، ونفوا زوّارَه إلى البلدان، وما أَصِفُ من قومٍ هم: نُطَفُ السّكارى في أرحام القِيان؟ وماذا يُقال في أهل بيتٍ منهم نبع البغاء، وفيهم راح التّخنيث وَغَدا، وبهم عرف اللّواط؟! كان إبراهيم بن المهديّ مغنّياً، وكان المتوكّل مؤنّثاً موضعاً، وكان المعتزّ مخنّثاً، وكان ابن زبيدة معتوهاً مفرّكاً، وقتلَ المأمون أخاه، وقتلَ المنتصر أباه، وسمّ موسى بن المهدي أمّه، وسمّ المعتضدُ عمّه. ولقد كان في بني أميّة مخازي تذكَر، ومعائب تؤثَر».

وبعد أن عدّد بعض مخازي بني أميّة ومعائبَهم، قال:

«.. وهذه المثالب مع عظمها وكَثرتها، ومع قُبحها وشنعتها، صغيرةٌ وقليلةٌ في جَنب مثالبِ بني العبّاس، الذين بنوا مدينة الجبّارين، وفرّقوا في الملاهي والمعاصي أموالَ المسلمين.. إلى آخر ما قال..».

.. كان جبريلُ خادماً لأبيه

ذكر ابن طولون في كتابه (الأئمّة الاثني عشر: ص ٩٨ - ٩٩) أنّ أبا نوّاس عُوتب على تَرْك مدحِ الإمام الرّضا عليه السّلام، فقال له بعضُ أصحابه: ما رأيتُ أوقحَ منك، ما تركتَ خمراً ولا طوداً ولا مغنّىً إلّا قلتَ فيه شيئاً، وهذا عليّ بن موسى الرّضا في عصرِك لم تَقُلْ فيه شيئاً، فقال: واللهِ، ما تركتُ ذلك إلّا إعظاماً له، وليس يقدرُ مثلي أن يقولَ في مثلِه، ثمّ أنشدَ بعد ساعةٍ هذه الأبيات:

قِيْلَ لِي أَنْتَ أَوْحَدُ النّاسِ طُرّاً

في فُنونٍ مِنَ المَقالِ النَّبيهِ

لَكَ مِنْ جَوْهَرِ الكَلامِ نِظامٌ

يَثْمُرُ الدُّرُّ في يَدَيْ مُجْتَنِيهِ

فَلِماذا تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسى

وَالخصالِ الّتي تَجَمَّعْنَ فيهِ

قُلْتُ: لا أَهْتَدي لِمَدْحِ إمامٍ

كانَ جِبْريلُ خادِماً لِأَبيهِ

(الشّيخ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الرّضا عليه السلام)

ثلاث وثائق سياسيّة مُهمّة

الشّيخ باقر شريف القرشي

نعرض في مايلي ثلاثاً من أبرز الوثائق السّياسيّة التي ترتبط بولاية العهد للإمام الرّضا عليه السّلام، هي رسالةُ الفضل بن سهل التي هي في الحقيقة رسالة المأمون إلى الإمام عليه السّلام، ووثيقتا ولاية العهد.

نصوص هذه الوثائق، مقتبسة باختصار شديد، ممّا ذكره الرّاحل الشّيخ باقر شريف القرشيّ، في كتابه (حياة الإمام الرّضا عليه السلام).

يُشار هنا إلى أنّ وقائع الحديث الأوّل بين الإمام الرّضا عليه السلام، والمأمون قد أورده المؤلّف مجتزءاً، فأوردناه من (عيون أخبار الرّضا عليه السلام) للشيخ الصّدوق رحمه الله تعالى.

«شعائر»

الوثيقة الأولى:

رسالة الفضل إلى الإمام: أرسلَ الفضل بن سهل رسالةً إلى الإمام الرّضا عليه السلام يطلب فيها القدوم إلى (خراسان)، ليتسلّم الخلافة من المأمون وهذا نصُّها بعد البسملة:

لعليّ بن موسى الرّضا، وابنِ رسول الله المصطفى، والمهتدي بهَديه، والمقتدى بفعله، الحافظِ لدين الله، الخازنِ لوَحي الله، من وليّه الفضل بن سهل، الذي بذلَ في ردِّ حقِّه إليه مُهجتَه، ووصلَ ليلَه فيه بنهاره.

سلامٌ عليك أيّها المهتدي ورحمة الله وبركاته، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلّا هو، وأسأله أن يصلّي على محمّدٍ عبدِه.

أمّا بعد: فإنّي أرجو أنّ اللهَ قد أدّى لك، وأذِن لك في ارتجاع حقّك ممّن استضعفَك، وأن يعظّمَ مِننَه عليك، وأن يجعلَك الإمامَ الوارث، ويريَ أعداءك، ومَن رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون.

وإنّ كتابي هذا عن إزماعٍ من أمير المؤمنين عبد الله الإمام المأمون، ومنّي، على ردِّ مظلَمتِك عليك، وإثباتِ حقوقِك في يدَيك، والتّخلّي منها إليك، على ما أسألُ اللهَ الذي وقف عليه: أن تبلّغني ما أكون بها أسعدَ العالَمين، وعند الله من الفائزين، ولِحَقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله من المؤدّين، ولك عليه من المعاونين، حتّى أبلغ في توليك ودولتك كِلتا الحسنتَين.

فإذا أتاك كتابي - جُعِلتُ فِداك - وأمكنَك أن لا تضعَه من يدك، حتّى تسيرَ إلى أمير المؤمنين، الذي يراكَ شريكاً في أمره، وشفيعاً في نَسَبه، وأَولى النّاس بما تحتَ يده... فعلت ما أنا بخيرة الله محفوفاً، وبملائكته محفوظاً، وبكلَاءته محروساً، وإنّ الله كفيلٌ لك بكلّ ما يجمعُ حُسنَ العائدة عليك، وصلاحِ الأمّة بك، وحسبُنا الله ونِعمَ الوكيل، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته».

رُسُل المأمون إلى الإمام:

وأرسل المأمون وفداً رسميّاً لإشخاص الإمام الرّضا عليه السلام من (يثرب) إلى (خراسان)، وقد عهد المأمون إلى

رئيس الوفد أن يأتيَ بالإمام عليه السلام على طريق (البصرة)، و(الأهواز) و(فارس)، وأن لا يأتي به على طريق (الكوفة) و(قم)، كما كتب المأمون إلى الإمام الرّضا عليه السلام أن لا يأخذَ على طريق الجبل وقم، وإنّما يأخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس.

ومرورُ الإمام على (البصرة) لا مكسب فيه للإمام، لأنّها كانت عثمانيّة الهوى، كما كانت تَدينُ بالولاء للعبّاسيّين، وهذا الإجراء يكشفُ عن زَيفِ خطّة المأمون في التّخلّي عن الحكم، وإرجاعه للعلويّين.

الإمام يودّع قبر النّبيّ

ولم يَجِد الإمام عليه السلام بدّاً من إجابة المأمون، فمَضى إلى قبر جدّه الرّسول صلى الله عليه وآله فودّعه الوداعَ الأخير، وعلمَ أنّه لا عودةَ له إلى جواره.

قال «محول السّجستاني»:

لمّا وردَ البريد بإشخاص الإمام الرّضا إلى (خراسان) كنتُ أنا بالمدينة، فدخلَ المسجدَ ليودّعَ قبر جدِّه رسول الله صلّى الله عليه وآله فودّعَه مراراً، وكان صوتُه يعلو بالبكاء والنّحيب، فتقدّمتُ إليه، وسلّمتُ عليه، فردّ السّلام، وهنّأتُه بما يصيرُ إليه، فقال عليه السلام: «**ذَرْنِي، فَإِنِّي أَخْرُجُ مِنْ جِوارِ جَدِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَموتُ فِي غُرْبَةٍ وَأُدْفَنُ فِي جَنْبِ هارونَ**».

الإمام يأمر أهله بالبكاء عليه:

وكان الإمام الرّضا عليه السلام على علمٍ لا يخامرُه أدنى شكّ في أن لا عودةَ له إلى أهله ووطنه، فودّعهم الوداعَ الأخير، وجمعَ عياله وأمرَهم بالبكاء والنّحيب عليه، وهو يسمعُ ذلك، ووزّعَ عليهم اثنَي عشر ألف دينار، وعرّفَهم أنّه لا يرجعُ إليهم أبداً.

إقامةُ ولده الجواد مقامه:

وأقام الإمام الرّضا عليه السلام ولدَه الجواد عليه السلام مقامَه وهو ابنُ سبع سنين أو يزيد على ذلك، وأدخلَه مسجد النّبيّ صلى الله عليه وآله ووضعَ يده على حافّة القبر الشّريف وألصقَ ولدَه بالقبر، واستحفظه عند جدّه الرّسول صلى الله عليه وآله، وقال له: «**أَمَرْتُ جَميعَ وُكَلائِي، وَحَشَمي، بِالسَّمْعِ وَالطّاعَةِ لَكَ**»، **وعرّف أصحابَه أنّه القيّمُ من بَعدِه.**

إلى بيت الله الحرام:

وقبل أن يتوجّه الإمام إلى (خراسان) يمّمَ وجهَه نحو بيتِ الله الحرام ليودّعَه الوداعَ الأخير، وقد صحبَ معه معظمَ عائلتِه، وكان من بينهم ولدُه الإمام الجواد عليه السلام، ولمّا انتهى إلى بيت الله المعظّم أدى التّحيّةَ فطافَ بالبيت وصلّى بمقامِ إبراهيم، وسعى، وطافَ معه ولدُه الإمام الجواد، فلمّا انتهى الإمامُ الجواد إلى حِجر إسماعيل جلسَ فيه، وأطالَ الجلوس فانبرى إليه موفّق الخادم، وطلبَ منه القيامَ فأبى، وقد بدا عليه الحزنُ والأسى، فأسرعَ موفّق نحو الإمام الرّضا، وأخبره بشأن ولده، وبادر الإمام الرّضا نحو ولده فطلب منه القيامَ فأجابه بنبراتٍ مشفوعةٍ بالبكاء والحَسَراتِ قائلاً:

«**كَيْفَ أَقُومُ وَقَد وَدَّعْتَ يَا أَبَتِ البَيْتَ وَدَاعاً لَا رُجُوعَ بَعْدَهُ؟!**».

إلى خراسان:

وغادر الإمام الرّضا عليه السلام بيتَ الله الحرام مُتوجّهاً إلى خراسان، وقد قُوبل بمنتَهى الحفاوة والتّكريم والإجلال في كلّ بلدٍ أو حيٍّ اجتازَه، فقد سارعَ المسلمون إلى الاحتفاء به، وهم يتبرّكون بتقبيل يدَيه، ويعرضون عليه التّشرفَ بضيافتِه وتقديمِ الخدمات له، كما يسألونه عن أحكام دينِهم، وهو، عليه السّلام، يجيبُهم عن ذلك.

في نيسابور:

استُقبل عليه السّلام في (نيسابور) استقبالاً شعبيّاً منقطعَ النّظير، فلم تشهد (نيسابور) في جميع تاريخها مثل ذلك الاستقبال، وكان في طليعة المستقبلين كبارُ العلماء والفضلاء ورجال الحديث، وقد رووا عنه الحديثَ الذّهبيّ الذي سنذكره.

ونزل الإمام عليه السّلام في محلّة الغربيّ أو «الفرويّ» في دار شخصٍ سمّاه أهل نيسابور (بَسَنْدَه) وهي كلمة فارسيّة معناها في العربيّة (مَرْضِيّ)، لأنّ الإمام عليه السّلام ارتضاه من دون النّاس فنزلَ في داره، وزرعَ الإمام في تلك الدّار لوزةً فنبتَت، وصارت شجرةً وأثمرت في سنة، ولمّا علمَ النّاسُ جعلوا يستشفون بِلَوْزِها، فمَن أصابَتْه عِلّةٌ تبرّك بالتّناول من لَوْزِها فَعُوفِيَ ببركة الإمام العظيم، وقد قطعَ بعضَ أغصانِها شخصٌ فَعَمِي، وقطعَ تلك الشّجرة ابنُ حمدان فأصابَه العَمى.

وكان في (نيسابور) حمّامٌ فدخل فيه الإمام عليه السلام فاغتسلَ فيه ثمّ خرجَ منه وصلّى على ظهرِه، وأخذَ أهالي (نيسابور) يتبرّكون بذلك الحمّام فيغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلّون على ظهره ويدعون اللهَ عزَّ وجلَّ في حوائجِهم فتُقضى لهم ببركة الإمام العظيم.

الحديث الذّهبيّ:

أحاط العلماءُ ورواة الحديث بالإمام عليه السلام، وكان على بغلةٍ شَهباء، وقد لبس عمامتَه، وكان في مقدّمة العلماء يَحيى بنُ يحيى، وإسحاقُ بن راهويه، ومحمّدُ بن رافع، وأحمدُ بن حرب وغيرُهم، ولمّا رأتْه الجماهير الحاشدة وهو بتلك الهيئة التي تحكي هيئةَ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، تعالتْ أصواتُهم بالتّهليل والتّكبير مشفوعةً بالأسى والبكاء، وقد ضجّت البقعةُ بالبكاء فنَادى العلماءُ والحفّاظ:

«معاشرَ النّاس، أنصِتوا، وَعُوا، ولا تؤذوا رسولَ الله صلّى الله عليه وآله في عترته».

وألقى الإمامُ عليه السّلام على العلماء هذا الحديث الشّريف، فقال:

«**سَمِعْتُ أَبي موسى بْنَ جَعْفَرٍ يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي أَميرَ المُؤْمِنينَ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ يَقولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقولُ: قالَ اللهُ جَلَّ جَلالُه: (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ حِصْني، فَمَنْ دَخَلَ حِصْني أَمِنَ مِنْ عَذابي)**».

ولمّا مرت الرّاحلةُ نادى أهل (نيسابور) فقال: «**وَلَكِنْ بِشُروطِها، وَأَنا مِنْ شُروطِها**».

وقد كتب هذا الحديث الشّريف ما ينيفُ على عشرين ألفاً من العلماء والحفّاظ والرّواة، أمّا أسنادُ هذا الحديث الشّريف فهو من أَجَلّ وأروع الأحاديث المسنَدة. يقول أحمدُ بنُ حنبل: لو قُرِئَ هذا الإسناد على مجنونٍ لبرئ من جنّته. وقد أوصى بعضُ أمراء السّامانيّة أن يكتبَ هذا الحديث بالذّهب ويدفَن معه.

إلى طوس:

وسَرَتْ قافلةُ الإمام عليه السّلام من (نيسابور)، وهي تطوي الصّحراء حتّى انتهت إلى (سُناباد)، وفيه جبلٌ كانت تُنحَتُ منه القدور، فاستندَ إليه، وقال: «**أَللّهُمَّ أَنْفِعْ بِهِ، وَبارِكْ فيما يُجْعَلُ فيهِ، وَفيما يُنْحَتُ مِنْهُ**»، ثمّ أمر بأن ينحتَ منه قدورٌ له فنُحِتت له، وقال: «**لا يُطْبَخُ ما آكُلُهُ إِلّا فيها**».

وفي (سناباد) دارُ حميد بن قحطبة الطّائي التي فيها قبرُ هارون الرّشيد، فمَضى إليها الإمام، وانتهى إلى قبر هارون فخطَّ بيده إلى جانبه، وقال لمَن حوله: «**هَذِهِ تُرْبَتي، وَفيها أُدْفَنُ، وَسَيَجْعَلُ اللهُ هَذا المَكانَ مُخْتَلَفَ شيعَتي وَأَهْلِ مَحَبَّتي، وَاللهِ ما يَزورُني مِنْهُمْ زائِرٌ، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيَّ مِنْهُمْ مُسَلِّمٌ إِلّا وَجَبَ لَهُ غُفْرانُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ بِشَفاعَتِنا أَهْلَ البَيْتِ**».

ثمّ استقبلَ القبلةَ فصلّى ركعتَين ودعا بدَعَوات، ولمّا فرغَ من صلاته سجدَ سجدةً طالَ مكثُه فيها، فأُحصِيَت له فيها خمسمائةُ تَسبيحة.

ثمّ ناول، عليه السّلام، بعضَ ثيابه إلى حميد لغَسلِها، فأخذَها حميد وأعطاها إحدى جواريه فأخذَتْها، وسرعانَ ما أقبلت وقالت: وجدتُ رقعةً في قميص أبي الحسن، فناولَتْها إلى حميد وسارعَ بها إلى الإمام عليه السّلام وقال له: ما فيها يا ابنَ رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ فقال عليه السّلام:

«هَذِهِ عُوذَةٌ مَنْ أَمْسَكَها في جَيْبِهِ كانَ مَدْفوعاً عَنْهُ، وَكانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، وَمِنَ السُّلْطانِ».

وطلب حميدُ من الإمام أن يُمليها عليه، فأملاها وهذا نصُّها بعد البسملة:

بِسْمِ اللهِ. إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً أَوْ غَيْرَ تَقِيٍّ. أَخَذْتُ بِاللهِ السَّميعِ البَصيرِ عَلى سَمْعِكَ وَبَصَرِكَ، لا سُلْطانَ لَكَ عَلَيَّ، وَلا عَلى سَمْعي وَبَصَري، وَلا عَلى شَعْري، وَلا عَلى بَشَري، وَلا عَلى لَحْمي، وَلا عَلى دَمي، وَلا عَلى مُخّي، وَلا عَلى عَصَبي، وَلا عَلى عِظامي، وَلا عَلى أَهْلي، وَلا عَلى مالي، وَلا عَلى ما رَزَقَني رَبّي. سَتَرْتُ بَيْني وَبَيْنَكَ بِسِتْرِ النُّبُوَّةِ الَّذي اسْتَتَرَ بِهِ أَنْبِياءُ اللهِ مِنْ سُلطانِ الفَراعِنَةِ. جِبْرَئيلُ عَنْ يَميني، وَميكائيلُ عَنْ يَساري، وَإِسْرافيلُ مِنْ وَرائي، وَمُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمامي، وَاللهُ مُطَّلِعٌ عَلى ما يَمْنَعُكَ وَيَمْنَعُ الشَّيْطانَ مِنّي.

اللَّهُمَّ لا يَغْلِبْ جَهْلُهُ أَناتَكَ أَنْ يَسْتَفِزَّني وَيَسْتَخِفَّني، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْتَجأتُ، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْتَجأتُ، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ إِلْتَجأتُ.

استقبال المأمون للإمام:

وأمر المأمون باستقبال الإمام استقبالاً رسميّاً، فخرجت القوّات المسلّحة لاستقباله وسائرُ أبناء الشّعب، وكان المأمون في مقدّمة مستقبليه، ومعه الفضل بن سهل، وبقيّة وزرائه ومستشاريه.

عَرضُ الخلافة على الإمام:

«عن أبي الصّلت الهَرَويّ، قال: إنّ المأمون قال للرّضا عليه السّلام: يا ابنَ رسول الله، قد عرفتُ علمَك وفضلَك وزهدَك وورعَك وعبادتَك، وأراكَ أحقُّ بالخلافة منّي.

فَقالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: بِالعُبودِيَّةِ لله عَزَّ وَجَلَّ أَفْتَخِرُ، وَبِالزُّهْدِ في الدُّنْيا أَرْجُو النَّجاةَ مِنْ شَرِّ الدُّنْيا، وَبِالوَرَعِ عَنِ المَحارِمِ أَرْجُو الفَوْزَ بِالمَغانِمِ، وَبِالتَّواضُعِ في الدُّنْيا أَرْجُو الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فقال له المأمون: فإنّي قد رأيتُ أن أعزلَ نفسي عن الخلافة وأجعلها [لك] وأبايعك.

فقالَ له الرّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنْ كانَتْ هَذِهِ الخلافَةُ لَكَ، وَاللهُ جَعَلَها لَكَ، فَلا يَجوزُ لَكَ أَنْ تَخْلَعَ لِباساً أَلْبَسَكَ اللهُ وَتَجْعَلَهُ لِغَيْرِكَ، وَإِنْ كانَتِ الخلافَةُ لَيْسَتْ لَكَ، فَلا يَجوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لي ما لَيْسَ لَكَ.

فقال له المأمون: يا ابنَ رسول الله، فلا بدّ لك من قبول هذا الأمر.

فَقالَ: لَسْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ طائِعاً أَبَداً.

فما زال يجهدُ به أيّاماً حتّى يئسَ من قبوله، فقال له: فإنْ لم تقبلِ الخلافة ولم تُجِب مبايعتي لك، فكُن وَلِيَّ عهدي له [كذا] تكون (لك) الخلافةُ بعدي.

فَقالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: وَاللهِ، لَقَدْ حَدَّثَني أَبي، عَنْ آبائِهِ، عَنْ أَميرِ المُؤْمِنينَ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، عَنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنّي أَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيا قَبْلَكَ مَقْتولاً بِالسُّمِّ مَظْلوماً تَبْكي عَلَيَّ مَلائِكَةُ السَّماءِ وَمَلائِكَةُ الأَرْضِ، وَأُدْفَنُ في أَرْضِ غُرْبَةٍ إِلى جَنْبِ هارونَ الرَّشيدِ.

فبكى المأمون، ثمّ قال له: يا ابنَ رسول الله، ومَنْ الذي يقتلُك أو يقدرُ على الإساءة إليك وأنا حَيّ؟

فَقالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: أَما إِنّي لَوْ أَشاءُ أَنْ أَقولَ، لَقُلْتُ مَنْ يَقْتُلُني. فقال المأمون: يا ابن رسول الله، إنّما تريدُ بقولك هذا التّخفيفَ عن نفسِك ودفعَ هذا الأمر عنك، ليقولَ النّاسُ إنّك زاهدٌ في الدّنيا.

فَقالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: وَاللهِ، ما كَذَبْتُ مُنْذُ خَلَقَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَما زَهِدْتُ في الدُّنْيا لِلدُّنْيا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ ما تُرِيدُ.

فقال المأمون: وما أريد؟

قال: الأمانُ عَلى الصِّدْقِ؟

قال: لك الأمان.

«تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَقولَ النّاسُ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ موسى الرِّضا لَمْ يَزْهَدْ في الدُّنْيا، بَلْ زَهِدَتِ الدُّنْيا فيهِ، أَلا تَرَوْنَ كَيْفَ قَبِلَ وِلايَةَ العَهْدِ طَمَعاً في الخِلافَةِ؟

فغضبَ المأمون، ثمّ قال: إنّكَ تتلقّاني أبداً بما أكرهُه وأمنتَ سطوتي، فَبِاللهِ أُقسم، لَئِنْ قبلتَ ولايةَ العَهد، وإلّا أجبرتُك على ذلك، فإنْ فعلتَ وإلّا ضربتُ عُنُقَك.

فَقالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ: قَدْ نَهاني اللهُ تَعالى أَنْ أُلْقِيَ بِيَدي [إلى] **التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ كانَ الأَمْرُ عَلى هَذا فَافْعَلْ ما بَدا لَكَ، وَأَنا أَقْبَلُ عَلى أَنّي لا أُوَلّي أَحَداً وَلا أَعْزِلُ أَحَداً وَلا أَنْقُضُ رَسْماً وَلا سُنَّةً، وَأَكونُ في الأَمْرِ مِنْ بَعيدٍ مُشيراً.**

فَرَضِيَ منه بذلك، وجعلَه وليَّ عهدِه على كراهةٍ منه عليه السّلام بذلك».

(الصّدوق، عيون أخبار الرّضا عليه السّلام)

الوثيقة الثانية:

نَصُّ وثيقة ولاية العهد:

ولم تقتصر ولايةُ العهد بين الإمام عليه السّلام وبين المأمون على البحوث الكلاميّة، وإنّما دُوّنت في وثيقة رسميّة، وقّع عليها الإمام والمأمون، وشهدَ عليها كبارُ رجال الدّولة، وقد نقلَتْها جمهرةٌ من مصادر التّاريخ، وقد اطّلعَ عليها ابن الجوزيّ وقال: ابتاعَها خالي بمأتَي دينار، وحملَها إلى سيف الدّولة صدقة بن منصور، وكان فيها خطوطُ جماعةٍ من الكُتّاب، مثل: الصّوليّ عبد الله بن العبّاس، والوزير المغربيّ، وقد اطّلع عليها عليّ بن عيسى الأربليّ، ونقل نصّها في كتابة (كشف الغُمّة) [انظر: ج ٣، ص ١٢٤] وذلك في سنة ٦٧٠ هجريّة، ونحن ننقلُ نصّها، فقد جاء فيها بعد البَسملة:

«هذا كتابٌ كتبَه عبدُ الله بن هارونِ الرّشيد، أمير المؤمنين لعليِّ بن موسى بن جَعفر.

أمّا بعد: فإنّ اللهَ عزّ وجلّ اصطفى الإسلامَ ديناً، واصطفى من عبادِه رُسلاً دالّين عليه، وهادين إليه، ويُبَشِّرُ أوّلُهم بآخرهم، ويصدّقُ تاليهم ماضيهم، حتّى انتهت نبوّة الله إلى محمّدٍ صلّى الله عليه وآله على فترةٍ [من] الرُّسُل، ودُروسٍ من العلم، وانقطاعٍ من الوَحي، واقترابٍ من السّاعة، فختمَ اللهُ به النّبيّين، وجعلَه شاهداً لهم، ومُهيمناً عليهم، وأنزلَ عليه كتابَه العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه، ولا من خلفه. تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، بما أحلَّ وحرّمَ ووعدَ وأوعدَ، وحذّر وأنذَر، وأمر به، ونهى عنه، لتكونَ له الحجّةُ البالغةُ على خلقِه، ﴿..لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فبلّغ عن الله رسالتَه، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالّتي هي أحسن، ثمّ بالجهاد والغِلظة، حتّى قبَضَه الله إليه، واختار له ما عنده، صلّى الله عليه وآله، فلمّا انقضتِ النّبوة، وختمَ اللهُ بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله، الوحيَ والرّسالة، وجعل قِوامَ الدّين ونظامَ أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامَها وعزّها والقيامَ بحقّ الله فيها بالطّاعة التي يقامُ بها فرائضُ الله تعالى وحدوده، وشرائع الإسلام وسُننه، ويجاهد بها عدوّه.

فعلى خلفاء الله طاعتُه فيما استحفظَهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعةُ خلفائهم، ومعاونتُهم على إقامة حقِّ الله وعدْله، وأمن السّبيل، وحقْن الدّماء، وصلاح ذات البَيْن، وجمع الألفة، وفي خلاف ذلك اضطرابُ حبلِ المسلمين، واختلالهم، واختلاف مِلّتهم، وقهرُ دينِهم، واستعلاءُ عدوّهم، وتفرُّق الكلمة، وخسرانُ الدّنيا والآخرة.

فحقٌّ على مَن استخلفه الله في أرضه، وائتمنَه على خلقه أن يُجهِدَ لله نفسَه، ويُؤْثِرَ ما فيه رضى الله وطاعته، ويعتمد لِما اللهُ مواقفُه عليه، ومسائلُه عنه، ويحكم بالحقّ، ويعمل بالعدل فيما أحلّه الله وقلّده، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول لنبيّه داود: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص:٢٦، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الحجر:٩٢-٩٣.

وبلغنا أنّ عمر بن الخطّاب قال: (لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات لتخوّفت أن يسألني الله عنها).

وَأَيْمُ اللهِ، إنّ المسؤولَ عن خاصّة نفسِه، الموقوفَ على عمله في ما بينه وبين الله، لَيُعْرَض على أمرٍ كبيرٍ، وعلى خطرٍ عظيمٍ، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأُمّة، وبالله الثّقة، وإليه المَفزع، والرّغبة في التّوفيق والعصمة، والتّسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحُجّة، والفوز من الله بالرّضوان والرّحمة.

وَأَنْظَرُ الأُمّة لنفسِه، وأَنصحُهم لله في دينه وعباده من خلائقه في أرضه، مَن عمل بطاعة الله وكتابه وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله، في مدّة أيّامه وبعدها، وأجهدَ رأيَه فيمَن يُولّيه عهدَه، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعدَه، وينصبُه علماً لهم، ومفزعاً في جمْع ألفتهم، ولَمِّ شعثِهم، وحقنِ دمائهم، والأمنِ بإذن الله من فرقتِهم، وفسادِ ذات بينِهم، واختلافِهم، ورفع نزغِ الشّيطان وكيدِه عنهم، فإنّ الله عزّ وجلّ جعلَ العهدَ بعد الخلافة من تمام (أمر) الإسلام وكمالِه، وعزِّه وصلاحِ أهلِه، وألهَمَ خلفاءه الخلافة من توكيده لَمن يختارونه له من بعدهم ما عظُمت به النّعمة وشملت فيه العافية، ونقضَ اللهُ بذلك مكرَ أهل الشّقاق والعداوة والسّعي والفرقة والتّربّص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضتْ إليه الخلافة فاختبرَ بشاعةَ مذاقها، وثقلَ محملِها، وشدّة مؤونتها، وما يجب على مَن تقلّدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبتِه في ما حمّلَه منها، فأَنْصَبَ [أي أتعب] بدنَه، وأسهر عينَه، وأطال فكرَه في ما فيه عزُّ الدّين، وقمعُ المشركين، وصلاحُ الأُمّة ونشرُ العدل، وإقامةُ الكتاب والسّنّة، ومنعَه ذلك من الخفض والدَّعَة، ومَهْنَأَ العيش، علماً بما اللهُ سائلُه عنه، ومحبّةَ أن يلقى الله مُناصِحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأُمّة من بعده أفضلَ مَن يقدر عليه، في دينِه ووَرَعِه وعملِه، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقِّه، مناجياً بالاستخارة في ذلك، ومسألته إلهامَه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليلِه ونهاره، ومعملاً - في طلبِه والتماسِه في أهل بيتِه من وُلد عبد الله بن العبّاس، وعليّ بن أبي طالب - فكرَه ونظرَه، مقتصراً ممَّن عَلِمَ حالَه ومذهبَه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمّن خفي عليه أمرُه جهدَه وطاقتَه، حتّى استقصى أمورَهم معرفةً، وابتلى أخبارَهم مُشاهدةً، واستبرأ أحوالَهم مُعاينةً، وكشفَ ما عندهم مسألةً، فكان خَيَرَتُه بعد استخارته الله، وإجهاده نفسَه في قضاء حقِّه في عباده وبلاده في البيتَين جميعاً: عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، لِمَا رأى من فضله البارع، وعلمِه النّافع، ووَرَعِه الظّاهر، وزُهدِه الخالص، وتَخلّيه من الدّنيا، وتسلّمه من النّاس.

وقد استبانَ له ما لم تزل الأخبارُ عليه مُتواطئةً والألسن عليه مُتّفقة، والكلمةُ فيه جامعة، ولِما لم يزَل يعرفُه به من الفضل يافعاً، وناشئاً، وحَدَثاً ومُكتهِلاً، فعقدَ له بالخلافة من بعده، واثقاً بخِيَرة الله في ذلك، إذ علمَ اللهُ أنّه فعلَه إيثاراً له، وللدّين، ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسّلامة، وثبات الحُجّة والنّجاة في اليوم الذي يقومُ النّاس فيه لربّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين وُلدَه وأهلَ بيتِه وخاصّته وقوّادَه وخدمَه، فبايعوا مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعةَ الله على الهوى في وُلده وغيرهم ممّن هو أشبك منه رَحِماً وأقربُ قرابةً.

وسمّاه الرّضا، إذ كان رضاً عند أمير المؤمنين، فبايعوا، معشرَ أهل بيت أمير المؤمنين، ومَن بالمدينة المحروسة من قوّاده وجندِه وعامّة المسلمين لأمير المؤمنين، وللرّضا من بعده عليّ بن موسى على اسمِ الله وبركتِه، وحُسنِ قضائه لدينِه وعبادِه، بيعةً مبسوطةً إليها أيديكم منشرحةً لها صدورُكم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، وآثرَ طاعة الله، والنّظر لنفسِه ولكم فيها، شاكرين الله على ما ألهمَ أمير المؤمنين بها من قضاء حقّه في رعايتِكم، وحرصه على رُشدِكم، وصلاحكم، راجين عائدةَ ذلك في جمْع ألفتكم، وحقْن دمائكم، ولمِّ شعثِكم، وسدّ ثغورِكم وقوّة دينِكم، ورغم عدوّكم، واستقامة أموركم، وسارعوا إلى طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين، فإنّه الأمن إنْ سارعتم إليه، وحمدْتُم اللهَ عليه، عرفتم الحظّ فيه إن شاء الله، وكتب بيده يوم الاثنين بسبعٍ خلونَ من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين».

الوثيقة الثالثة:

ما كتبه الإمام الرّضا عليه السّلام:

وطلب المأمون من الإمام الرّضا عليه السلام أن يكتبَ بيده الشّريفة بقبول هذا العهد، فكتبَ عليه السّلام بخطّه بعد البَسملة ما يلي:

«الحَمْدُ للهِ الفَعّالِ لِما يَشاءُ، وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلا رادَّ لِقَضائِهِ؛ يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفي الصُّدورُ، وَصَلاتُهُ عَلَى نَبِيِّهِ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ.

أَقولُ: وَأَنا عَلِيُّ بْنُ موسى بْنِ جَعْفَرٍ: إِنَّ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عَضَدَهُ اللهُ بِالسَّدادِ، وَوَفَّقَهُ لِلرَّشادِ، عَرَفَ مِنْ حَقِّنا ما جَهِلَهُ غَيْرُهُ، فَوَصَلَ أَرْحاماً قُطِعَتْ، وَأَمَّنَ أَنْفُساً فَزِعَتْ، بَلْ أَحْياها وَقَدْ تَلِفَتْ، وَأَغْناها إِذِ افْتَقَرَتْ، مُبْتَغِياً رِضَى رَبِّ العالَمينَ، لا يُريدُ جَزاءً مِنْ غَيْرِهِ، وَسَيَجْزي اللهُ الشّاكِرينَ، وَلا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ.

وَإِنَّهُ جَعَلَ إِلَيَّ عَهْدَهُ، وَالإِمْرَةَ الكُبْرى إِنْ بَقيتُ بَعْدَهُ، فَمَنْ حَلَّ عُقْدَةً أَمْرَ اللهُ بِشَدِّها، وَفَصَمَ عُرْوَةً أَحَبَّ اللهُ إِيثاقَها، فَقَدْ أَباحَ اللهُ حَريمَهُ، وَأَحَلَّ مُحَرَّمَهُ، إِذْ كانَ بِذَلِكَ زارِياً عَلى الإِمامِ مُنْتَهِكاً حُرْمَةَ الإِسْلامِ، بِذَلِكَ جَرَى السّالِفُ، فصبر مِنْهُ عَلى الفَلَتاتِ وَلَمْ يعترض عَلى العَزَماتِ، خَوْفاً مِنْ شَتاتِ الدِّينِ، وَاضْطِرابِ حَبْلِ الْمُسْلِمينَ، وَلِقُرْبِ أَمْرِ الجاهِلِيَّةِ، وَرَصْدِ فُرْصَةٍ تُنْتَهَزُ وَبايقةٍ [البائقة أي الدّاهية] تبتدرُ.

وَقَدْ جَعَلْتُ اللهَ عَلَى نَفْسِي إِنِ اسْتَرْعاني أَمْرَ الْمُسْلِمينَ وَقَلَّدَني خِلافَةَ العَمَلِ فيهِمْ - عامَّةً، وَفي بَني العَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خاصَّةً - بِطاعَتِهِ وَطاعَةِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْ لا أَسْفِكَ دَماً حَراماً، وَلا أُبيحَ فَرْجاً، وَلا مالاً إِلّا ما سَفَكَتْهُ حُدودُ اللهِ، وَأَباحَتْهُ فَرائِضُهُ، وَأَنْ أَتَخَيَّرَ الكُفاةَ جَهْدِي وَطاقَتي، وَجَعَلْتُ بِذَلِكَ عَلى نَفْسي عَهْداً مُؤَكَّداً، يَسْأَلُني اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الإسراء:٣٤.

وَإِنْ أَحْدَثْتُ أَوْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَّلْتُ كُنْتُ لِلغِيَرِ مُسْتَحَقّاً، وَلِلنَّكالِ مُتَعَرِّضاً، وَأَعوذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ، وَإِلَيْهِ أَرْغَبُ في التَّوْفيقِ لِطاعَتِهِ، وَالحَوْلِ بَيْني وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ، في عافِيَةٍ لي وَلِلْمُسْلِمينَ.

وَالجامِعَةُ وَالجَفْرُ يَدُلّانِ عَلى ضِدِّ ذَلِكَ، وَما أَدْري ما يُفْعَلُ بي وَلا بِكُمْ، إِنِ الحُكْمُ إِلّا لِلهِ يَقْضي بِالحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الفاصِلينَ، وَلِكِنّي امْتَثَلْتُ أَمْرَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، وَآثَرْتُ رِضاهُ وَاللهُ يَعْصِمُني وَإِيّاهُ، وَأَشْهَدْتُ اللهَ عَلى نَفْسي بِذَلِكَ، وَكَفى بِاللهِ شَهيداً...

وَكَتَبْتُ بِخَطّي، بِحَضْرَةِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ - أَطالَ اللهُ بَقاءَهُ - وَالفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، وَسَهْلِ بْنِ الفَضْلِ، وَيَحْيى بْنِ أَكْثَمَ، وَبِشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَحَمّادِ بْنِ النُّعْمانِ، في شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ إِحْدى وَمائَتَيْنِ».

الإمام يحلّل حلال الله ويحرّم حرامه ويقيم حدود الله ويدين دين الله...

دعاءُ الأسماء المَرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله

«وَصُنْ وَجْهِي وَيَدِي وَلِسَانِي عَنْ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ»

رواية السّيّد ابن طاوس قدس سره

أورد هذا الدّعاء (الأسماء) السّيّد ابن طاوس قدس سره في (مهج الدّعوات)، وهو مرويٌّ عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ورد فيه ثوابٌ جزيل، لا سيّما لما استَعصى من المشكلات، وأنّ مَن دعا بهذه الأسماء استجابَ اللهُ له، ولو دعا بها الرَّجُل أربعينَ ليلة جمعة «..غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الآدَمَيّين، وَبَيْنَ رَبّه»، وغُفر لأهل بيته. تجده أيضاً في (المصباح)، و(البلد الأمين) للشّيخ الكفعمي، وفي (بحار الأنوار، ج ٩٢) للعلّامة المجلسيّ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ وأَنْتَ الرَّحْمَنُ وأَنْتَ الرَّحِيمُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الحَمِيدُ المَجِيدُ المُبْدِئُ المُعِيدُ، الوَدُودُ الشَّهِيدُ القَدِيمُ العَلِيُّ العَظِيمُ العَلِيمُ، الصَّادِقُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ الشَّكُورُ الغَفُورُ العَزِيزُ الحَكِيمُ، ذُو القُوَّةِ المَتِينُ الرَّقِيبُ الحَفِيظُ ذُو الجَلالِ والإكْرامِ، العَظِيمُ العَلِيمُ الغَنِيُّ الوَلِيُّ الفَتَّاحُ المُرْتَاحُ، القَابِضُ البَاسِطُ العَدْلُ الوَفِيُّ الوَلِيُّ الحَقُّ المُبِينُ، الخَلَّاقُ الرَّزَّاقُ الوَهَّابُ التَّوّابُ الرَّبُّ الوَكِيلُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ، السَّمِيعُ البَصِيرُ الدَّيَّانُ المُتَعالِي (المُتَعَال) القَرِيبُ المُجِيبُ البَاعِثُ الوَارِثُ، الوَاسِعُ البَاقِي الحَيُّ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَمُوتُ، القَيُّومُ النُّورُ الغَفَّارُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، ذُو الطَّوْلِ المُقْتَدِرُ عَلَّامُ الغُيُوبِ البَدِيءُ البَدِيعُ القَابِضُ البَاسِطُ، الدَّاعِي الظَّاهِرُ المُقِيتُ المُغِيثُ الدَّافِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ، المُعِزُّ المُذِلُّ المُطْعِمُ المُنْعِمُ المُهَيْمِنُ المُكْرِمُ، المُحْسِنُ المُجْمِلُ الحَنَّانُ المُفْضِلُ المُحْيِي المُمِيتُ، الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ مالِكُ المُلْكِ ﴿.. **تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، فالِقُ الإصْبَاحِ وفَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ.

أَللَّهُمَّ ما قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلْفٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ فِي يَوْمِي هَذا وَلَيْلَتِي هَذِهِ فَمَشِيَّتُكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ، مَا شِئْتَ مِنْهُ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ، فَادْفَعْ عَنِّي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

أَللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ الأَسْماءِ عِنْدَكَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وتُبْ عَلَيَّ وتَقَبَّلْ مِنِّي وأَصْلِحْ لِي شَأْنِي، وَيَسِّرْ أُمُوري وَوَسِّعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِي وأَغْنِنِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَصُنْ وَجْهِي وَيَدِي وَلِسَانِي عَنْ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

فضلُ الإمام المعصوم، وصفاتُه

«مَعْدِنُ الْقُدْسِ... والْعِلْمِ والْعِبَادَةِ»

رواية الشّيخ الكلينيّ

أورد الشّيخ محمّد بن يعقوب الكُلَيني في (الأصول من الكافي) رواية طويلة عن الإمام الرّضا عليه السلام في (صفة الإمام المفترَض الطّاعة، وأنّ الإمامة منصبٌ إلهيّ واصطفاءٌ ربّانيّ)، اخترنا منها الفقرات الآتية.

قال الكليني رحمه الله: «...عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ، فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا، فَأَدَارُوا أَمْرَ الإِمَامَةِ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عَلَيه السَّلام فَأَعْلَمْتُه خَوْضَ النَّاسِ فِيه، فَتَبَسَّمَ عَلَيه السَّلام ثُمَّ قَالَ:

يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، جَهِلَ الْقَوْمُ وخُدِعُوا عَنْ آرَائِهِم.

إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّه صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ حَتَّى أَكْمَلَ لَه الدِّينَ وأَنْزَلَ عَلَيْه الْقُرْآنَ فِيه تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَ فِيه الْحَلَالَ والْحَرَامَ والْحُدُودَ والأَحْكَامَ وجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْه النَّاسُ كَمَلاً [الكَمل هو تمامُ الشيء]، فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿..مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ..﴾.

وأَنْزَلَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وهِيَ آخِرُ عُمُرِه صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ: ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا..﴾، وأَمْرُ الإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ.

ولَمْ يَمْضِ صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ حَتَّى بَيَّنَ لأُمَّتِه مَعَالِمَ دِينِهِمْ وأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عَلَيه السَّلام عَلَماً وإِمَاماً، ومَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْه الأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَه، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَه فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ الله، ومَنْ رَدَّ كِتَابَ الله فَهُوَ كَافِرٌ بِه.

صفةُ الإمامة، ومنزلةُ الإمام

[يا عبد العزيز]: هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الإِمَامَةِ ومَحَلَّهَا مِنَ الأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟!

إِنَّ الإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وأَعْظَمُ شَأْناً وأَعْلَى مَكَاناً وأَمْنَعُ جَانِباً وأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ.

إِنَّ الإِمَامَةَ خَصَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيه السَّلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ والْخُلَّةِ، مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وفَضِيلَةً شَرَّفَه بِهَا وأَشَادَ بِهَا ذِكْرَه، فَقَالَ: ﴿..إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾.

فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيه السَّلام سُرُوراً بِهَا: ﴿..وَمِن ذُرِّيَّتِي..﴾.

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿..لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فَأَبْطَلَتْ هَذِه الآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ، ثُمَّ أَكْرَمَه اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِه أَهْلِ الصَّفْوَةِ والطَّهَارَةِ، فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِه يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى وَرَّثَهَا اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ، فَقَالَ جَلَّ وتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فَكَانَتْ لَه خَاصَّةً، فَقَلَّدَهَا صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ عَلِيّاً عَلَيه السَّلام بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِه الأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ والإِيمَانَ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ..﴾.

فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عَلَيه السَّلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ. فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ؟

[يا عبد العزيز]: إِنَّ الإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الأَنْبِيَاءِ وإِرْثُ الأَوْصِيَاءِ.

إِنَّ الإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللهِ وخِلَافَةُ الرَّسُولِ صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه وَسَلَّمَ، ومَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيه السَّلام، ومِيرَاثُ الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ عَلَيهما السَّلام "..".

بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّيَامِ والْحَجِّ والْجِهَادِ وتَوْفِيرُ الْفَيْءِ والصَّدَقَاتِ وإِمْضَاءُ الْحُدُودِ والأَحْكَامِ ومَنْعُ الثُّغُورِ والأَطْرَافِ.

الإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ الله، ويُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ، ويُقِيمُ حُدُودَ الله، ويَذُبُّ عَنْ دِينِ الله، ويَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّه بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ والْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ "..".

الإِمَامُ أَمِينُ الله فِي خَلْقِه وحُجَّتُه عَلَى عِبَادِه وخَلِيفَتُه فِي بِلَادِه، والدَّاعِي إِلَى الله والذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ.

الإمامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ والْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ وعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وبَوَارُ الْكَافِرِينَ.

الإمَامُ وَاحِدُ دَهْرِه لَا يُدَانِيه أَحَدٌ ولَا يُعَادِلُه عَالِمٌ، ولَا يُوجَدُ مِنْه بَدَلٌ ولَا لَه مِثْلٌ ولَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّه مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْه لَه ولَا اكْتِسَابٍ، بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإمَامِ أَوْ يُمْكِنُه اخْتِيَارُه؟ "..".

وكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّه أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِه أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِه أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَه ويُغْنِي غِنَاه؟

لَا، كَيْفَ وأَنَّى، وهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ ووَصْفِ الْوَاصِفِينَ. فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا وأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا وأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ؟

كَذَبَتْهُمْ واللهِ أَنْفُسُهُمْ ومَنَّتْهُمُ الأَبَاطِيلُ فَارْتَقَوْا مُرْتَقَاً صَعْباً دَحْضاً تَزِلُّ عَنْه إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الإمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ وآرَاءٍ مُضِلَّةٍ، فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْه إِلَّا بُعْداً، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

ولَقَدْ رَامُوا صَعْباً وقَالُوا إِفْكاً وضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً، ووَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الإمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللهِ واخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ وأَهْلِ بَيْتِه إِلَى اخْتِيَارِهِمْ والْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. "..".

فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الإمَامِ والإمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ ورَاعٍ لَا يَنْكُلُ، مَعْدِنُ الْقُدْسِ والطَّهَارَةِ والنُّسُكِ والزَّهَادَةِ والْعِلْمِ والْعِبَادَةِ، مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ، و(هو) نَسْلُ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتُولِ، لَا مَغْمَزَ فِيه فِي نَسَبٍ، ولَا يُدَانِيه ذُو حَسَبٍ، فِي الْبَيْتِ [فالنَّسَبُ] مِنْ قُرَيْشٍ والذُّرْوَةِ (الذِّرْوَةُ) مِنْ هَاشِمٍ والْعِتْرَةِ (الْعِتْرَةُ) مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ والرِّضَا مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ "..".

إِنَّ الأَنْبِيَاءَ والأَئِمَّةَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِم، يُوَفِّقُهُمُ اللهُ ويُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِه وحِكَمِه مَا لَا يُؤْتِيه غَيْرَهُمْ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿..أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. "..".

وقَالَ لِنَبِيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ: أنزلَ ﴿..عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وقَالَ فِي الأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّه وعِتْرَتِه وذُرِّيَّتِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وسَلَّمَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

وإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ لأُمُورِ عِبَادِه شَرَحَ صَدْرَه لِذَلِكَ، وأَوْدَعَ قَلْبَه يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ، وأَلْهَمَه الْعِلْمَ إِلْهَاماً فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَه بِجَوَابٍ ولَا يُحَيَّرُ (يَحِيدُ) فِيه عَنِ الصَّوَابِ، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ، قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا والزَّلَلِ والْعِثَارِ، يَخُصُّه اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَه عَلَى عِبَادِه وشَاهِدَه عَلَى خَلْقِه، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَه، أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِه الصِّفَةِ فَيُقَدِّمُونَه؟

تَعَدَّوْا، وبَيْتِ اللهِ، الْحَقَّ ونَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وفِي كِتَابِ اللهِ الْهُدَى والشِّفَاءُ، فَنَبَذُوه واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللهُ ومَقَتَهُمْ وأَتْعَسَهُمْ، فَقَالَ جَلَّ وتَعَالَى: ﴿..وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. "..".

وصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وآلِه وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً».

خَصّ اللهُ تعالى إبراهيمَ عليه السلام بالإمامةِ بعدَ النّبوّة والخُلَّة، مرتبةً ثالثة.

إذا اختارَ اللهُ العبدَ لأمور عبادِه شرحَ صدرَه لذلك، وألهمَه العلمَ إلهاماً.

خصالٌ ستّ للصّلاة الكاملة

يستكملها مؤمنٌ امتحن اللّهُ قلبَه للإيمان

السّيّد حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ رحمه الله

في هذه المقالة تأصيلٌ عباديّ وأخلاقيّ للصّلاة الكاملة، وهي مقتطفةٌ – باختصار – من كتاب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) للعلّامة السّيّد حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ رحمه الله، تناول فيها شرح فقرة من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في أركان الدّين، متحدّثاً عن ستّ خصال بها ترتقي الصّلاة إلى كمالها.

إنّ الصّلاة الكاملة قد خُصّت من بين سائر العبادات بأنّها بمنزلة إنسان كامل مشتمل على روح وجسد، منقسم إلى ظاهر وباطن وسرّ وعلن، ولروحه وسرّه أخلاق وصفات، ولجسده أعضاء وأشكال، فروح الصّلاة [أصل] معرفة الحقّ والعبوديّة له بالإخلاص والتّوحيد.

أمّا أخلاقها وصفاتها الباطنة فيجمعها أمور، وهي: حضور القلب، والتّفهّم، والتّعظيم، والهيبة، والرّجاء، والحياء، وهذه ستّ خصال شريفة، وحالات كريمة، وملَكات عظيمة، لا يوجد جميعها إلّا في مؤمن امتحن الله قلبه بنور الإيمان والعرفان.

أمّا حضور القلب، فهو تفريغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلّم به، وصرفه إلى ما يتلبّس به من الأفعال ويتكلّم به من الأقوال [حال الصّلاة]، ولا يحصل ذلك إلّا بعد معرفة المصلّي بأنّ الغرض المطلوب منه هو الإيمان والتّصديق بأنّ الآخرة خير وأبقى، وأنّ الصّلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف إلى تلك المعرفة العلم بحقارة الدّنيا وخسّتها وزوالها، انصرف القلب عن مهمّات الدّنيا لا محالة، وتوجّه إلى صلاته الموصلة إلى سعادات الآخرة، وهو معنى حضور القلب.

وأمّا التّفهّم، فهو التّدبّر في معنى اللّفظ، وهو أمر وراء حضور القلب، فربّما يكون القلب حاضراً مع اللّفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللّفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللّفظ هو المراد بالتّفهّم، وقد ذمّ الله أقواما على ترك التّدبّر حيث قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمّد:٢٤.

وأمّا التّعظيم، فهو أمر وراء حضور القلب والفهم، فربما يخاطب الرّجل عبده بكلامٍ وهو حاضر القلب فيه ومتفهّم لمعناه، ولا يكون معظّماً له، فالتّعظيم أمر زائد عليهما، وهو حالة للقلب منشؤها معرفة جلال الرّبّ سبحانه وكبريائه وعظمته، مع معرفة حقارة النّفس وخسّتها، وكونها عبداً مسخّراً مربوباً، فيتولّد من هاتين المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه، فيعبَّر عنه بالتّعظيم.

وأمّا الهيبة، فأمر زائد على التّعظيم، وهي عبارة عن خوفٍ منشؤه التّعظيم، لأنّ مَن لا يخاف لا يسمّى هائباً، فالهيبة خوفٌ مصدره الإجلال، وهي متولّدة من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ أمره ومشيّته فيه «..» وأنّه بحيث لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه مثقال ذرّة، لا سيّما إذا انضمّ إلى ذلك ملاحظة ما جرى على الأنبياء والأولياء من أنواع المحن والمصائب والبلاء، وكلّما زاد العلم بالله وكبريائه زادت الهيبة والخشية.

وأمّا الرّجاء، فلا شكّ أنّه زائد على ما سبق، فكم من معظّم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولا يرجو إنعامه ومبرّته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله، كما أنّه خائف بتقصيره عقاب الله، ومنشأ الرّجاء معرفة لطف الحقّ وكرمه وعميم جوده وإحسانه وشمول رحمته وإنعامه ومعرفة صدقه في وعده على الصّلاة بالثّواب، وبشراه بالجنّة وحسن المآب؛ فبمجموع المعرفة بلطفه سبحانه، والمعرفة بصدقه يحصل الرّجاء.

وأمّا الحياء، فزيادته على ما سبق واضحة، لأنّ مستنده استشعارُ تقصيرٍ وتوهّمُ ذنبٍ، ويتصوّر التّعظيم والخوف والرّجاء من غير حياء، حيث لا يتوهّم تقصير وخطأ. ومنشأُ استشعار التّقصير وتوهّم الذّنب علمُ المكلَّف بالعجز عن القيام بوظائف العبوديّة والتّعظيم على ما يليق بحضرة الرّبوبيّة سبحانه، ويزيد ذلك بالاطّلاع على كثرة عيوب النّفس وآفاتها، وفرط رغبتها في أفعالها وحركاتها وسكناتها إلى الدّنيا وشهواتها، وقلّة إخلاصها في طاعاتها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله وعظمته وكبريائه، ومع المعرفة بأنّه خبير بصير مطّلع على السّرائر، عالم بالضّمائر، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها الحياء.

علاجُ الوَسوَسة

الذِّكرُ، والفِكرُ، واتّباعُ ظاهر الشَّرع

الشّيخ حسين بن عبد الصّمد العامليّ

كتاب (العقد الحسينيّ) للشّيخ حسين بن عبد الصّمد، والد الشّيخ بهاء الدّين العامليّ رضوان الله تعالى عليهما، كتابٌ فقهيّ مختصَر في أحكام الطّهارة والصّلاة، اخترنا منه هذا «التّنبيه» الذي أورده، رحمه الله، في كيفيّة دفْع الوَسوسة في العبادات ومقدّماتها.

«.. الوَسواسُ في الطّاهر والنّجس، والنيّة في العبادات، وأفعال الصّلاة، "..." قرّر الأئمّة عليهم السلام أنّه من الشّيطان، وأجمعَ [العلماءُ] على ذلك، فلا بدّ للمؤمن الرّشيد من دفعه عنه، وذلك يكون بوجهَين:

الوجه الأوّل: ما بيّنه اللهُ تعالى، وما وردَ عن المعصومين من الدّعاء لدفعه.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصّلت:٣٦.

* ورويتُ بسَندي المتّصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: (**مَنْ وَجَدَ مِنْ هَذَا الوَسْوَاسِ شَيئاً فَلْيَقُلْ**: آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، **ثَلاثاً، فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ**).

أنفعُ علاجٍ في دفْع الوسوسة ذِكرُ الله والإكثارُ منه، لا سيّما قول «لَا إِلَهَ إِلَّا الله».

* ورويتُ بسَندي إلى جعفر الصّادق عليه السّلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لِمَن شكى إليه كَثرةَ الوسواس، حتّى لا يعقل ما صلّى من زيادةٍ ونُقصان: (**إِذَا دَخَلْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَاطْعَنْ فَخِذَكَ اليُسْرَى بِإِصْبَعِكَ اليُمْنَى المُسَبِّحَةِ، ثُمّ قُلْ**: بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، **فَإِنَّكَ تَطْرُدُهُ عَنْكَ**).

وقال العلماء: أنفعُ علاجٍ في دفْع الوسوسة ذِكرُ الله والإكثارُ منه، لأنّ الشّيطانَ إذا سمعَ ذِكْرَ الله خَنَس، أي بَعُد وتأخّر؛ فينبغي الإكثارُ من قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لأنّها رأسُ الذّكر. وقَد وردَ في فضلِها وشرافتِها وأسرارها من طريق الخاصّة والعامّة ما لا يكاد يُحصَر، ولهذا اختارَها أهلُ السّلوك لتربية السّالكين وتهذيبِ المُريدين، وقد جَمَعَتْ بين النَّفْي والإثبات: نَفْي أُلوهيّةِ ما سوى الله، وإثباتِ أُلوهيّته تعالى، لأنّ الإثباتَ إذا وردَ على القلبِ فلا بدّ أن يكونَ خالياً من كلّ شيءٍ لِتَستقرَّ فيه ألوهيّةُ الله تعالى، وما دامَ فيه شيءٌ لا تستقرّ، لأنَّ الباري لا يقبلُ شريكاً، فإذا خَلا القلبُ من كلّ شيءٍ تثبتُ فيه أُلوهيّة الله تعالى، وانقهرَ الشّيطانُ وتأخّر.

قال بعضُ العارفين: إذا أردتَ أن تقطعَ الوسواس في أيّ وقتٍ أحسستَ به فَافْرَح، فإنّك إذا فرحتَ به انقطعَ عنك، لأنّه ليس شيءٌ أبغضُ إلى الشّيطان من سرورِ المؤمن، وإنْ غممتَ به زادَك.

قلتُ: هذا يدلّ على أنّ الوسواسَ إنّما يُبتلى به المؤمن، لأنّ اللّصّ لا يقصدُ بيتاً خَرِباً، لكنّ دفعَه يكونُ بكمال الإيمان باللهِ ورسوله والأئمّةِ الرّاشدين صلواتُ الله عليهم أجمعين.

الوجه الثّاني في دفع الوسواس: الفِكرُ والتّعقّل، وذلك أنّه قد عُلم أنّ الوسواسَ من عدوّنا وعدوّ أبينا من قبل، والباري عزّ وجلّ والأئمّةُ المعصومون عليهم السلام قد بيّنوا ذلك، وأمرونا بمخالفتِه واتّباعِ ظاهر الشّرع؛ قالَ الله تعالى: ﴿..لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ..﴾ الأعراف:٢٧. فإذا علمنا ذلك واتّبعناه نكونُ قد خالَفنا اللهَ والأئمّةَ المعصومين عليهم السلام، واتّبعنا عدوّنا الّذي قصدُه إضرارُنا، ونكون قد أدخلنا الضّررَ على أنفسنا؛ أمّا في الدّنيا فَبالتّعبِ والعناءِ بغير نفعٍ، وأمّا في الآخرة، فَلِمُخالفتنا أوامرَ الله ورسولِه والأئمّةِ المعصومين عليهم السلام، وهذا لا يفعلُه موفّقٌ رشيد، أجارَنا اللهُ وإيّاكم من ذلك».

إجابات العلّامة الحلّيّ عن أسئلة عقائديّة وفقهيّة

* يجبُ التّمييزُ بين الواجب والمندوب من أفعال الصّلاة وأقوالها

* الثّوابُ على الطّاعات مشروطٌ بالعقيدة السّليمة

إعداد: شعائر

كتاب (جوابات المسائل المهنّائيّة) هو ردود العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت: ٧٢٦ للهجرة) على أسئلة عقائديّة وفقهيّة وجّهها إليه مهنّا بن عبد الوهّاب الجعفري الحسيني المَدَني أيّامَ زيارته للمشاهد المشرّفة في العراق، وطلب إليه أن يكتب الجوابات بخطّه حتّى يكونَ أفضل ما ظفرَ به بعد الزّيارة، وقد قرأ السّائلُ هذه الأجوبةَ على العلاّمة بداره في الحلّة سنة ٧١٧ هجريّة.

الأسئلة والأجوبة الواردة في هذا «الحوار» منتخبة من كتاب (الجوابات) المذكور، بتعديلٍ طفيفٍ في عبارة عددٍ من الأسئلة. وتجدرُ الإشارة إلى وجوب التزام المكلّف برأي مرجعٍ تقليده في المسائل الفقهيّة المدرَجة هَهنا، وقد أوردناها للوقوف على جانب من طبيعة الاستفتاءات الشّرعيّة في القرن الهجري الثّامن، وهو الحقبة الزّمنيّة التي شهدت نقلة نوعيّة في الفقه الإمامي الاثنَي عشري، كان من أبرز أعلامها الشّهيد الأوّل (استُشهد سنة ٧٨٦ للهجرة)، والعلّامة الحلّي رضوان الله تعالى عليهما.

س: ما القول في وضع الإنسان وجهَه على الأرض عند أبواب المشاهد الشّريفة، وتمريغ خدّه عليها، هل يكون ذلك الفعل حراماً لأنّ هذا يشبه السّجود وهذا أمر مختصّ بالله تعالى، وقد بالغ المتصوّفون وأرباب الطّريقيّة في النّهي عن هذا وغيره ممّا يقاربه، فهل يكون مكروهاً أو هو مستحبّ في هذه الأماكن المشرّفة؟

ج: إنْ قصدَ الفاعلُ أن يكون السّجود لغير الله تعالى كان عاصياً، وإنْ قصدَ السّجودَ لله تعالى والشّكرَ على وصوله إلى تلك البقعة المباركة الشّريفة والتّذلّل للإمام بالتّقبيل لتُربته كان مثاباً على ذلك.

ولا عبرةَ بنَهي الصّوفيّة عن ذلك، فإنّه أَولى من اعتمادهم في الرّقص والتّصفيق بالأيدي الذي نهى اللهُ عنه في كتابه العزيز.

س: ما القول في سُماع الغناء إذا كان بغير شبّابة ولا دفّ ولا هجاء لمسلم ولا تشبيب بامرأة معيّنة، هل فيه رُخصة أم هو حرامٌ على كلّ حال قادحٌ في العدالة، وكذلك تغنّي الإنسان لنفسه، هو كذلك أم لا؟

وما قولكم في الذي لا يطرب بسماع الغناء وآلات الملاهي، هل يحرم [عليه] سماعه أم لا؟

ج: لا يجوز سماعُ الغناء سواء كان بشبّابة أو لا، وسواء كان هجاءً لمسلم أو لا، أو تشبيب بامرأة معيّنة أو لا. ولا رُخصةَ في شيءٍ من ذلك عند الإماميّة، ويقدحُ في العدالة، وكذلك تغنّي الإنسان لنفسِه بغير خلافٍ عند الإماميّة.

س: الثّياب التي تُجلَب من الهند ومن الرّوم ومن غير ذلك وفيها ما هو مصبوغ وغيره، وفيها ما يُقال فيه قولاً غير محقّق أنّه لا يعمله إلّا الإفرنج كالجوخ وثياب الصّوف، ويجتمع الكلّ في أسواق المسلمين ويُشترى من المسلمين، هل يجب غَسلُه قبل لَبسِه ليَطهر ويجوز الصّلاة فيه أم لا يحتاج إلى الغَسل ويُحكَم بطهارته وجَواز الصّلاة فيه؟

وما قولكم إذا اشتراه الإنسان ممّن يجلبُه والجالبُ له مُشرِك، هل يجب غَسلُه والحال هذه أم حكمُه حكمُ ما يُشترى من أسواق المسلمين، مع علمنا بأنّ أهل السّوق يشترونه ممّن يجلبه من مشركٍ وغيره؟

ج: لا يجب غَسلُ شيءٍ من هذه الثّياب لأنّها على أصلِ الطّهارة، فإنّ الأعيان النّجسة أمورٌ مضبوطةٌ محصورةٌ في أجناسٍ مخصوصةٍ نصَّ عليها الشّارع، وحكمَ بطهارة ما عداها إلّا أن تعرض له بما يُخرجه عن أصلِه، وليست هذه الأعيان فيها لعدم خروجِها عن أصلها، إنّما هو بمباشرة الكفّار لها برطوبة وذلك غير معلوم، فهي على أصل الطّهارة ولم تخرج عنه.

ولو اشترى من مشركٍ أو أخذَ منه لم يحكم بنَجاسته أيضاً، بل لو علمَ أنّه عملَه ولم يُباشره برطوبة لم يجب غَسله أيضاً.

س: هل يحرم على المرأة النّظر إلى الرّجل الأجنبيّ سواء كان بتَلذُّذ أو ريبة أو بغيرهما، مع أنّ النّساء لم يزَلنَ في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وبعدَ عصره وهلُّم جرّاً يخرجنَ في حوائجهنّ، ولا بدّ أن يقعَ نظرهنّ على الرّجال؟

ج: لا يجوز لهنّ النّظر إلى الرّجال الأجانب مطلقاً كالرّجال، للآية [هي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ..﴾ النّور:٣١]، **ولِما رُوي أنّ عائشة وحَفصة لم يَحتجِبا عن ابن أمّ مكتوم واعتذرتَا بأنّه أعمى، فقال عليه السّلام: «أَفَعَمْيَاوَتَانِ أَنْتُمَا؟»، وهو نَصٌّ في الباب.**

س: مَن يصلّي الفريضة من غير إخلالٍ بشيءٍ منها لكنّه لا يعلمُ الواجبَ من ذلك من المندوب أو يعتقد وجوبَ الجميع، هل تصحُّ صلاتُه والحال هذه أم لا؟

وهل العلمُ بواجبات الصّلاة شرطٌ في صحّة الصّلاة أم لا، وهل يجب معرفةُ الأركان من الواجبات أم يكفي معرفة الواجبات في شرط صحّة الصّلاة؟...

ج: لا بدّ أن يعرف الواجبَ ليُوقعَه على وجه الوجوب، فإذا لم يعرف الواجبَ من المندوب لم تصحّ صلاتُه. ولو اعتقدَ وجوبَ الجميع بطلت صلاتُه أيضاً، لأنّ المندوبَ إذا أوقعَه على وجهِ الوجوب كان باطلاً ومُبطِلاً للصّلاة إنْ كان ذِكراً مطلقاً، وإنْ كان هو فعلاً فكذلك مع الكَثرة، والعلمُ بواجبات الصّلاة بالدّليل أو بالتّقليد ممّن [عمّن] **له أهليّةُ التّقليد شرطٌ في صحّة الصّلاة. ويكفي في الأركان معرفةُ وجوبها.**

س: ما القول في الفروع، هل يجوز التّقليد فيها أم يجبُ على الإنسان معرفة ما يحتاج إليه من غير جهة التّقليد؟ وهذا أمرٌ مُشكِل.

ج: معرفةُ الفروع بالدّليل والتّفقُّه في الدّين واجبٌ على الكفاية للآية [هي قوله تعالى: ﴿..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ..﴾ التّوبة:١٢٢]، **ويجوز التّقليدُ فيها لكلّ أحدٍ بعد قيام مجتهدٍ في الزّمان يرجعُ التّقليدُ إليه ويعوّلُ النّاسُ في معرفة أحكامِهم عليه.**

> **سماعُ الغناء يَقدحُ في العدالة، ولا رُخصةَ في شيءٍ منه.**

س: ما القول في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، هل يذهب مولانا إلى أنّه واجبٌ على الأعيان، وهو إذا قام به البعض لم يسقط عن الباقين، أو هو واجبٌ على الكفاية؟

ج: اختلف النّاس في هذه المسألة، فذهب قومٌ إلى وجوبِه على الأعيان وهو مذهبُ ابن حمزة وقوّاه الشّيخُ الطّوسيّ في بعض أقواله، وذهبَ السّيّد المرتضى وأبو الصّلاح وابنُ إدريس وابنُ البرّاج إلى أنّه واجبٌ على الكفاية، بمعنى أنّه إذا قامَ به البعضُ سقطَ عن الباقين، وإنْ لم يَقُم به أحدٌ استحقّ كلُّ عالمٍ به متمكّنٍ من الأمرِ الإثمَ على الإخلال به، وإنْ لم يُمكن إيقاعُه إلّا بالكلّ وجبَ على الكلّ.

احتجّ لوجوبه:

الأوّل: قولُه تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الأعراف:١٩٩، **والتّأسّي واجبٌ على كلّ المكلّفين لقوله تعالى:** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ الأحزاب:٢١.

الثّاني: قولُه تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ..﴾ المائدة:٧٩.

الثّالث: قولُ النّبي ﷺ: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ولَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ..» الحديث.

احتجّ الآخرون بوجهَين:

أ) قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ..﴾ آل عمران:١٠٤، ولم يعمّ.

ب) إنّ الغرَضَ المقصودَ من ذلك هو ارتفاعُ المنكر ووقوعُ المعروف، فإذا حصلَ من البعض لم يجب على الباقين، لاستحالةِ تحصيل الحاصل.

العصمةُ كيفيّةٌ نفسانيّةٌ تبعثُ على ملازمة التّقوى والامتناعِ عن المعاصي مع القدرة على الضّدّ.

س: ما القول في عِلم النّحو، فإنّ مَن لا يعرفُه يتعذّر عليه معرفةُ كلامِ الله وكلامِ رسول الله صلّى الله عليه وآله وكلامِ أهل البيت عليهم السّلام، وقد جاءَ في الحديث: «إنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مَلْحُونَاً»، فهل قال أحدٌ بوجوبِ معرفتِه أم لا؟

ج: نعم، يَجِبُ معرفةُ النّحوِ على الكفاية، لأنّ معرفةَ الفِقه واجبةٌ عَلى الكِفاية، وَلا تتمُّ إلّا بمعرفتِه، فتكون واجبةً. ولا يجبُ معرفةُ النّحوِ بجميعِ مسائلِه، بل ما تتوقّفُ الأدلّةُ الشّرعيّةُ عليه.

أسئلة عقائديّة

س: قولُه تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ ..﴾ الأعراف:٨٨-٨٩.

فإنّ في الآية [الآيتَين] الكريمة إشكالَين:

أحدُهما: ذِكرُ العَود، والعَودُ يقتضي الابتداءَ بشيءٍ ثمّ يعودُ إليه، والرُّسُل عليهم السّلام مُنزَّهون عن البدأة بمِلل الكفر والعودِ إليها.

والثّاني: قولُ الرّسل: ﴿..إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ..﴾، والرّسل لا يجوزُ عليهم الكفر ولا المعاصي، فما معنى هذا الاستثناء؟

ج: أمّا الإشكال الأوّل فالجوابُ عنه: إنّ الآية تتضمّنُ شُعَيباً عليه السّلام ومَن آمن معه من قومه، لقوله تعالى: ﴿.. لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ..﴾، ولا شكّ في أنّ هؤلاء المؤمنين من قومِه كانوا كفّاراً، فكان الضّميرُ عائداً إليهم معطوفاً على ضمير الذين دخلوا في الإيمان بعد الكُفر وغلبوا الجماعة على ضمير الواحد، فكذا قولُ شعيب: ﴿.. إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ..﴾ غلبَ فيه ضميرُ الجماعة على ضميره.

وأمّا الإشكال الثّاني فالجواب عنه: إنّ الله تعالى قادرٌ على القبائح وإن تنزّهَ عن فعلها، فهو من حيث أنّه قادرٌ يصحّ استنادُها إليه، وإنّما يمتنعُ استنادُها إليه باعتبار الحكمة والاستثناء عنها، فأتى شعيب عليه السّلام بالاستثناء عنها نظراً إلى اندراج عَودِهم في الكفر إلى مشيّته تعالى من حيث قدرتِه، لا من حيث حكمتِه.

س: ما القول في مَن يروي عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله، هل يجوزُ أن يقول: «قال رسولُ الله كذا» مع أنّه لا يعلمُ يقيناً قاطعاً أنّ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله قال ذلك، أم لا يجوز...؟

ج: لا يجوز أن يقول ذلك على سبيل الجزم إلّا مع القطع بنَقلِه كما في المتواترات، وأمّا إذا قال ذلك على سبيل الظّنّ فلا بأس، والأحوط أن يقول «رُوِيَ» ونحوه.

س: الرّجلُ المحافظُ على الصّلوات، التّاركُ للمحرّمات، وهو غيرُ عارفٍ بما يجبُ عليه من علم الأصول [أصول الدّين]، وإنْ كان يعرفُ بعضَ ذلك فعَلى جهة التّقليد، فهل تكون أعمالُه وأقوالُه الصّالحة مقبولةً مُوجِبةً له الثّواب، أم يكون جِدّه واجتهادُه وعبادته هذه باطلاً غيرَ صحيحٍ ولا مقبولٍ ولا مُثابٍ عليه، ويكون حالُه وحالُ مَن لم يعمل خيراً قطّ، واحداً؟ وهذا أمرٌ صعبٌ وأكثرُ النّاس المتعبّدين على هذه الصّفة.

ج: "..." الثّوابُ إنّما هو على فعل الطّاعات بعد اعتقادِ الحقّ والإيمانِ المستندِ إلى الدّليلِ المفيدِ للعلم في التّوحيد والنّبوّة والإمامة، وإنّ التّقليد فيها غيرُ كافٍ. أللّهمّ إلّا مَن كان في عقلِه ضعفٌ لا يتمكّنُ من استخراجِ العقائد من الأدلّة والبَراهين كالبُله "...".

س: عصمةُ الأنبياء عليهم السّلام، هل هي كَعصمة الملائكة، خُلِقوا وجُبِلوا عليها لا تُنازِعُهم أنفسُهم ولا تدعوهم إلى شرّ، فإذاً يكون المطيعُ منّا المجاهدُ لهَوى نفسِه أكثر ثواباً منهم، أم عُصموا بمعنى أنّ الله تعالى خلقَ فيهم قوّةً زائدةً ولُطفاً عظيماً يَقهرون به شهواتِ أنفسِهم ودواعيها، فَيرِدُ الإشكالُ أيضاً، إذْ لو رزقَ اللهُ سبحانَه أحداً من الألطاف ما رزقَهم لسَاواهم في ذلك، أم عُصموا بمعنى أنّه لا يجوزُ منهم الخطأ لِما علمَ اللهُ سبحانه أنّهم لا يختارونه مع مجاهدتِهم لِهَوى أنفسهم ومنازعتِها لهم وجواز وقوع الخطأ منهم من حيث الإمكان؟

ج: العصمةُ كيفيّةٌ نفسانيّةٌ تبعثُ على ملازمة التّقوى والامتناعِ عن ارتكاب المعاصي مع قدرتِه على ضدّ ذلك وإمكانِ صدورِ خلافهما عنه، ولا يجوزُ أن يكونَ مقهوراً على فعل الطّاعة أو تَرْكِ المعصية، وإلّا لانتفى استحقاقُ الثّوابِ والعقاب، ولَزِمَ ما قال، أبقاه الله، في سؤالِه من كَون الواحد منّا أعظم ثواباً من النّبي صلّى الله عليه وآله، وهو باطلٌ إجماعاً.

ولا ريبَ في مساواة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للأمّة في القدرة والمكنة، ولا يمتنعُ أن يكون له لطفٌ من الله تعالى زائدٌ على الألطاف التي لغيره من المكلّفين، وذلك اللّطف تفضُّلٌ من الله تعالى، وهو غيرُ واجبٍ على الله تعالى ولا يجبُ مشاركةُ غيره له في ذلك.

ويُمكن أن يكونَ سببُ الاختصاص بهذا اللّطف عِلمُ الله تعالى لقبولِ المحلّ له دونَ غيره. ويجوز أن يكونَ من أنفسِهم بحيث لا يختارون المعصيةَ مع قدرتِهم عليها وامتناعِ صدورها عنهم، لِوفور عقلِهم وكَثرة علومهم ومداومتِهم على التّفكّر والنّظر وملازمة الطّاعات والمداومة عليها، بخلاف غيرِهم من البشر.

س: ما القول في رواية الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الأئمّة عليهم السّلام، هل يجوز بالمعنى وإن لم يُورِد اللّفظ بعينه، أو يجب مراعاة الألفاظ في رواية الحديث وهذا أمرٌ صعب، أم يجوز بالمعنى للعالم المطّلع على المعاني ولا يجوز للعامّيّ؟

ج: إذا كان الرّاوي عالماً جازَ أن يروي الحديث بالمعنى، بشَرطِ أن يذكر في روايتِه أنّه نقلَ المعنى دون اللّفظ.

س: مَن رأى في منامه رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أو بعض الأئمّة عليهم السّلام وهو يأمرُه بشيء أو ينهاه عن شيء، هل يجبُ عليه امتثالُ ما أمرَه به أو اجتناب ما ينهاه عنه أم لا يجب ذلك مع ما صحّ عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ رَآنِي فِي مَنَامِهِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنّ الشَّيطَانَ لَا يَتَمَثَّل بِي..» وغير ذلك من الأحاديث المرويّة عنه صلّى الله عليه وآله؟

وما قولُكم لو كانَ ما أمر به أو نهى عنه على خلاف ما في أيدي النّاس من ظاهر الشّريعة، هل بين الحالَين فرقٌ أم لا؟

ج: ما يخالفُ الظّاهرَ فلا ينبغي المصيرُ إليه، وأمّا ما يوافقُ الظّاهرَ فالأَولى المتابعةُ من غير وجوب، ورؤيتُه صلّى اللهُ عليه وآله لا يُعطي وجوبَ اتّباعِ المنام.

> **إذا لم يُمكن إيقاعُ الأمر بالمعروف إلاّ بالكُلّ، وجبَ على الجميع.**

س: ما القولُ في الكتاب العزيز، هل يصحّ عند أصحابنا أنّه نقصَ منه شيءٌ أو زِيدَ فيه أو غُيّر ترتيبُه أم لم يصحّ عندَهم شيءٌ من ذلك؟

ج: الحقّ أنّه لا تبديلَ ولا تأخيرَ ولا تقديمَ فيه، وأنّه لم يَزِد ولم يَنقُص. ونعوذُ بالله تعالى من أن يعتقدَ مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجِبُ التّطرّقَ إلى معجزة الرّسول عليه السّلام المنقولةِ بالتّواتر.

س: هل يجب أن يعرفَ المكلّف جميعَ الأئمّة عليهم السّلام بأسمائهم وترتيبهم في الإمامة واحداً بعد واحدٍ أم يكفيه معرفةُ أنّ له اثنَي عشر إماماً، وأنّ إمام زمانه هو صاحب الزّمان عليه السّلام المنتظَر، وإنْ لم يعرف أسماءَهم ولا ترتيبَهم في الإمامة؟

ج: يُشترط معرفتُهم بأسمائهم وترتيبِهم في الإمامة واحداً بعد واحدٍ، لأنّ الإيمانَ لا يتمّ إلّا به (بها)، إذ الإمامةُ ركنٌ من الأركان الأربعة.

المنازلُ السّبعة للسّالكين إلى اللّه تعالى

التحقّق بالصّفات الإلهيّة

المحقّق الشّيخ حسن المصطفوي

تشكّل المرجعيّة القرآنيّة الأساسَ المتين الّذي بنى عليه الفقهاءُ العرفاء رؤاهم التّربويّة والأخلاقيّة لكلّ ما يتّصل بالشّعائر الّتي ينبغي اتّباعها للسّلوك السّليم إلى الحقّ تعالى.

في هذه المقالة للعلّامة الشيخ حسن المصطفوي، رحمه الله، رؤية تأصيليّة لمراتب السّير والسّلوك، وقد حدّدها في كتابه الموسوم (التّحقيق في كلمات القرآن الكريم) بسبعة منازل استناداً إلى الآية الكريمة:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة:١١٢.

«شعائر»

لقد رتّب اللهُ عزَّ وجلَّ مراحل السّالكين إلى الله تعالى في سبعة منازل:

١- **منزل التّوبة**: وهو الرّجوع إلى الله تعالى من العصيان والخلاف، ومن التّعلُّق بالحياة الدّنيا، ومن الغَفلة والضّلال. وهذا أوّلُ منزلٍ للسّالك إلى الله تعالى، ولا بدّ له من العَزم والتّصميم والنّيّة الخالصة القاطعة، حتّى يخرج عن الخلاف والضّلال بالكلّيّة، ويتحقّق له التّوبة القاطعة من دون ترديدٍ وتَزلزلٍ ورَيب.

٢- **منزل العبوديّة المطلقة**: وهو التّذلُّل والتّعبُّد والإطاعة والاتّباع في جميع ما يريدُ الله ويأمرُ وينهى، حتّى يكون جميعُ أعماله وأقواله وأحواله وبرنامج أموره وظاهره وسرّه على طِبق حُكمِ الله تعالى، وعلى ما تقتضي وظائفُ العبوديّة، بحيث لا يُرى منه غير الطّاعة، ولا يشاهد منه غير الخضوع والتّذلُّل.

ويلزم للسّالك أن يجاهد في تثبيت آثار هذا المنزل والتّثبّت فيه حتّى لا يبقى له أدنى خلاف في سرّه وعلَنه، ويكون جميع جوارحه وأعضاء بدنه وقلبه في طاعة الله تعالى واتّباعه، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات:٥٦، فإنّ عبادة الله تعالى والسَّير في طاعته واتّباعه هو سعادة العبد، وفيه صلاحُه وكمالُه، ويقابله الضّلال والانحراف عن الحقّ، واتّباعُ خطوات الشّيطان.

ما تقدّم هما مَنزلا عالم المُلك، ويليهما منازل القلب:

٣- **منزل الحَمْد**: ومرجعُه إلى رضى العبد وطُمَأنينة نفسِه في قِبال قضائه تعالى وحُكمِه تكوينيّاً وتشريعيّاً، وكَوْن الرّبّ تعالى ممدوحاً عنده من أيّ جهةٍ وصِفَة؛ من جهة صفاته الذّاتيّة وصفاته الفعليّة، ومن جهة أوامره ونواهيه وتكاليفه المتوجّهة إلى العبيد عامّةً أو خاصّة.

فإنّ العبد إذا توجّه إلى [أدرك] أنّ صلاحَه وسعادتَه وخيرَه في اتّباع الأحكام الإلهيّة وفي عبوديّة الربّ وإطاعته وسلوك مَرضاته، فإنه يعرف أنّ ما يريد الله تعالى ويقضي ويحكم ويُقدِّر إنّما هو خيرٌ وصلاحٌ للعبد، وما يريد إلّا إصلاحَ حاله، وتكميلَ نفسه، وإيصالَ الخير والرّحمة إليه. فهو محمودٌ في جميع فِعالِه وشؤونه، ليس في حُكمه وَهْن، ولا في عملِه ضعف، ولا في قوله خلاف، ولا في تدبيره اختلال، ولا يُتصوَّر له نقصٌ ولا حاجة، وهو غَنِيٌّ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

فلا بدّ للعبد من تحقيق هذه الصّفات الإلهيّة ومعرفتِها واليقين بها، حتّى يكون مطمئنّاً [معها]، وحامداً له على كلّ حال، لا يبقى في نفسه أدنى درجةٍ من اضطرابٍ واعتراضٍ وترديد.

فتَحقُّق هذه الصّفة وتثبُّتُها في سرّ السّالك إنّما يكون بعد تثبُّت العبوديّة، وما لم يتثبّت في هذا المنزل: لا يُتوقَّع له الارتقاءُ إلى منزلٍ أعلى.

٤- **منزل السّياحة**: وهو سَيرٌ معنويٌّ وحركةٌ روحيّةٌ في الأسماء والصّفات والتّجلّيات الإلهيّة، وتحصيلُ المعرفةِ بالحقائق والمعارف اللّاهوتيّة بتَهذيب النّفس وتَزكيَتِها وتسليمِها، ورفع الحُجُبِ بتأييد الله المتعال وحَوْلِه وقوّته، ولُطفِه وعنايتِه وَتوفيقِه.

وهذا المعنى إنّما يتحقّق بالاتّصاف بالصّفات العُليا الإلهيّة، والتّمكُّن في حضرَتها، والتّثبّت في ساحتها، والتّخلُّق بحقائقها. وحينئذٍ تتجلّى له حقائقُ الأسماء والصّفات، ويستعدّ لإدراكها. وهذا المنزل يُعبَّر عنه بـ«السّفر في الحقّ بالحقّ».

٥- **منزل الرّكوع**: وفيه يتحقّقُ الخضوعُ والخشوعُ التّامُّ للسّالك في قِبال عظَمة اللّاهوت وجلالِ الله وجَمالِه الأبهى، وترتفعُ الأنانيّة، ويركعُ لله بظاهرِه وباطنِه وفي جميع أعماله وأحواله.

وأمّا المنزلان الأخيران، فهما منزلُ العقل، والمقام الجامع:

٦- **منزل السّجود**: وفيه يتحقّق مقامُ المَحْو والفناء الصِّرف، ولا يبقى من وجودِه أثرٌ، ولا يَرى إلّا اللهَ، وفيه تتجلّى حقيقةُ الإخلاص.

٧) **منزل السّفر إلى الخَلق**: وهو المعبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿..ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ..﴾، وهذه الجُمَلات [الجُمل] بمنزلةِ جملةٍ واحدة، وإشارةٌ إلى منزلٍ واحد، بقرينة العطف بالواو.

وفي هذا المنزل - بعد الفناء الصّرف وتجلّي الإخلاص - يستعدُّ السّالكُ لأن يكونَ واسطةً بين الخَلق والخالق بولايةٍ عامّة أو خاصّة.

فهذه سبعةُ منازلَ للسّالك إلى الله العزيز: مَنزلان منها في عالم المُلك ويتعلّقان بالبَدن، وهما التّوبة والعبادة. وثلاثةُ منازلَ منها تتعلّق بالقلب وعالَم الملكوت، وهي الحمد، والسّياحة، والرّكوع. وواحدٌ منها يتعلّق بعالَم الجبروت والعقل وحكومة اللّاهوت وهو السّجود. والمنزل الأخير مقامٌ جامع، وفيه تَتجلّى حقيقةُ الإنسان وكمالُه.

وهذا هو المرادُ من الإنسانِ الكامل، كما أنّ المنزلَ السّادس يُعبَّر عنه بمقام الوصول واللّقاء ورفْع الحُجُب. وقد أُشير إلى هذه المنازل الستّة بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف:١١٠.

***

[أمّا قولُه تعالى]: ﴿..أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم:٥، فالآيةُ الكريمةُ في توصيف الأزواج من حيث كونهنّ أزواجاً، وهذه الأوصاف بالتّرتيب المذكور صفاتٌ كماليّةٌ مُحَسِّنَةٌ لهنّ، وآخرُها السّياحةُ بعد كَونهنّ عابدات، والمرادُ كونهنّ في صدد النّظر والتّفكُّر والتّحقيق في المعارف الإلهيّة والعقائد الدّينيّة وكيفيّة تهذيب النّفس.

> **«منازلُ السّلوك إلى الله تعالى سبعة: مَنزلان منها يتعلّقان بالبَدن، وثلاثةٌ بالقلب، وواحدٌ بالعقل، والمنزل الأخير مقامٌ جامع، وفيه يتجلّى كمالُ الإنسان.»**

فالسّياحةُ في مقام الزّواج آخِرُ منزلٍ يفيد ويؤثّر في كماله وتمامه. وأمّا الرّكوع والسّجود والأمر بالمعروف: فغير مفيدةٍ في مقام الزّواج من حيث الزوجيّة، بل قد تُنافي حقوق الزّوجيّة، وعلى هذا لم تُذكَر في المَورد.

وأمّا عدمُ ذِكر صفات الإسلام والإيمان والقنوت في عِداد منازل السّالكين في الآية السّابقة [الآية ١١٢ من سورة التّوبة]: فإنّ السّلوك إنّما يُبتدأ به من منزل التّوبة، وأمّا مراحلُ الإسلام والإيمان والقنوت الظّاهريّة الأوّليّة: فهي مقدّمة للسّلوك إلى الله تعالى، والسّير إنّما يُبتدأ به من التّوبة. فإنّ السّير إنّما يتحقّق بعد التّثبّت والتّهيّؤ، وهذه الصّفات للتّهيّؤ.

التّعلّم الإنسانيّ، والتّعلّم الرّبانيّ

عِلمُ المعصوم أسْمَى أنواع العلوم

الفقيه العارف السّيّد حيدر الآمليّ رحمه الله

تحت عنوان: «حصول العلم من طريقَين: التّعلُّم الإنساني والتّعلُّم الرّبّانيّ»، كتب الفقيه الجليل والفيلسوف الإلهيّ السّيّد حيدر بن عليّ الآمليّ (ت: ٧٨٢ للهجرة) في تحليلٍ نوعيّ لهذَين الطريقَين من التّعلّم، مقدِّماً الأدلّة على مراتب العلم وأقسامه، منتهياً إلى أنّ علم المعصوم عليه السّلام هو أسمى أنواع العلوم.

كلامُه هذا، جاء في تفسيره المعروف باسم (المحيط الأعظم والبحر الخَضَمّ)، وقد اخترناه من الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

«شعائر»

اِعلم أنّ العلمَ الإنسانيّ يحصل من طريقَين: أحدهما التّعلُّم الإنسانيّ، والثّاني التّعلُّم الرّبّانيّ.

أمّا الطّريق الأوّل وهو التّعليم الإنسانيّ، فطريقٌ مشهور مسلوك محسوس يُقِرّ به جميع العقلاء، وهذا العلم يكون على وجهَين:

أحدهما: من الخارج وهو التّحصيل بالتّعلّم.

والآخر: من الداخل وهو التّحصيل بالتّفكّر.

والتّفكّر من الباطن بمنزلة التّعلُّم من الظّاهر.

فإنّ التعلُّم هو استفادة الشّخص من الشّخص الجزئيّ. والتّفكّر هو استفادة الرّوح من النّفس الكلّيّ، والنّفس الكلّيّ أشدّ تأثيراً وأقوى تعليماً من جميع العلماء والعقلاء.

والعلوم مركوزة في أصل النّفوس بالقوّة كالبذر في الأرض، والجوهر في قعر البحر وفي قلب المعدن، والتّعلُّم هو طلب خروج ذلك الشّيء الّذي بالقوّة إلى الفعل، والتّعليم هو إخراجه من القوّة إلى الفعل، فنفسُ المتعلِّم تتعلَّم بنفس العالم وتتقرّب إليها بالنّسبة بها.

فالعالم بالإفادة كالزّارع، والمتعلِّم بالاستفادة كالأرض، والعلم الّذي بالقوّة كالبذر، والّذي بالفعل كالنّبات، وإذا كملت نفس المتعلِّم تكون كالشّجر المثمر وكالجوهر الظّاهر من قعر البحر.

وإذا ظهرت [غلبت] القوى البدنيّة على النّفس يحتاج المتعلِّم إلى زيادة التّعلُّم وطول المدّة، ويحتمل المشقّة والتّعب في طلب الفائدة، وإذا غلب (ظهر) نور العقل على أوصاف الحسّ، يستغني الطالب بقليل الفكر عن كثرة التّعلُّم، فإنّ نفس العاقل تجد من الفوائد بتفكُّر ساعة ما لا تجد نفس الجاهل بتعلُّم سنة.

فبعض النّاس، إذاً، يحصّلون العلوم بالتّعلُّم وبعضهم بالتّفكُّر، والتّعلُّم يحتاج إلى التّفكُّر، فإنّ الإنسان لا يقدر أن يتعلَّم جميع الأشياء من الجزئيّات والكلّيّات وجميع العادات، بل يتعلَّم شيئاً ويَستخرج بالتّفكّر من العلوم شيئاً [آخَر]، وأكثر العلوم النّظريّة والصّنائع العمليّة استَخرجَتها نفوسُ الحكماء بصفاء ذهنهم، وقوّة فكرهم، وحدّة حَدسِهم، من غير زيادة تعلُّمٍ وتحصيل، ولولا أنْ يستخرج العالِمُ بالتّفكّر شيئاً من معلومه الأوّل لكان يطولُ الأمر على النّاس، ولَمَا كانت تزول ظلمةُ الجهل عن القلوب، لأنّ النّفوس لا تقدر أن تتعلَّم جميع مهمّاتها الجزئيّة والكلّيّة بالتّعلُّم، بل بعضها تتعلَّمُه بالتّحصيل وبعضها تتعلَّمُه بالنّظر، كما ترى عادات النّاس في الأمور المستحسنة، وبعضها تستخرجه عن ضميره بصفاء الفكر.

وعلى هذا جرت عادة العلماء (وصارت) قاعدة العلوم، حتّى إنّ المهندس لا يتعلّم جميع ما يحتاجُ إليه في طول عمره، بل يتعلَّم كلّيّات علمِه وموضوعات فنّه، ثمّ بعد ذلك يَستخرج و...

وكذلك الطّبيب، لا يقدر أن يتعلَّم جزئيّات أدواء الأشخاص وأدويتهم، بل يتفكّر في معلوماته الكلّيّة ويعالج كلَّ شخصٍ بحسب مزاجه.

وكذلك المُنجّم، يتعلّم كلّيّات النّجوم، ثمّ يتفكّر ويحكم الأحكام المختلفة.

وكذلك الفقيه والأديب، وهكذا في بدائع الصّنائع، فواحدٌ وضع آلة الضّرب، وهو العود، بتفكّره، وآخَر استَخرج من تلك الآلة آلةً أخرى، وكذلك جميع الصّنائع البدنيّة والنّفسانيّة أوائلها مُحصَّلة من التّعلُّم، والبواقي مُستخرَجة بالتّفكّر، وإذا انفتح باب التّفكّر على النّفس، وعلمت كيفيّة طريقه وكيفيّة الرّجوع بالحدس إلى المطلوب، ينشرح قلبه [الضّمير عائد إلى صاحب النّفس] وتنفتح بصيرته، فيخرج ما في نفسه بالقوّة إلى الفعل من غير زيادة تعبٍ وطولِ نَصَب.

التّعلُّم الرّبانيّ بالوحي والإلهام

الطّريق الثّاني، وهو التّعلُّم الرّبّانيّ، وذلك على وجهَين:

الأوّل: إلقاء الوحي، وهو أنّ النّفس إذا كَملت ذاتُها، وزال عنها دَرَن الطّبيعة ودنَس الحرص والأمل والافتخار، وانفصل نظرُها عن شهوات الدّنيا، وانقَطَع نسبُها عن الأماني الفانية، أقبلَت بوجهها على بارئها ومُنشِئها، وتمسّكت بِجُود مُبدِعِها، واعتَمَدت على إفادته وفيضِ نوره، فالله عزَّ وجلَّ بِحُسنِ عنايته يُقبِلُ على تلك النّفس إقبالاً كلّيّاً وينظر إليها نظراً إلهيّاً، ويتّخذ من تلك النّفس لوحاً، ومن النّفس الكلّيّ (العقل) قَلَماً، وينقش فيها جميع علومه، ويَصير العقلُ الكلّيّ كالمعلِّم، والنّفسُ القدسيّ كالمتعلِّم، فتحصل جميع العلوم لتلك النّفس، وتنقش فيها جميع الصُّور من غير تعلُّمٍ وتفكُّر، ومصداق هذا قول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿..وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النّساء:١١٣.

فعِلمُ الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأنّ محصوله عن الله تعالى بلا واسطةٍ، ووسيلةٍ، وبيان.

هذه الكلمة توجد في قصّة آدم عليه السّلام والملائكة؛ فإنّهم تعلّموا طول عمرهم وحظوا بفنون الطّريق وكثير العلوم، حتّى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم لمّا جاء ما كان عالماً، لأنّه ما تعلّمه، [و] لأنّه ما رأى معلّما، فتفاخرت عليه الملائكة ".." وقالوا [لله تعالى]: ﴿..وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ..﴾ البقرة:٣٠، ونعلم حقائق الأشياء، فرفع آدم إلى باب خالقه، وأخرج محبّته عن جملة المكوّنات وأقبل بالاستعانة على الرّبّ تعالى، فعلّمه الأسماء كلّها، ثمّ عرضهم على الملائكة فقال: ﴿..أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:٣١.

فصغر حالهم عند آدم وقلّ علمهم ".." فغرقوا في بحر العجز، وقالوا: ﴿..لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ..﴾ البقرة:٣٢.

فقال تعالى: ﴿..يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ..﴾ البقرة:٣٣، فأنبأهم آدم عن مكنونات العلم ومستترات الأمر.

> **النّفس إذا كَملت ذاتُها، وزال عنها دَرَن الطّبيعة ودنَس الحرص والأمل والافتخار، وانفصل نظرُها عن شهوات الدّنيا، وانقَطَع نسبُها عن الأماني الفانية، أقبلَت بوجهها على بارئها ومُنشِئها.**

> **العلم الحاصل من الوحي يُسمّى علماً نبويّاً، والّذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى علماً لدنّيّاً. والعلم اللّدُنّيّ هو الّذي لا واسطة في حصوله بين النّفس والباري تعالى، وإنّما هو كالضّوء في سراج الغَيب.**

فتقرّر الأمر عند العقلاء أنّ العلم العينيّ المتولِّد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المُكتَسَبة، وصار علمُ الوحي إرثَ الأنبياء وحقّ الرّسل عليهم السّلام، حتّى أغلق الله سبحانه باب الوحي في حقّ [بعد] محمّد صلّى الله عليه وآله، فكان رسول الله خاتَم النّبيّين، وكان أعلم النّاس وأفصح العرب، وكان يقول: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»، وقال لقومه: «**أَنَا أَعْلَمُكُم بِاللهِ وأَخْشَاكُم مِن الله**».

وإنّما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لأنّه حصل من التّعلُّم الرّبّانيّ، وما اشتَغل قطّ بالتّعلُّم الإنسانيّ؛ فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ النّجم:٥-٧.

معنى الإلهام والعِلم اللَّدنيّ

الوجه الثّاني: هو الإلهام، وهو تنبيه النّفس الكلّيّ للنّفس الجزئيّ الإنسانيّ على قدر صفاته، وقبوله، وقوّته، واستعداده.

والإلهام أثر الوحي، فإنّ الوحي تصريح [بـ] الأمر الغيبيّ، والإلهام تعريضه [بمعنى الإيحاء به]، والعِلم الحاصل من الوحي يُسمّى علماً نبويّاً، والّذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى عِلماً لدنّياً.

والعلم اللّدُنّيّ هو الّذي لا واسطة في حصوله بين النّفس والباري تعالى، وإنّما هو كالضّوء في سراج الغَيب؛ يقع على قلبٍ صافٍ لطيفٍ فارغ، وذلك أنّ العلوم كلّها موجودة في جوهر النّفس الكلّيّ الأزليّ، الّذي هو من الجواهر المفارقة الأوّليّة المَحْضة، وهو بالنّسبة إلى العقل الأوّل كنسبة حوّاء إلى آدم، وقد تبيّن أنّ العقل الكلّيّ أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النّفس، والنّفس الكلّيّ أعزّ وألطف وأشرف من سائر المخلوقات.

فمن إفاضة العقل الكلّيّ يتولّد الوحي، ومن إشراف النّفس الكلّيّ يتولد الإلهام، والوحي حِلْية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء، وكما أنّ النّفس دون العقل، والوليّ دون النّبيّ، فكذلك الإلهام دون الوحي، فهو ضعيف بنسبة الوحي، قويّ بنسبة الرّؤيا، والعلم اللّدنّيّ علم الأنبياء والأولياء، وأمّا علم الوحي فخاصّ بالرّسل، موقوفٌ عليهم، كما كان لآدم عليه السّلام، وإبراهيم، وموسى، ومحمّد، عليهم السّلام، وغيرهم من الرُّسل.

الفرق بين الرّسالة والنّبوّة

وفرقٌ بين الرّسالة والنّبوّة، فإنّ النّبوّة هي قبول النّفس القدسيّ حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأوّل، والرّسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والتّابعين، وإنّما يتّفق القبول لنفسٍ من النّفوس، ولا يتأتّى لها التّبليغ لِعذرٍ من الأعذار وسببٍ من الأسباب، والعلم اللّدنّيّ يكون لأهل النّبوّة والولاية، كما حصل للخضر عليه السّلام حيث أخبر الله تعالى، فقال: ﴿..وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف:٦٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام عن [العلوم التي خصّه بها رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولقّنه إيّاها] «.. **فَانْفَتَحَ فِي قَلْبِي أَلفُ بابٍ مِنَ العِلْمِ، مع كُلِّ بابٍ ألفُ باب**».

وقال أيضاً: «**لَوْ ثُنِيَت لِي وسادةٌ لَجَلَسْتُ عَلَيْها، وَحَكَمْتُ لِأَهْلِ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِم، وَلِأَهْلِ الإنْجِيلِ بِإنْجِيلِهِم، وَلِأَهْلِ الزَّبُورِ بِزَبُورِهِم، وَلِأَهْلِ الفُرْقانِ بِفُرْقانِهِم**».

ظهور أسرار المكنونات

حين يَرتفعُ الحجاب بين نفس العبد والنّفس الكلّيّة، تظهر فيها [في الأولى] أسرارُ المكنونات، وهذه المرتبة لا تُنال بمجرّد التّعلُّم الإنسانيّ، بل يتمكّن المرءُ في هذه المرتبة بقوّة العلم اللّدنّيّ، كذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**إنَّهُ حُكِيَ عَنْ وَلِيِّ عَهْدِ مُوسى أَنَّهُ شَرَحَ كِتابَهُ فِي أَرْبَعِينَ حِمْلاً، فَلَوْ يَأْذَنُ اللهُ لِي لأَشْرَعَ فِي شَرْحِ مَعانِي أَلِفِ (الفاتحة)، حتّى يَبْلُغَ مِثْلَ ذَلِكَ، لَفَعَلْت**».

يعني أربعين وِقراً، وهذه الكثرة والسّعة والانفتاح في العلم لا تكون إلّا لدنّياً إلهيّاً سماويّاً.

فلو أراد اللهُ بعبدٍ خيراً رَفَعَ الحجابَ بين نفسه وبين النّفس الكلّيّ الّذي هو اللّوح، فتظهر فيها أسرار المكنونات، وتنتقش فيها معاني تلك المكوّنات، فتعبّر النّفس عنها كما تشاء إلى مَن يشاء من عباده، وحقيقة الحكمة تُنال من العلم اللّدنّيّ، وما لم تبلغ النّفس هذه المرتبة لا يكون حكيماً، لأنّ الحكمة من مواهب الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة:٢٦٩.

وأولوا الألباب هم الواصلون إلى مرتبة العلم اللّدنّيّ، المستغنون عن التّحصيل وتعب التّعلُّم، فيتعلّمون قليلاً ويعلمون كثيراً، ويتعبون قليلاً ويستريحون كثيراً.

آية الله الشّيخ جعفر كاشف الغطاء المالكي النّجفي

الفقيهُ المتصدّي لأمور المسلمين

إعداد: «شعائر»

* «أعجوبةٌ في الفقه»، اشتهر باعتدال السّليقة فيه، وقوّة الاستنباط من الأدلّة.
* مَن أتقن القواعد الأصوليّة التي أودعه في بعض مؤلّفاته، فهو مجتهدٌ عند الشّيخ الأنصاري، (صاحب الفرائد)
* كان شديدَ الحرص على الآداب والسُّنن الشّرعيّة، مُهاباً ومسموع الكلمة عند السّلاطين.
* عمد إلى تجميع السّلاح والتّدريب على القتال، وأفتى بوجوب تصدّي العارف بالسّياسة للدّفاع عن دار الإسلام في زمن الغَيبة، وعند تعذّر قيام الفقهاء بذلك.
* تمّ إعداد هذا المقال بالاستناد إلى مقدّمة محقّق كتاب (كشف الغطاء عن مُبهَمّات الشّريعة الغرّاء)، و(أعيان الشّيعة) للسّيّد محسن الأمين، و(خاتمة مستدرك الوسائل) للمحدّث الميرزا النّوري.

هو الفقيه الشّيخ جعفر كاشف الغطاء ابن الشّيخ خضر بن يحيى المالكي الجناجي النّجفي. وُلد في النّجف الأشرف سنة ١١٥٦ للهجرة، (١٧٣٦م)، وتوفّي ودُفن فيها سنة ١٢٢٨ للهجرة (١٨٠٨م).

والمالكي نسبةً إلى بني مالك، وهم المعروفون اليوم في العراق بآلِ عليّ، ويقال إنّ نسبَهم يرجع إلى مالك الأشتر النَّخْعِيّ من حواريّي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

والجَناجيّ (بالجيم)، نسبة إلى «جناجية» قريةٌ من أعمال الحلّة، أمّا لقبُه: «كاشف الغطاء» الذي اشتهر به أولاده وذراريه من بعده، فنسبة إلى أبرز مؤلّفاته: (كشف الغطاء عن مبهمات الشّريعة الغرّاء)

انتهت إليه رئاسةُ الإماميّة الدّينيّة في عصره، والزّمنيّة في قطرة، فهو الفقيه الأكبر مفتي الإماميّة، رجع إليه النّاس وأخذوا عنه، ورَأَسَ بعد وفاة شيخه السّيّد مهدي بحر العلوم الطّباطبائي، سنة ١٢١٢ للهجرة، واشتهر باعتدال السّليقة في الفقه، وقوّة الاستنباط من الأدلّة، «فكان أُعجوبةً في الفقه»، و«من آيات الله العجيبة»،

وفق تعبير كلٍّ من السّيد الأمين في (الأعيان)، والميرزا النّوري في (خاتمة المستدرك)، مستندَين في توصيفهما إلى نتاجه الفقهيّ والأصوليّ الذي تجلّى في كتابه (كشف الغطاء).

وكان عصرُ الشّيخ جعفر كاشف الغطاء، عصرَ النّهضة العلميّة وازدهار الفقه والأصول. ومبدأ هذه الحركة هو الأستاذ الأكبر، محمّد باقر المعروف بالوحيد البَهبهاني، وتكاملت هذه النّهضة في

مدينة الحلة

عصر الشّيخ كاشف الغطاء والسّيّد محمّد مهدي بحر العلوم، واستمرّت إلى زمن العلّامة الشّيخ مرتضى الأنصاري.

ومن نتائج الازدهار العلمي في هذه الحقبة اجتماعُ عدّة من فطاحل الفقهاء فيه وتأليف موسوعات فقهيّة قيّمة، كـ(مصابيح الأحكام) للسيّد بحر العلوم، و(مفتاح الكرامة) للسيّد جواد العاملي، و(كشف الغطاء) للمترجَم له، و(مستند الشّيعة في أحكام الشّريعة) للشيخ أحمد النّراقي، و(جواهر الكلام) للشّيخ محمّد حسن النّجفي، وغيرها.

ومع وفاة السّيد بحر العلوم، انتقلت أعباء المرجعيّة إلى الشّيخ جعفر كاشف الغطاء، وذكر المؤرّخون أنّه كان يحضرُ درسَه من المجتهدين ما لا يُحصى عددُهم، وقد تعرّض الشّيخ الأعظم الأنصاريّ رحمه الله في مصنّفاته كثيراً لآرائه الفقهيّة والأُصوليّة، وكان يعبّر عن الشّيخ كاشف الغطاء بـ «بعض الأساطين»، أمّا (صاحب الجواهر) فيعبّر عن كاشف الغطاء بـ «الأستاذ الأكبر».

إلى ذلك، عُرف الشّيخ كاشف الغطاء رضوان الله عليه بشدّة مواظبته على الآداب والسُّنن والتّهجّد لا سيّما في الأسحار، وقد

نقل نفرٌ من ملازميه وتلامذته مشاهدَ ممّا عاينوه من عباداته، من ذلك ما رواه الشّهيد الثّالث القاضي عبد الله التّستري عن تذلّل الشّيخ جعفر وبكائه بين يدَي المولى سبحانه في صلاة اللّيل، وأنّه كان يُوقظ أهلَ بيته لأدائها، أو ما ذاع واشتهر من مخاطبته شاكراً لله تعالى، بقوله: «كنت جُعَيفراً، ثمّ صرت جعفراً، ثمّ الشّيخ جعفر، ثمّ شيخ العراق، ثمّ رئيس الإسلام..».

ومن صفاته أنّه كان شديدَ التّواضع واللّين، مع ما فيه من الوقار والهيبة والاقتدار، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته عن واحدٍ من النّاس، لكنّه متى حضرَ تصاغرَ الجميعُ دونَه، وما ذلك إلّا لشدّة يقينِه في دينه، وحزمِه وتبصُّره في أمره.

وأبرزُ مصاديق اللّين والرّأفة في شخصيّة الشّيخ جعفر كاشف الغطاء، تعاملُه مع المستضعفين والفقراء، «وقد نُقل عنه في ذلك مقاماتٌ وحكايات، لو جُمِعَت لكانت رسالةً طريفةً نافعة»، كما في (خاتمة المستدرك).

مدخل مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف

وكان من عادته أن يوزّع ما اجتمع عنده من أموال على الفقراء والمحتاجين بين الصّلاتَين، فحضره يوماً أحد السّادة طالباً حقّه، فقال له الشّيخ: «جئتَ متأخّراً ولم يبقَ شيء»، فاغتاظ الرّجلُ وبصقَ على لحية الشّيخ جعفر! فقام الشّيخ وأخذ بطرف ردائه وراح يدور بين صفوف المصلّين وهو يقول: «مَن كان منكم يُكرم لحية الشّيخ فليُساعد هذا السّيّد»، فاجتمع في ردائه مالٌ كثير، أعطاه للسيّد وأقامَ صلاة العصر.

وجاءَه يوماً رجلٌ آخر، وهو راكبٌ يهمّ بمغادرة مدينة أصفهان، فقبضَ الرّجل على لجام فرس الشّيخ، وقال له: «احتاجُ إلى مائة دينار، ولا أسمحُ لك بالمغادرة إلّا ان تُعطيني ما أريد»، فقال له الشّيخ: «اذهب إلى أمين الدّولة (حاكم أصفهان) وقل له: الشّيخ جعفر يأمرُك أن تعطيني مائة دينار. وسأنتظرك ريثما تعود»، وعندما علم أمين الدّولة أن الشّيخ ينتظر عودة الرّجل، أمر مساعديه أن يعطوه صُرّة المال من غير أن يعدّوا ما فيها حذرَ أن يطول وقوف الشّيخ جعفر منتظراً، وإذا في الصّرة مائتا دينار، أعطى الشّيخ منها مائةً للرجل، ووزّع الباقي على الفقراء، وغادرَ أصفهان.

وكان يشترطُ على من يُولِمُ له أن يدفع إليه ما يعادلُ ثمنَ الوليمة، فيوزّعه على الفقراء، ومن ثمّ يحضر مائدته. كلّ ذلك، وهو صاحبُ الكلمة المسموعة عند السّلاطين والأمراء القاجاريّين، وكذلك عند نظرائهم من العثمانيّين، فقد كان مهيباً ذا سطوة معنويّة لا تُبارى. حتى أنّ السّلطان فتح علي شاه القاجار كان يُطيعه غاية الإطاعة، وكذا كلّ أكابر دولته وأبنائه.

ومن سماته رضوان الله عليه، تصلُّبه في النّهي عن المنكر وردّ أهل البدع، من ذلك رسالته التي بعث بها إلى أهل مدينة «خوي»، لمّا توسّعت دعوةُ الصّوفيّة فيهم، وكان فيها توبيخٌ وتهديدٌ وتحذير.

ومن طريف ما يُنقَل عنه في هذا المجال، أنّه زار إحدى مدن إيران، وربّما عاين فيها قلّة اكتراثٍ بالشّعائر الإسلاميّة، أو مظاهر انحرافٍ عن الصّراط السّويّ، فلمّا اجتمع أهل المدينة للصّلاة، طلب إليه بعضهم أن يرتقي المنبر واعظاً ومرشداً، فاعتذر الشّيخ بأنه لا يُتقِنُ الفارسيّة، لكنّ الحاضرين بالغوا في الإلحاح عليه، فرقيَ المنبر، وقال: «أيّها النّاس! الشّيخ يموت وأنتم تموتون، ففكّروا في آخرتكم. أيّها النّاس! إنّ مدينتكم "..." تُشبه الجنّة، فكما أنّ في الجنّة قصوراً عالية، وبساتين وأنهاراً، فهكذا مدينتُكم، وكما أنّ جميع التّكاليف من الصّلاة والصّوم وسائر العبادات مرفوعة عن أهل الجنّة، فهكذا بلدكم، كأنّ الصّلاة والصّوم وجميع العبادات مرفوعة عنكم!». ثمّ التفت إلى القارئ وقال له: «قم، واذكر مصيبة الحسين عليه السّلام».

مكانته الرّياديّة

كانت للشيخ جعفر كاشف الغطاء مكانة قياديّة سامية، تشهد لها قضايا مهمّة في طول حياته، نُشير إلى أهمّها:

أوّلاً: إذنُه لفتح عليّ شاه القاجاري في الدّفاع عن حياض الإسلام والمسلمين نظراً لخطورة الأوضاع العالميّة التي ارتدّت سلباً على إيران من جميع الجهات. فالإمبراطوريّة الرّوسيّة تتدخّل في شمال إيران بذريعة حماية الأقلّيات الدّينيّة وهدفها تقليصُ المسافة بين أراضيها وبين شبه القارّة الهنديّة. بدورها سعت إنكلترا إلى توسيع الفاصل ما بين مستعمرات روسيا ومنطقة شرق آسيا، وتمكين نفوذها في جنوب إيران ليبقى حاجزاً يصدُّ

الرّوس عن ثروات الهند. تزامن ذلك مع صعود نجم نابليون الأوّل في فرنسا، ومطامعه التّوسعيّة والاقتصاديّة في المنطقة برمّتها، فضلاً عن تشجيع هذه الدّول الأجنبيّة لجماعاتٍ داخليّة لإثارة الاضطرابات إضعافاً للسّلطة المركزيّة، وما ترتّب على ذلك من هتك الأعراض وإزهاق الأرواح، ولأجل هذه الأُمور وغيرها أذِنَ الشّيخ لفتح علي شاه وقوّى موضعَه في أمر الدّفاع، رعايةً لمصلحة المسلمين العامّة، وكتب له الإجازة الموجودة في كتاب الجهاد من (كشف الغطاء)، وقد تضمّنت هذه الإجازة مواضيع مهمّة تستدعي التّأمّل فيها. من ذلك حصرُه رضوان الله عليه الجهادَ الذي يحتاج إلى إذن الوليّ المعصوم المعيّن من قِبل الله تعالى، بالجهاد الذي «..لا يتضمّن دفاعاً عن بيضة الإسلام... وإنّما الغرض من جمع الجنود، ونصب الرّايات والأعلام، هدايةُ الكفّار، وقهرُهم على الإقرار بكلمة الإسلام بعد الإنكار، وهذا منصب الإمام أو المنصوب الخاصّ منه، دون المنصوب العام..».

يضيف الشّيخ كاشف الغطاء: «..ما يتضمّن دفاعاً عن بيضة الإسلام، وقد أرادوا كسرها واستيلاء كلمة الكفر وقوّتها وضعف كلمة الإسلام "..." وإذا لم يحضر الإمام [المعصوم]، بأنْ كان غائباً، أو كان حاضراً ولم يُتمكَّن من استئذانه، وجبَ على المُجتهدين القيام بهذا الأمر. ويجب تقديمُ الأفضل أو مأذونُه في هذا المقام ، ولا يجوز التّعرّض في ذلك لغيرهم، وتجب طاعةُ النّاس لهم، ومَن خالفهم فقد خالف إمامَهم. فإنْ لم يكونوا، أو كانوا ولا يُمكن الأخذُ عنهم ولا الرّجوعُ إليهم، أو كانوا من الوَسواسيّين الذين لا يأخذون بظاهر شريعة سيّد المرسلين، وجب على كلّ بصيرٍ صاحب رأي وتدبير، عالمٍ بطريقة السّياسة، عارفٍ بدقائق الرّئاسة، صاحبِ إدراكٍ وفهمٍ وثباتٍ وجَزمٍ وحزم، أن يقومَ بأحمالها، ويتكلّفَ بحمل أثقالها، وجوباً كفائيّاً مع مقدار القابلين، فلو تركوا ذلك عُوقبوا أجمعين..».

ومن العناوين التي تضمّنتها هذه الإجازة:

١) وجوبُ إطاعة السّلطان، حيث أنّه مأذونٌ من قبل الحاكم الشّرعي والفقيه الجامع للشرائط، والسّماح له بجباية الأموال التي يحتاجُ إليها لتدبير أمور الجيش.

٢) دعوة السّلطان وأرباب الحكومة إلى رعاية التّقوى والعدل في الرّعيّة.

٣) لزوم كتمان الأسرار وعدم إذاعتها للأغيار.

٤) انتداب معلّمين، يعلّمون جنود الجيش مسائل الحلال والحرام ليكونوا في زمرة حزب الله، والمحافظة على الشّعائر الإسلاميّة لا سيّما الصّوم والصّلاة، وتعيين المؤذّنين، وأئمّة الجماعات، والوعّاظ العارفين باللّغة الفارسيّة واللّغة التّركيّة لشرح مفهوم الشّهادة في سبيل الله تعالى.

ثانياً: دفاعُه عن النّجف الأشرف في الحوادث الدّامية:

شهدت النّجف الأشرف فتنةً داميةً استمرّت عقوداً بين فرقتَين عُرفتا بـ «الشّمرت»، و«الزّكرت». وقد بلغ الخلافُ بينهما إلى حيث سُفكت الدّماء ونالَ كثيراً من الأبرياء – لا سيّما طلَبة العلوم الدّينيّة – الحيف والظّلم، فعمدَ الشّيخ كاشف الغطاء إلى تدريب جماعةٍ من أهل العلم على الرّماية واستعمال السّلاح ليتمكّنوا من الدّفاع عن أنفسهم.

سور النجف

وقام الشّيخ رحمه الله بتَمصير النّجف، فبنى حولَها سُوراً، وأسكن فيها جماعةً صالحةً من بيوت العرب والعجم لتَلقّي العلوم الدّينيّة، وبلغَ من حرصه على تطوّر المدينة وازدهارها أن استدعى جملةً من المَهرة في سائر العلوم إليها، وتصدّى لردّ هجمات الوهّابيّين عليها، فحوّل دارَه الكبيرة إلى ثُكنة للسّلاح والعَساكر، وصرف لهم الرّواتب، وفي بعض النّقولات أنّ عمليّة تدريب المجاهدين على القتال كانت تتمّ في مسجد السّهلة.

وفي سنة ١٢١٧ للهجرة، أغارَ عبد العزيز سعود الوهّابي على مدينة كربلاء وعاثَ فيها فساداً، ثمّ توجّه إلى النّجف الأشرف، فلمّا بلغ أهلَها نبأُ مسيره إليهم، نقلوا من فورهم خزانةَ الأمير عليه السّلام إلى بغداد خوفاً عليها من النّهب كما نُهبت خزانةُ الحرمِ النّبويّ، ثمّ أخذوا بالاستعداد له، وكان القائم بهذا العبء الشّيخ جعفر كاشف الغطاء، فأخذ بجمع السّلاح وبجلب ما يُحتاج إليه في الدّفاع، فما كانت إلّا أيّام حتّى وردَ الوهّابي بجنوده وعسكرَ قريباً من النّجف، عازماً على مهاجمتها من غد.

وكان الشّيخ رحمه الله قد أغلق الأبواب، وجعل خلفَها الصّخور والأحجار، وعيّن لكلّ بابٍ عدداً من المقاتلة، وكان جميعُ مَن في البلدة من المقاتلة لا يزيدون على المأتين، بينهم ثلّة من مشاهير العلماء، كالشّيخ حسين نجف، والشّيخ خضر شلال، والسّيّد جواد العاملي، وقد ذكر الحادثة لاحقاً في كتابه (مفتاح الكرامة).

ثمّ إنّ الشّيخ وأصحابه وطّنوا أنفسهم على الموت لقلّتهم وكثرة عدوّهم، فاستغاثوا بأمير المؤمنين عليه السّلام، واستجاروا به صلوات الله عليه، فأجارَهم وهزمَ المنافقين وشتّت شملَهم، وما أصبحَ الصّباح إلّا وقد انجلى الوهّابيّون عن البلدة المشرّفة وتفرّقوا، بعد ما رأوه من عزم أهلها على القتال حتّى الشّهادة، فتهيّب ابن سعود محاربتَهم، وقفل خائباً منهزماً بعسكره.

أساتذته وتلاميذه

يشهد لعُلوّ فقاهة الشّيخ جعفر كاشف الغطاء الأساتذة الكرام الذين استفاد الشّيخ رحمه الله من نور علومهم، والتّلامذة الذين استضاؤوا من شعاع علمه. ونحن نذكر عدداً منهم:

١ – أوّل مشايخه، والده المكرّم، الشّيخ خضر، وكان من الفقهاء المتبتّلين والزّهّاد المعروفين، وعلماء عصره كانوا يزدحمون على الصّلاة خلفه.

٢ – الفقيه العلَم محمّد باقر بن محمّد أكمل، المعروف بالوحيد البهبهاني، له (شرح مفاتيح الشّرائع).

٣ – السّيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطّباطبائي، صاحب (الفوائد الرّجاليّة).

٤ – الشّيخ محمّد مهدي الفتوني العاملي النّجفي.

تلاميذه: تتلمذ على الشّيخ كاشف الغطاء جمٌّ غفير، وروى عنه جمعٌ كثير، نذكرُ عدداً منهم شكراً لمساعيهم الجميلة في الحوزات العلميّة والمجتمع الإسلامي:

١ – ٤) أولاده: **الشّيخ موسى:** انتهت إليه المرجعيّة العامّة بعد والده. **الشّيخ علي:** كان كثيرَ الذِّكر، دائمَ العبادة، ذُكر أنّه تشرّف بلقاء الحجّة عجّل الله فرجه. له عدّة كتب قيّمة جدّاً في الفقه والأصول. **الشّيخ حسن:** كان عَلَماً في الفقه والأُصول، من أشهر مؤلّفاته (أنوار الفقاهة). **الشّيخ محمّد.**

٥ – الشّيخ أسد الله الكاظمي: صهر الشّيخ جعفر على ابنته، له (مقابس الأنوار) في الفقه.

٦ – الشّيخ محمّد حسن النّجفي، مؤلّف الموسوعة الفقهيّة (جواهر الكلام): هو وكتابه أشهر من أن يُعَرّفا.

٧– الشّيخ محمّد تقي الأصفهاني، صاحب (حاشية المعالم).

٨ – الشّيخ عبد الحسين الأعسم النّجفي، له كتاب (ذرائع الأفهام إلى أحكام شرائع الإسلام).

٩– السّيّد صدر الدّين العاملي، صهر الشّيخ جعفر على ابنته، وله آثار كثيرة تدلّ على جلالة قدره، منها: (رسالة حجيّة الظّنّ)، و(تعليقة على نقد الرّجال).

آثاره العلميّة

للشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله تآليف قيّمة مشحونة بالتّحقيق والتّدقيق، منها:

– (كشف الغطاء عن مبهمات الشّريعة الغرّاء): في الفقه، وهو أشهر مؤلّفاته كما تقدّم، وله ميزتان أساسيّتان: تضمينُه الأصولَ الاعتقاديّة مصحوبةً بالأدلّة العقليّة والنّقليّة من الكتاب والسُّنّة القطعيّة، وتحكيمُه المباني الأُصوليّة في استنباط الأحكام الشّرعيّة ، حيث ذكر ٥٦ مبحثاً من المباحث الأصوليّة الدّقيقة والقواعد المشتركة بين الفقه والأُصول، حتّى قال الشّيخ الأنصاري: «مَن أتقنَ القواعد الأُصوليّة التي أودعَها الشّيخ جعفر في كشْفِه فهو عندي مجتهد».

– (غاية المأمول في علم الأصول).

– (غاية المراد في أحكام الجهاد).

– (بُغية الطّالب): رسالة عمَليّة.

– (الحقّ المبين في تصويب المجتهدين): بيّن فيه أنّ مرجعَ الأخباريّين والأصوليّين إلى ما رُوي عن الأئمّة عليهم السّلام. فالمجتهد أخباريّ والأخباريّ مجتهد، وأنّ فضلاء الطّرفَين ناجون.

– (العقائد الجعفريّة في أُصول الدّين).

– (القواعد الجعفريّة في شرح بعض أبواب المكاسب): الكتاب فريدٌ في بابه.

– (منهج الرّشاد لمن أراد السّداد): في الرّدّ على الوهّابيّة.

مكافحة ظاهرة التّكفير

كلمة السِّرّ لإنجاح الوحدة الإسلاميّة

بقلم: سامح مظهر*

واجهت المشاريع والأفكار الّتي تقدّم بها علماء الأمّة ومفكّروها على مدى العقود السّابقة لتحقيق الوحدة بين أتباع مختلف المذاهب الإسلاميّة، عقبةً كَأْدَاء حالت دون أن ترى هذه المشاريع النّور، تمثّلت بظاهرة التّكفير الّتي لم يجرِ حينها التنبّه لها، حتّى استفحلَتْ وطَغَتْ على المشهد الإسلاميّ برُمَّتِه، وأخذ المسلمون يدفعون بسببها أثماناً باهظةً من أرواحهم وأمنِهم واستقرار بلدانهم ومجتمعاتهم.

للحقّ والإنصاف نقول: لقد انبرى، قبل نصف قرن أو أكثر، بعضُ علماء الأمّة للتّحذير من مخاطر ظاهرة التّكفير والإقصاء ورفْض الآخَر، إلّا أنّه لم تؤخَذ هذه التّحذيرات من قبل السّواد الأعظم من نُخَبِ الأمّة على محمل الجدّ، حتّى وقعنا اليوم في ما كان يحذِّر منه علماءُ الأمّة الأفذاذ حينها.

ومن أجل أن نكون أكثر صراحة في بيان الحقائق - وهي صراحة تجنَّبتها أغلبُ نُخَب الأمّة خلال العقود الماضية لأسباب معروفة، الأمر الّذي ساعد على تغوّل ظاهرة الإرهاب بهذا الشّكل المخيف - سنُشير بالاسم إلى الأمّ «الشّرعيّة» الّتي خرج من رَحِمها التّكفير، وتناسلَ بهذا الشّكل الرّهيب بفضل رعايتها وإغداقها عليه... ألا وهي «الوهّابيّة».

للأسف لم يجرؤ أحدٌ قبل هذا الوقت أن يذكر الوهّابيّة خوفاً من سطوة المال والإعلام السّعوديَّين، إلّا أنّه وبعد انتشار ظاهرة التّكفير بهذا الشّكل المرعب في المجتمعات الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، حيث أخذت تفتك بالمسلمين، وتزرعُ الحقد والضّغينة في نفوسهم وديارهم، وتسلّط الأعداء على مقدّراتهم، وتحوّل المسلمين، في نظر الآخرين، إلى وحوش متعطّشة للدّماء، لا تعرف سوى القتل، والذّبح، والتّفجير، والتّمثيل بالجثث، وأكْل اللّحم البشريّ، إلى أن تمادى السُّفهاء في الغرب على الإساءة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وإلى القرآن، وإلى الإسلام، عندها فقط تجرّأ الكثيرون على الإشارة بالاسم والرّسم إلى الوهّابيّة بأنّها أُسّ وأساسُ الفظائع الّتي تحصل في المجتمعات الإسلاميّة، وأنّ على علماء الأمّة أن يركنوا الخوفَ جانباً وأن يعملوا - بمُقتضى مسؤوليّاتهم الشّرعيّة والأخلاقيّة - على فضح هذا المذهب الّذي ظهر بالتّزامن مع ظهور الصّهيونيّة، كَحدَّي مقصّ، ليَقطعا أوصال المجتمعات الإسلاميّة، كما يفعلان اليوم، وهي مَهمّةٌ أُنيطَت بهذا الثّنائيّ، ولن تقوم للمسلمين قائمة، إلّا في محاصرتهما وتحذير المسلمين من الوقوع في فخّهما.

> **الصّهيونيّة والوهّابيّة حَدّا مِقَصٍّ لتقطيع أوصال العالَم الإسلاميّ، ولا وحدة إسلاميّة إلّا بمواجهة هذا التّوأم.**

علينا أن نجهر وبصوتٍ عالٍ أنّ الوهّابيّة الّتي ولّدَتْ ظاهرةَ التّكفير، هي العقبة الكَأْدَاء أمام المسلمين نحو الوحدة والتّقدّم والانطلاق، وهذه حقيقةٌ لم تَغِب حتّى عن أصدقاء الوهّابيّة في الغرب الذي تتّهم صحافتُه السّعوديّة بمحاولة السّيطرة على الرّبيع العربيّ مستغلّةً ثِقلها «الدّينيّ» ومواردها الماليّة، وذلك تفادياً لانتشار الدّيمقراطيّة في العالم العربيّ.

إذا كان الغرب، وهو حليف السّعوديّة، أخذ يدقّ ناقوس الخطر محذّراً من دور الوهّابيّة في وَأْدِ تطلّعات الشّعوب، فمن بابٍ أَوْلى أن ينبريَ علماءُ الأمّة لهذه المهمّة، وأن يُعلنوا، دون مواربة، أنّ الوهّابيّة هي الأمّ «الشّرعيّة» لظاهرة التّكفير، وهي سببُ تَشتُّت المسلمين، وسقوطِ مجتمعاتهم في الفوضى والاضطرابات، خدمةً للجهات الّتي زرعت الصّهيونيّة والوهّابيّة في قلب العالم الإسلاميّ، وتأكيد هذه الحقيقة عبر مختلف المنابر العلميّة والإعلاميّة، عسى أن نصل إلى اليوم الّذي نعبّدُ فيه طريق الوحدة بين المسلمين، بعد اقتلاع هذا الورم السّرطانيّ الّذي ضرب جسدنا في غفلةٍ من الزّمن.

* باحث من البحرين

من وصيّة العلّامة الحلّيّ لولده

شرح الشّيخ الأصفهانيّ المعروف بـ «الفاضل الهنديّ»

إعداد: هيئة التحرير

للعلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت ٧٢٦ هجريّة) كتاب فقهيّ عنوانه (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام)، وقد أورد في آخره وصيّة لولده محمّد المعروف بـ «فخر المحقّقين»، وفي ما يأتي مقطعٌ من هذه الوصيّة، شرحَها الشّيخ محمّد بن الحسن الأصفهانيّ (ت ١١٣٧ هجريّة) المعروف بـ«الفاضل الهنديّ» في موسوعته (كشف اللّثام عن قواعد الأحكام)، مع الإشارة إلى أنّ ما بين الهلالَين هو من متن الوصيّة، وما يأتي بعده تعليق المؤلّف.

فإنّي أُوصيك - كما افترضه الله تعالى عليّ من الوصيّة، وأمرني به حين إدراك المنيّة - بمُلازمة تقوى الله تعالى، فإنّها السُنّة القائمة، والفريضة اللّازمة، والجُنّة الواقية، والعُدّة الباقية، وأنفع ما أعدّه الإنسان ليومٍ تَشْخَص فيه الأبصار، وتُعدَم عنه الأنصار.

وعليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفعلِ ما يُرضيه، واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه، وقطع زمانك في تحصيل الكمالات النّفسانيّة، وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميّة، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجُهّال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المُسيء بالإحسان، والمُحسن بالامتنان. وإيّاك ومصاحبة الأرذال، ومعاشرة الجهّال، فإنّها تفيد خُلُقاً ذميماً، وملكةً رديئة. بل عليك بملازمة العلماء ومجالسة الفضلاء، فإنّها تفيد استعداداً تامّاً لتحصيل الكمالات، وتُثمر لك مَلَكةً راسخة لاستنباط المجهولات. وَلْيَكن يومُك خيراً من أمسك، وعليك بالصّبر والتوكّل والرّضا.

من شرح الوصية

- (فإنّي أُوصيك) ".." (بملازمة تقوى الله تعالى، فإنّها السّنّة القائمة) أي الطّريقة الثّابتة الّتي لا يتطرّق إليها نسخ، أو يجب المواظبة عليها في كلّ حال، ليست كسائر السُّنن تُفعل حيناً دون حين، ولمّا استشعر من لفظة «السُّنّة» توهُّمَ عدم افتراضها، دفعه بقوله: (والفريضة اللّازمة).

- (والجُنّة الواقية) من الخزي والعذاب في الدّنيا والآخرة، فقد قال تعالى: ﴿..وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ..﴾.

- (والعدّة الباقية) للفوز بالدّرجات ﴿..فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ..﴾، و﴿..إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ..﴾.

- (وأنفع ما أعدّه الإنسان ليوم تشخص فيه الأبصار) تبقى متفتّحة من غير طرف للأهوال.

- (وتعدم عنه الأنصار) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: كانَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقولُ: «لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوى، وَكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ؟!». وعنه عليه السلام: «أَيَكْتَفي مَنْ يَنْتَحِلُ التَّشَيُّعَ أَنْ يَقولَ بِحُبِّنا أَهْلَ البَيْتِ؟!، فَواللهِ ما شيعَتُنا إلّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَأَطاعَهُ». ".."

- (وعليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفِعل ما يرضيه) من الطّاعات والمبرّات.

- (واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه) وفي وصيّته صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ: «وَلا تَنْظُرْ إلى صِغَرِ الخَطيئَةِ، وَانْظُرْ إلى مَنْ عَصَيْتَ».

- (وقطّع زمانك في تحصيل الكمالات النّفسانيّة وصرّف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميّة، والارتقاء عن حضيض النّقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهّال) وفي الوصيّة لأبي ذرّ: «وَكُنْ عَلَى عُمُرِكَ أَشَحَّ مِنْكَ عَلَى دِرْهَمِكَ وَدينارِكَ». وفيها: «لا تَنْطُقْ في ما لا يَعْنيكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ في شَيْءٍ، فَاخْزُنْ لِسانَكَ كَما تَخْزُنُ رِزْقَكَ».

- (وبذل المعروف) فمن بذل معروفه استحقّ الرّئاسة، وصنائع المعروف تقي مصارع السّوء، وإنّ للجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلاّ أهل المعروف، وإنّ الله تعالى إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة أمر ريحاً عبقة طيّبة فلزقت بأهل المعروف، فلا يمرّ أحد منهم بملأ من أهل الجنّة إلاّ وجدوا ريحه، فقالوا: هذا من أهل المعروف.

- (ومساعدة الإخوان) فعن الصّادق عليه السلام: «قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الخَلْقُ عِيالي، فَأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ أَلْطَفُهُمْ بِهِمْ، وَأَسْعاهُمْ في حوائِجِهِمْ». وقال: «مَنْ طاف بِهَذا البَيْتِ طَوافاً واحِداً كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ

سِتَّةَ آلافِ حَسَنَةٍ، وَمَحا عَنْهُ سِتَّةَ آلافِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ سِتَّةَ آلافِ دَرَجَةٍ، حَتَّى إذا كانَ عِنْدَ المُلْتَزَمِ فَتَحَ لَهُ سَبْعَةَ أَبْوابٍ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، قيلَ: هَذا الفَضْلُ كُلُّهُ في الطَّوافِ؟ قالَ: نَعَمْ، وَأُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ: قَضاءُ حاجَةِ المُسْلِمِ أَفْضَلُ مِنْ طَوافٍ وَطَوافٍ حَتَّى بَلَغَ عَشْراً» "...".

- (ومُقابلة المُسيء بالإحسان) فعنه صلّى الله عليه وآله: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلائِقِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ: العَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَالإحْسانُ إلى مَنْ أَساءَ إلَيْكَ، وَإعْطاءُ مَنْ حَرَمَكَ». وعن عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ جَمَعَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، ثُمَّ يُنادي مُنادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الفَضْلِ؟ فَيَقومُ عُنُقٌ مِنَ النّاسِ [العنق: الجماعة الكثيرة من النّاس]، فَيَلْقاهُمُ المَلائِكَةُ فَيَقولونَ: وَما كانَ فَضْلُكُمْ؟ فَيَقولونَ: كُنّا نَصِلُ مَنْ قَطَعَنا، وَنُعْطي مَنْ حَرَمَنا، وَنَعْفو عَمَّنْ ظَلَمَنا، فَيُقالُ لَهُمْ: صَدَقْتُمْ، أُدْخُلوا الجَنَّةَ». "..."

- (والمُحسن بالامتنان) فعن الصّادق عليه السلام: «لَعَنَ اللهُ قاطِعي سُبُلِ المَعْروفِ، قيل: وما قاطعو سبل المعروف؟ قال: الرَّجُلُ يُصْنَعُ إلَيْهِ المَعْروفُ فَيَكْفُرُهُ، فَيَمْتَنِعُ صاحِبُهُ مِنْ أَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ إلى غَيْرِهِ».

- (وإيّاك ومُصاحبة الأرذال ومُعاشرة الجهّال، فإنّها تفيد خلقاً ذميماً، ومَلَكَة رديئة) فعنه صلّى الله عليه وآله: «ثَلاثَةٌ مُجالَسَتُهُمْ تُميتُ القُلوبَ: الجُلوسُ مَعَ الأَنْذالِ، وَالحَديثُ مَعَ النِّساءِ، وَالجُلوسُ مَعَ الأَغْنِياءِ». "..." وعن الصّادق عليه السّلام: «إنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَسْتَتِبَّ لَكَ النِّعْمَةُ، وَتَكْمُلَ لَكَ المُروءَةُ، وَتَصْلُحَ لَكَ المَعيشَةُ، فَلا تُشارِكِ العَبيدَ وَالسَّفِلَةَ في أَمْرِكَ، فَإِنَّكَ إنِ ائْتَمَنْتَهُمْ خانوكَ، وَإنْ حَدَّثوكَ كَذَّبوكَ، وَإنْ نُكِبْتَ خَذَلوكَ، وَإنْ وَعَدُوكَ أَخْلَفوكَ».

- (بل عليك بملازمة العُلماء ومُجالسة الفُضلاء، فإنّها تفيد استعداداً تامّاً لتحصيل الكمالات، وتثمر لك مَلَكَة راسخة لاستنباط المجهولات) فعنه صلّى الله عليه وآله: «مُجالَسَةُ أَهْلِ الدّينِ شَرَفُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ». وفي وصيّته لأبي ذرّ: «المُتَّقونَ سادَةٌ، وَالفُقَهاءُ قادَةٌ، وَمُجالَسَتُهُمْ زِيادَةٌ» "...".

- (وليكنْ يَوْمُكَ خيراً من أَمْسِكَ) فالمغبون من اعتدل يوماه.

- (وعليكَ بالصّبر) على الطّاعات، والنّوائب، وعن المعاصي، فعنه صلّى الله عليه وآله: «الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمانِ». وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: «الصَّبْرُ ثَلاثَةٌ: صَبْرٌ عَلَى المُصيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ المَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى المُصيبَةِ حَتّى يَرُدَّها بِحُسْنِ عَزائِهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلاثَمائَةِ دَرَجَةٍ ما بَيْنَ الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كَما بَيْنَ تُخومِ الأَرْضِ إلَى العَرْشِ، وَمَنْ صَبَرَ عَنِ المَعْصِيَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ سِتَّمائَةِ دَرَجَةٍ ما بَيْنَ الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كَما بَيْنَ تُخومِ الأَرَضينَ إلَى العَرْشِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطّاعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ تِسْعَمائَةِ دَرَجَةٍ ما بَيْنَ الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كَما بَيْنَ تُخومِ الأَرْضِ إلَى العَرْشِ».

- (والتّوكّل) ﴿..وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ..﴾. وعنه عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَقْوَى النّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَغْنَى النّاسِ فَلْيَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما في يَدَيْهِ».

- (والرّضا) بقضائه، فقد قيل [في الحديث القدسي]: «أَوَّلُ شَيْءٍ كَتَبَ اللهُ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ: إنّي أَنا اللهُ لا إلَهَ إلاّ أَنا، وَمُحَمَّدٌ رَسُولي، مَنِ اسْتَسْلَمَ لِقَضائي، وَصَبَرَ عَلَى بَلائي، وَشَكَرَ لِنَعْمائي، كَتَبْتُهُ صِدّيقاً وَبَعَثْتُهُ مَعَ الصِدّيقينَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِقَضائي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلائي، وَلَمْ يَشْكُرْ لِنَعْمائي فَلْيَتَّخِذْ إلَهاً سِوايَ» "...".

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تَنْطُقْ في ما لا يَعْنيكَ، فَإنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ في شَيْءٍ، فَاخْزُنْ لِسانَكَ كَما تَخْزُنُ رِزْقَكَ».

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَقْوَى النّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكونَ أَغْنَى النّاسِ فَلْيَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما في يَدَيْهِ».

غزّة تحت النّار
منهجيّة المجازر وعقائديّة الصّمود

د. مصطفى يوسف

لم يغيِّر العدوّ «الإسرائيليّ» من منهجيّته العدوانيّة منذ أن بدأت عصاباته الصّهيونيّة في ارتكاب المجازر الدّمويّة ضدّ الشّعب الفلسطينيّ، إنّها ذات السّياسة الّتي اتّبعها منذ سبعين عاماً، وما زال إلى اليوم يحاول تطبيقها، ويتعمّد القيام بها، دون خوفٍ من رادعٍ دوليّ، أو مساءلة قانونيّة، أو محاسبةٍ سياسيّة، وكأنّ مناحيم بيغن وإسحاق شامير ما زالا هنا، ينفذّان ما تعهّدا به واعتادا عليه، يوم أن كانت عصابات شتيرن والأرغون والهاغاناه ترتكب بالسّلاح البريطانيّ وغيره مذابح ومجازر بشعة في حقّ سكّان البلدات الفلسطينيّة، وقد تعمّدوا حينها قتل النّساء والأطفال، وجمع الرّجال في أماكن عامّة، وقتلهم بالجملة.

وهو يأمل أن يحقّق من وراء مجازره البشعة ذات النّتائج الّتي حقّقها في سنوات التّأسيس وما قبلها، إذ كان يرتكب المجازر المروّعة بحقّ السّكّان الأصليّين للبلاد، ليحملهم على الهجرة والنّزوح، ومغادرة البلدات والقرى، والتّخلّي عمّا لهم فيها من حقوقٍ وممتلكات، فراراً بحياتهم، وحرصاً على مستقبل أطفالهم، ليتسنّى لليهود بعدها أن يغتصبوا أرضهم، ويستحلّوا بلداتهم، ويستوطنوا في بيوتهم ومنازلهم، ويستولوا على أموالهم وممتلكاتهم، وكلّ ما كان لهم فيها من مدخّراتٍ ومقتنيات.

> كلّ سكّان قطاع غزّة، آلوا على أنفسهم أن يكونوا جزءاً من المقاومة، وسنداً لها، ودرعاً يحميها، وحصناً يقيها، فلا يضعفوا أمامها، ولا يصرخوا لإضعافها، ولا يدفعوها للتّنازل والتّسليم.

إخفاق العدوان

لكنّه اليوم يقف عاجزاً أمام الفلسطينيّين المتمسّكين بأرضهم، والمتشبّثين بترابهم، والثّابتين على مواقفهم، الّذين يرفضون كلّ دعوات المغادرة والرّحيل، وترك البيوت والتّخلّي عن القرى والبلدات والمخيّمات، رغم محاولاته المتكرّرة لإجبارهم على المغادرة، إذ تلقي عليهم الطّائرات آلاف المناشير، الّتي تدعوهم لترك بيوتهم والخروج منها، وإلّا فإنّهم يحذّرونهم من عاقبةٍ وخيمةٍ، ومصيرٍ أسود إن هم أصرُّوا على البقاء، وتمسّكوا بحقّهم في الإقامة في بيوتهم رغم القصف والتّدمير.

كما وجّه العدوّ «الإسرائيليّ» آلاف الرّسائل النّصيّة والصّوتيّة المسجّلة، لتحذير السّكّان من خطورة البقاء، ودعاهم فيها لضرورة الخروج حمايةً لأنفسهم وأموالهم، خاصّةً سكّان البلدات الحدوديّة على امتداد الحدود الشّرقيّة لقطاع غزّة، وفي شماله المتاخم لبلدات بيت حانون، وبيت لاهيا، ومخيم جباليا.

إلّا أنّ الفلسطينيّين قد وعوا الدّرس جيداً، واتّعظوا من التّجربة القديمة، فما عاد أحدٌ يصدّق

«الإسرائيليّين» أو يؤمّن لهم، فلا يسمع أحد نداءهم، ولا يستجيب إلى تعليماتهم، ولا يخاف من تهديداتهم، فقد أقسموا ألّا يهاجروا من جديد، مهما كان حجم المعاناة وعدد الجرحى والشّهداء، فتراهم يقولون بصدقٍ وإيمانٍ، إنّهم لن يتركوا بيوتهم ولو نُسِفت، وإنّهم سيبقون يعمّرون ما دمّره العدوّ منها، ولو دمّرها ألف مرّةٍ فإنّهم سيعيدون بناءها، فهو يدمّر ونحن نعمّر، بل إنّ بعضهم يهدّد «الإسرائيليّين» بالعودة إلى القرى والبلدات الفلسطينيّة الّتي هُجِّرُوا منها في العام ١٩٤٨، وسيبنون في أرضهم الأصليّة بيوتهم، وسيعمّرون منازلهم، وستعود إليهم قراهم وبلداتهم الّتي دمّرها وخرّبها «الإسرائيليّون».

لا وجه للمقارنة بين المجازر الّتي ارتكبها العدوّ الصّهيونيّ بحقّ أهلنا الفلسطينيّين في الأعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، لا لجهة حجم الخراب والدّمار، ولا لجهة عدد الشّهداء والجرحى، ولا من ناحية الأسلحة المستخدمة في القصف والعدوان، فقد أصاب منطقة الشّجاعيّة زلزالٌ مدمّرٌ، أتى على بنيانها من القواعد، ودمّر بيوتها ومدارسها ومساجدها والجوامع، وهاجم أسواقها وتجمّعات السّكّان فيها والمدارس، ولكنّ سكّانها عند أوّلِ هدنةٍ عادوا إليها، فتفقّدوا بيوتهم، وشاهدوا ما حلّ فيها وما نزل بها، فتعالت أصوات النّساء بالوعد، إنّا ها هنا باقون، سنبقى في بيوتنا ولو أنّها مدمّرة، وسنعيد بناءها وإعمارها من جديد.

إرادة الانتصار

هي الحال نفسها تتكرّر مع كلّ سكّان قطاع غزّة، الّذين آلوا على أنفسهم أن يكونوا جزءاً من المقاومة، وسنداً لها، ودرعاً يحميها، وحصناً يقيها، فلا يضعفوا أمامها، ولا يصرخوا لإضعافها، ولا يدفعوها للتّنازل والتّسليم، استجابةً لهم، وحرصاً عليهم، وخوفاً على حياتهم.

فما أصاب الغزّيّين في خزاعة لهو أكبر من التّصوّر، وأبلغ من الخيال، وأعظم ممّا كان يتوقّعه أحد، ولكنّ سكّان بلدات خان يونس قد عادوا إليها، بينما بقي سكّان خزاعة والمناطق الحدوديّة الشّرقيّة، يقفون أمام الدّبّابات «الإسرائيليّة»، وفي مواجهة آلة القتل الصّهيونيّة، يحاولون الدّخول إلى بلداتهم، والعودة إلى بيوتهم، ولا يردعهم عن العودة ما يتناقله العائدون من كثرة عدد الشّهداء، وأنّ الكثير منهم ما زال تحت الرّكام وبين الأنقاض، وأنّ العدوّ يقتل كلّ مَن يحاول العودة إلى بيته، وفعلاً قتل بعض العائدين، وقنَص مَن نجح في الوصول إلى بيوتهم، ولكنّ زُحوف العائدين، المتمسّكين بالبقاء في بيوتهم، والحالمين بالعودة إلى بلداتهم، تؤكّد للعدوّ «الإسرائيليّ» أنّ ما يقوم به لتهجير السّكّان، وتفريغ الأرض، ليست إلّا أضغاث أحلام، وأماني مهووس، وتطلّعات مجنون.

وكذا كان حال سكّان بيت حانون شمالاً، وإلى جوارها بيت لاهيا وجباليا، ورفح التي اجتاحها العدوّ جنوباً، فقد هال السّكّان ما رأوا وشاهدوا، إذ ضلّوا الطّريق وتاهوا عن بيوتهم، فقد تغيّرت المعالم وتبدّلت الملامح، واستوت البيوت بالأرض، واحترق الشّجر وغاب الزّرع، وقتلت البهائم والدّوابّ، فلم يعد أحدٌ يعرف بيته، وإن كان يعرف بعض حدوده، إلّا أنّهم وعلى الرّغم من هول ما لاقوا، وفظاعة ما خلّفه العدوّ وراءه، إلّا أنهم، نساؤهم قبل رجالهم، يعلنون بصوتٍ عالٍ صاعقٍ واضح، أنّنا سنبقى في أرضنا، ولن نكرّر مأساتنا، ولن نبرح مناطقنا، ولن نفرّح عدونا، ولن نحقّق له ما تصبو إليه نفسه، وما تتطلّع إليه قيادته.

الأرض في عُرفنا باتت عقيدة، لا نفرّط فيها ولا نتخلّى عنها، وسلاحنا بين أيدينا يحميها ويحفظها، ورجالنا يذودون عنها بالأرواح والمُهَج، ويضحُّون في سبيل البقاء فيها بما يملكون، فلا يحلم العدوّ أنّ مجازره ستُجبرنا على الرّحيل، أو أنّ مذابحَه ستدفعنا للبكاء والعويل، فما كان قديماً لن يتكرّر، وما سيرونه منّا سيكون جديداً وذا عجب، وليعلموا أنّنا هنا، ههنا باقون، وعلى أرضنا ثابتون، كبقاء الزّيت والزّيتون، والتّين والزّعتر واللّيمون.

«الإصابة في تمييز الصحابة»

مخطوطة نادرة تؤكّد نفي صعصعة بن صوحان إلى البحرين

عبدالخالق الجنبي*

يوماً بعد يوم تثبت الاكتشافات الجديدة لبعض مخطوطات كتب التراث العربي القديم أن الطبعات السابقة لا تخلو من ظلم وإساءة لهذه الكتب التراثية.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما حدث لكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر. فهذا الكتاب المهم جداً ورغم طبعاته الكثيرة إلا أن المحققين لم يراعوا تحصيل أكبر عدد من نسخه المخطوطة المتفرقة في مكتبات وخزانات العالم. ولو هم فعلوا ذلك لما وقعوا في هفوات كثيرة فيه، ومنها ما يتعلق بنفي صعصعة بن صوحان العبدي الزعيم الروحي والمرجع الديني الكبير لقبيلته عبد القيس.

ففي الطبعات المعروفة لهذا الكتاب يجد القارئ رواية نقلها ابن حجر عن العلائي أو الغلابي في كتابه (أخبار زياد) تنص على نفي صعصعة بن صوحان من الكوفة، ولكن في هذه الطبعات ذكرت الرواية حسب اجتهادات محققيه أن نفي صعصعة كان إلى الجزيرة أُوال أو إلى جزيرة ابن كافان، ومن يقرأ هذه العبارة لا بد أن يذهب به الظن إلى أن المعني بالجزيرة هي الجزيرة الفراتية، وبالتالي فقد صار نفي صعصعة مشتّتاً بين ثلاثة مواضع هي: الجزيرة الفراتية. جزيرة أُوال. جزيرة ابن كافان.

غير أن العثور على نسخة نادرة للكتاب في خزانة المكتبة الرضوية بمشهد تحت الرقم (١٨٦٤١) كان لها دور كبير في تصحيح خطأ كبير وقع في هذه الطبعات. فبالرجوع إلى ترجمة صعصعة في الباب الثالث من حرف الصاد في هذه المخطوطة الرضوية، فإننا سنجد مكتوباً فيها ما نصه:

"وذكر الغلابي في أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوالي [هكذا وردت في النصّ] من البحرين، وقيل إلى جزيرة بن كافان، فمات بها".

وأيّاً كان الأمر، فالواضح لنا الآن هو أن نفي صعصعة كان بين مكانين فقط لا ثالث لهما، وهما:

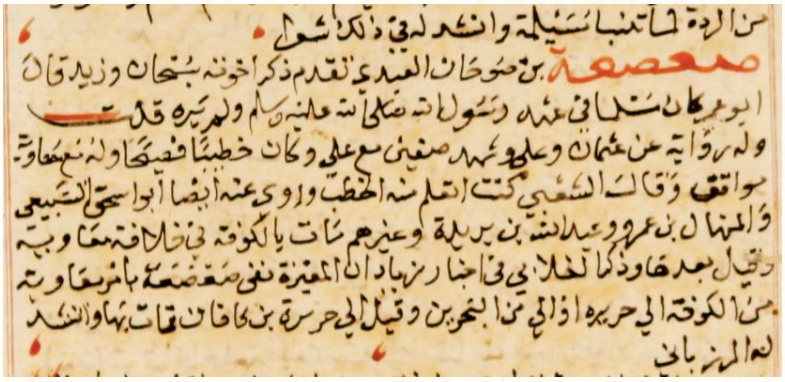

صورة عن المخطوطة

١. **جزيرة أُوال من البحرين.**

٢. **جزيرة ابن كافان.**

ولا ذكر لغيرهما، وأنّ لفظة «الجزيرة» التي ظنّ البعض أنها الجزيرة الفراتية إنما كانت بسبب خطأ اجتهادات محققي كتاب الإصابة في قراءة النصّ الأصلي، وعد إلمامهم ومعرفتهم بالمواضع الجغرافية البعيدة عن بلادهم، وهو أمرٌ عانت منه كتب التراث كثيراً.

ومما هو جدير بالذكر أن الجزء الشمالي من جزيرة أكل المعروفة الآن بجزيرة النبي صالح من جزر أُوال (البحرين) يُسمى (كافلان)، ومن يدري، فلربما كانت جزيرة (ابن كافان) الواردة في النصّ الأصلي هي تحريف لجزيرة (كافلان)، فإن صحّ ذلك، فإن نفي صعصعة ينحصر حينها في جزيرة البحرين فقط، وأما إذا كانت (كافان) تحريف لجزيرة (كاوان) أي جزيرة ابن كاوان الواقعة ضمن جزيرة القشم العمانية، فإن نفي صعصعة حينها يكون محصوراً بين البحرين وعُمان فقط، وأرى أن الأول – أي نفي صعصعة إلى أُوال البحرين – هو الأرجح لوجود رواية متواترة بين سكان البحرين القدماء تنص على أن قبر صعصعة يوجد فيها، ثم في قرية عسكر منها، وهي رواية وردت في كتب ووثائق بحرانية يعتد بها مثل كتاب الكشكول للشيخ يوسف البحراني، والتحفة النبهانية، وبعض وثائق الوقف القديمة، وهي كلها ترجح نفي صعصعة إلى جزيرة أُوال البحرين، وليس إلى موضع آخر.

* مؤرّخ من الحجاز

دوائر ثقافية

موقف	أحوالُ الإمام، اختبارٌ للخَلق	الشّيخ محمد حسين المُظفَر
فرائد	السهروردي الفيلسوف	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(عيون أخبار الرّضا) للشّيخ الصّدوق	قراءة: محمود إبراهيم
بصائر	من قصص التشرّف بلقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه	المحدّث النّوري قدس سره
مصطلحات	التّقيّة	ثامر العميدي
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	ياسر حمادة

الحُجّةُ البالغة
أحوالُ الإمام، اختبارٌ للخَلق

الشّيخ محمد حسين المظفّر

العلّامة الشّيخ محمّد حسين المظفّر (ت: ١٣٨١ للهجرة)، من أبرز الوجوه العلميّة المعاصرة في النّجف الأشرف، له عدّة مؤلّفات قيّمة أبرزها: (حياة الإمام الصّادق عليه السّلام)، و(فهارس رياض السّالكين، شرح الصّحيفة السّجّاديّة). هذا النّصّ مختصَر عن كتابه (عِلمُ الإمام من طريقَي العقل والنّقل).

إنّ البرهان العقليّ دلّ - نظراً لحاجة النّاس الماسّة إلى وجود الهادي المُصلِح العادل بين ظهرانيهم، وما يتطلّبه صالحُ أمورهم في الدّارين- على أنّ الله تعالى تلطّفَ بالعباد فجعلَ فيهم مَن يكونُ العالِمَ بالكائنات كافّة، والعلوم، والمُتَحلّي بأبراد الكمال كلّها، حتّى يكونَ الفردَ الأوحدَ في عصره، الصّالحَ للنّهضة بالإرشاد والهداية للعالَم، والمضطلعَ بهذا العبء الباهظ، حتّى لو كانت له الهيمنةُ على الأرض برُمّتها لاستطاعَ أن يدبّر شؤونها أحسنَ إدارة، ويدبّر أمورَها أجمل تدبير، كما يقوى على خَصْمِ كلّ مُحاجِجٍ بالقوّة البيانيّة والآيات الفعليّة، ويستطيعُ الجوابَ عن مسألة كلّ سائل، بالكشف عن الحقيقة، وإماطة السّتار عن الواقع، ليكون حقّاً هو الحجّةَ البالغةَ من الخالق على الخَلق، والهادي لهم بعد الرّسول المنذر صلّى الله عليه وآله.

وقعودُ النّاس عن معرفة تلك الحجّة البالغة، أو سلوكُهم في غير سبيلِه، بعد سطوع نَهجِه، ووضوح أمرِه، لا يُنقِصُ من شأنه، ولا يُبطلُ حجّتَه، ولا يُفسِد المصلحةَ التي من أجلها اختِير وجُعل إماماً، ومن جرّائها اصطُفي وانتُخب.

وعدمُ إظهاره أو تظاهرِه بذلك العلم المخزون والفيض الغَمر - حذراً من عدم قبوله أو عدم احتماله، أو خشيةً من العدوّ الحاسد وبَطشِه - لا يكون ذلك شاهداً على عدم الوجدان لذلك العِلم، أو عدم سعتِه، وما تحمِّلُ الإمام للمصائب والنّوائب، وهو القديرُ على دفْع ما مُنِيَ به، إلّا لتأكُّد الحجّة على الخلق، مع ما له من الحُجَج البالغة، وإلّا لِدفْع أوهام الغُلاة، ومزاعم المُفرطين في الحبّ، الذين يُلبِسونَ الإمامَ أبرادَ الألوهيّة.

وقد كشف عن هذه الغامضة السّفيرُ الجليل الحسين بن روح، وقد سأله سائلٌ: أخبرني عن الحسين بن عليّ، عليهما السّلام، أَهُوَ وليُّ الله؟ قال: نعم. قال الرّجل: أخبرني عن قاتلِه، لعنه الله، أَهُوَ عدوّ الله؟ قال نعم. قال الرّجل: فهل يجوزُ أن يسلّطَ اللهُ تعالى عدوَّه على وليّه؟

فقال له ابنُ روح: إفهم عنّي ما أقول لك: إنّ الله تعالى «..» يبعثُ إلى النّاسِ رُسُلاً من أجناسِهم وأصنافِهم بشَراً مثلهم، ولو بعثَ إليهم رُسلاً من غير صنفِهم وصُورِهم لنَفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسِهم يأكلون الطّعام، ويَمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم بشرٌ مثلنا لا نقبلُ منكم حتّى تأتونا بشيءٍ نعجز أن نأتيَ بمثله، فنعلمَ أنّكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه. فجعل اللهُ عزّ وجلّ لهم المعجزاتِ التي تعجزُ الخلقُ عنها «..» فلمّا أتَوا بمثل ذلك وعجز الخلقُ من أُممهم عن أن يأتوا بمثلِه، كان من تقدير الله تعالى ولُطفِه بعباده وحِكمتِه، أن جعلَ الأنبياء عليهم السّلام مع هذه المعجزات في حالٍ غالبين وفي حالٍ مَغلوبين، وفي حالٍ قاهرين وفي حالٍ مقهورين، ولو جعلَهم اللهُ تعالى في جميع أحوالِهم غالبين وقاهرين ولم يَبتَلِهم، ولم يَمتَحِنْهم، لاتّخذهم النّاسُ آلهةً من دون الله تعالى، ولَما عُرِفَ فضلُ صَبرِهم على البلاء والمِحَن والاختبار ".." وليَعلمَ العبادُ بأنّ لهم إلهاً هو خالقُهم ومدبّرُهم، فيَعبدوه ويُطيعوا رُسُلَه، وتكون حجّةُ الله ثابتةً على مَن تجاوز الحدَّ فيهم، وادّعى الرّبوبيّة لَهم ".." ﴿..لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ..﴾ الأنفال:٤٢.

فرائد

دواء الذّنوب

«عمّار بن ياسر: بينا أنا أمشي بأرض الكوفة، إذ رأيتُ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام جالساً وعنده جماعة من النّاس، وهو يصف لكلّ إنسانٍ ما يصلحُ له، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أيوجد عندك دواء الذّنوب؟! فقال: **نعم، اجلس**، فَجَثَوْتُ على ركبتيّ حتّى تفرّق عنه النّاس، ثمّ أقبل عليّ، فقال: **خُذ دواء أقول(ه) لك** . قلت: قُل يا أمير المؤمنين، قال: **عليكَ بِوَرَقِ الفقر، وعُروقِ الصَّبر، وإهليلج الكِتْمان، وبليلج الرِّضا، وغاريقون الفِكْر، وسقمونيا الأحزان، واشْرَبْهُ بماءِ الأجفان، واغْلِهِ في طنجير القلق، ودعْهُ تحت نيران الفَرق، ثمّ صفِّه بِمنخلِ الأَرَق، واشْرَبْهُ على الحرق، فذاك دَواك وشِفاك يا عَليل**».

(مستدرك الوسائل، الميرزا النّوريّ)

الإهليلج: ثمر منه أصفر ومنه أسود، يزيل الصّداع.

بليلج: دواء قابض، وهو ثمر في حجم الزّيتون وشكله، منابته الأقطار الهنديّة.

غاريقون: دواء يُستخدَم لرفع السُّموم.

سقمونيا: دواء مرّ ومسهّل للصّفراء والبلغم.

طنجير: إناء.

لماذا سُمِّيَت «الجمعة»؟

«سأل رجلٌ الإمام الباقر عليه السلام: كيف سُمِّيَت الجمعة؟ فقال عليه السّلام: **إنَّ الله عزَّ وجَلَّ جَمَعَ فِيهَا خَلْقَه لِوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ ووَصِيِّه فِي الْمِيثَاقِ، فَسَمَّاه يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِجَمْعِه فِيه خَلْقَه**».

(الكليني، الكافي)

السّهروردي الفيلسوف

قال ابن خلّكان في (وفيّات الأعيان): «يقال إنّ السّهروردي (يحيى بن حبش الفيلسوف) لمّا تحقّق القتل كان كثيراً ما ينشد:

أَرَى قدمي أَراقَ دَمي وَهانَ دَمي فَهَا نَدَمي

«..» وكان ذلك في دولة الملك الظّاهر ابن السّلطان صلاح الدّين ".." فحبسه ثمّ خنقه بإشارة والده السّلطان صلاح الدّين، وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وعمره ثمان وثلاثون سنة.

وقال الحمويّ في (معجم الأدباء) ج١٩/٣١٦: «ويُروى أنّ (الظّاهر) ندم على ما فعل بعد مدّةٍ، ونقم على مَن أفتوا بقتله، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم، وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة. من تصانيفه (التّلويحات في الحكمة والتنقيحات في أصول الفقه)، و(حكمة الإشراق)، و(الغربة الغربية في الحكمة)، و(هياكل النّور في الحكمة) أيضاً، و(الألواح العماديّة)، و(المعارج)، و(اللّمحة)، و(المطارحات)، و(المقامات)، وغير ذلك، وله شعر كثير أشهره وأجوده قصيدته الحائيّة، وهي:

أبداً تَحنُّ إليكُم الأرْواحُ وَوِصالُكُم رَيْحانُها والرَّاح...».

إلّا عالم يَدعوكُم من الخَمس إلى الخَمس

«قال صلّى الله عليه وآله: **لا تَجلسوا عندَ كُلِّ عالِمٍ، إلّا عالِم يَدعوكُم مِن الخَمس إلى الخَمس: مِنَ الشَّكِّ إلَى اليَقين، ومِنَ الكِبرِ إلَى التَّواضُع، ومِنَ الرِّياء إلَى الإخلاص، ومِنَ العَداوَةِ إلَى النَّصيحَة، ومِنَ الرَّغبَةِ إلَى الزُّهد**».

(الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، الحرّ العاملي)

(السّيّد بحر العلوم، الدّرّة النجفيّة)

تأمين فرص العمل

أصاب أنصاريّاً حاجةٌ فأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **إيتِني بِمَا فِي مَنْزِلِكَ ولا تُحَقِّر شيئاً**، فأتاهُ بحلسٍ وقدحٍ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: **مَن يَشْتَرِيهما؟** فقال رجل: هُما عليَّ بدرهمٍ، فقال: **مَنْ يَزيد؟** فقال رجل: هُما عليَّ بدرهَمين، فقال: **هُما لَكَ**، فقال: **ابْتَع بِأَحَدِهِما طَعاماً لِأَهْلِكَ وابْتَع بالآخَر فأساً**، فأتاه بفأسٍ، فقال عليه السّلام: **مَنْ عِنْدَهُ نصاب لهذه الفأس؟** فقال أحدهما: عندي، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأثبته بيده وقال: **اِذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا تُحقِّرَنَّ شَوكاً وَلا رطباً ولا يابساً**، ففعل ذلك خمس عشرة ليلة. فأتاه وقد حُسنَت حالُه، فقال عليه السّلام: **هذا خيرٌ مِن أنْ تَجِيء يومَ القِيامةِ وفِي وَجْهِكَ كدُوح** [جمع كدح، الخدش] **الصَّدَقة**.

(بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ)

كتاب (عيون أخبار الرّضا) للشّيخ الصدوق

٦٩ باباً في التّوحيد والنّبوّة والإمامة والولاية

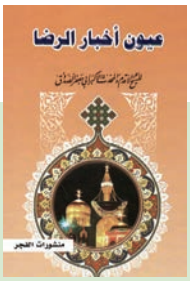

قراءة: محمود إبراهيم

الكتاب: (عيون أخبار الرّضا عليه السّلام)
المؤلّف: المحدّث الأكبر الشّيخ الصّدوق
النّاشر: «منشورات الفجر»، بيروت ٢٠١٤م

إذا كان لنا أن نستقرئ المنزلة التي يتبوّأها كتاب (عيون أخبار الرضا عليه السلام) للمحدّث الأكبر الشيخ أبي جعفر الصدوق، لجاز النظر إليها في المحل الأسمى ممّا نقله الأئمّة الأطهار من الحديث الشريف.

تمّ تصنيف الكتاب إلى قسمين: الأول هو التعريف بالمؤلّف، ولا سيّما ما يتعلّق بسيرته الذاتية ونسبه وأعماله ومكانته كواحد من أكابر الرجال من الذين دوّنوا للمدرسة الإمامية في العقيدة والرواية عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام إلى جانب الكليني والطوسي والمفيد.

أما القسم الثاني فيتناول بالتفصيل طائفة مختارة من أخبار إمام من أئمّة المسلمين وخلفاء الله في العالمين – الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام – .

أهميّة هذا الكتاب أنّ مؤلّفه أبا جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق ينتمي إلى أسرة جليلة من العلماء والفقهاء والمحدّثين أحصى المؤرّخون ما يقرب من عشرين عالماً من بينهم شيخ الإسلام وثقة الدين، كما فيهم من تسمّى باسم جدّه الأعلى «بابويه» إحياءً لذكره.

والواضح كما تدلّ تقريرات وأبحاث المتخصّصين بعلم الرجال أنّ الشيخ الصدوق صاحب الكتاب كان على صِلة مباشرة بزمن الغيبة الصغرى، ممّا يضفي على أعماله ورواياته دقّة النقل عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام. ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى أنّ والد المؤلف، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين، كان من أبرز الذين عاصروا الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ت: ٢٦٠ للهجرة) وقد ذكروا أنّ الإمام كتب إليه رسالةً تكشف عن مكانته وعلوّ قدره، وممّا يسترعي الانتباه أنّ هذه الرسالة لم يَروِها ولده الصدوق في تضاعيف كُتبه الّتي وصلت إلينا على كثرة الأبواب المناسبة لذكرها، كما لم يذكرها القدماء من علماء الإمامية.

ربما علينا أن نشير هنا إلى قصر المسافة الزمنية بين عصر الشيخ الصدوق وعصر الإمام الرضا عليه السلام، ذلك أنّ الشيخ الصدوق كان في الرّي من إيران، وكان يسافر إلى خراسان وما والاها، ما يعني أنه قد أُتيح له التواصل مع من عاشوا أحداث عصر الإمام عليه السّلام. ناهيك عن أنّ الصدوق انتخب أبرز ما وصله من أخبار الإمام، ولذلك سمّى كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام).

مرجعيّة (عيون الأخبار)

مهما يكن من أمر، فالكتاب الذي بين أيدينا ينطوي على خاصيّتين عظيمتي الشأن في الجانب العقائدي كما في الجانب المعرفي والأخلاقي.

الخاصية الأولى: وهي التي تتعلّق بهوية الكتاب نفسه أي لجهة موضوعه المتمثّل بعنوانه، حيث ذهب المؤلف إلى تسميته بـ (عيون الأخبار)، بما يعني أنه انتخب ما وجده مناسباً من أخبار وروايات عن الإمام الرضا عليه السلام، وذلك على الرغم من صلاحها وصدقها. والدليل على ذلك أنه سبق للشيخ الصدوق أن أنجز أربعة مؤلّفات حول الإمام عليه السلام تدور مدار حياته الشريفة ومواقفه وأقواله ومواعظه وهي: (زهد الرضا عليه السلام) – (جامع زيارة الرضا عليه السلام) – (مسائل الرضا عليه السلام) – (المصباح الحادي عشر في ذكر من روى عن الإمام الرضا عليه السلام). فلَئِن كانت هذه الكتب الأربعة المشار اليها هي من التأليفات التي سبقت كتابه (عيون الأخبار) فسيظهر جليّاً السبب الذي حمل المؤلّف على وضع منتخبات هذا الكتاب.

أما الخاصيّة الثانية: فهي تلك التي تضيء على واحدة من أبرز وأخطر المسائل، وهي المتعلّقة بالظروف التي أحاطت موقف الإمام الرضا عليه السلام من ولاية العهد.

وربما تكون هذه المسألة من الإشكاليات الكبرى التي سعى الشيخ الصدوق للإضاءة عليها وتفصيلها لتكون أساساً لمنهج معرفي في فهم قواعد الفقه السياسي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أما الداعي إلى تأليف الكتاب فهو كما بيّن الشيخ الصدوق في المقدمة، بأنه أهداه لخزانة الوزير الصاحب أبي القاسم استشعاراً منه إلى وجوب نشر معارف الأئمّة الأطهار عليهم السلام، واستثمار أية فرصة تنفسح إلى مثل هذا الأمر الجليل. ولسوف يزداد الأمر إلحاحاً في ظل الحصار المديد الذي مارسته السلطتان الأموية والعباسية بحق آل البيت النبوي الأطهار وتابعيهم.

فلا عجب لو كتب شيخنا المؤلّف رحمه الله كتابه هذا وأهداه لخزانة الصاحب، وقد أبان في مقدمته عن الداعي إلى تأليفه، وكان سببه وقوع قصيدتي الصاحب في مدح الإمام الرضا عليه السلام إليه فآثر أن يفتتح بهما مؤلَّفه، ويجعل كتابه هديّة لخزانة ناظمهما، إذ لم يجد شيئاً آثر عنده وأحسن موقعاً لديه من علوم أهل البيت عليهم السلام، وكتابه هذا جامع لعيون أخبار إمام من أئمّتهم، وسيّد من ساداتهم، فيه من تواريخه ونوادر أخباره، وآثار علومه ما يجعله في الرفوف العالية من خزانة الصاحب على نفاستها وسعتها.

منهجيّة الكتاب

المنهج الّذي سار عليه المؤلّف أبانه وأوضحه في عرضه الشامل للمواضيع الّتي سوف يتطرّق إليها في كتابه، وذلك في فهرست عام للأبواب مع إيضاح ما يشتمل عليه كلّ باب، وبهذا فقد أبان عن الخطوط العامة الّتي رسمها لعمله قبل الشروع به، وهذه ظاهرة لم نجدها في سائر كتبه الأخرى الّتي وصلت إلينا.

وقد تدرج المؤلّف في عرضه العام وفهرسته الشاملة لتاريخ الإمام الرضا عليه السلام - بعد بيانه العلّة الّتي من أجلها سمّي الإمام بالرضا - منذ ولادته ونشأته، وأخبار إمامته، جملة وتفصيلاً، وحتّى وفاته ومدفنه ومراثيه، وثواب زيارة قبره، وبعض كراماته، مضافاً إلى ما يتخلّل ذلك من حديث الإمامة والنصوص الدالّة على إمامته، وتفنيد مزاعم الواقفة بالبحث عن أسباب الوقف، وعلّة بقاء جماعة من الواقفة على مقالتهم.

أمّا الأمر الّذي أشرنا إليه آنفاً، وهو أمر ولاية العهد الّتي ذكرها المؤلّف رحمه الله في كتابه هذا، فقد وددت التنبيه على أنّ هذا الحدث السياسي الخطير لم يكن طبيعياً بالنسبة إلى المأمون العباسي كما يتصوّره البعض من أنّه نتيجة حتميّة لشعوره الديني حيث كان يتشيّع في ما يقولون. كما لم يكن قبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد أمراً طبيعياً أيضاً.

فإنّ هذا الحدث السياسي يعتبر في بدايته نقطة تحوّل خطير في تاريخ الدولة العباسية الّتي بذل رجالها في سبيلها جهداً كبيراً حتّى حصلوا عليها، ولم يكن المأمون بعيداً في نفسه عن سيرة آبائه، وما كانوا عليه من القسوة والاضطهاد لأبناء عمّهم العلويين، الّذين كانوا أصحاب الدعوة والحقّ أوّلاً وأخيراً.

ربما علينا أن نشير هنا إلى قصر المسافة الزمنية بين عصر الشيخ الصدوق وعصر الإمام الرضا عليه السلام، فقد كان الصدوق يسافر إلى خراسان، حيث أُتيح له التواصل مع من عاشوا أحداث عصر الإمام.

لم يكن المأمون بعيداً في نفسه عن سيرة آبائه، وما كانوا عليه من القسوة والاضطهاد لأبناء عمّهم العلويين، الّذين كانوا أصحاب الدعوة والحقّ أوّلاً وأخيراً.

على أعتاب الصّالحين

من قصص التّشرّف بلقاء الإمام الحجّة عليه السلام

المحدّث النّوريّ قدس سره

أورد المحدّث النّوريّ قدس سره، في الجزء الثّاني من كتابه (النّجم الثّاقب في أحوال الإمام الحجّة الغائب) مائة حكاية، تتناول قصص التّشرّف باللّقاء، ومَن وصلوا إلى خدمة إمام الزّمان عليه السلام في الغَيبة الكبرى. هنا نصّ القصّة السّابعة والعشرين، الّتي اقتبسناها من الكتاب المشار إليه نظراً لدلالتها وأهمّيّتها في المجالَين العباديّ والأخلاقيّ لا سيّما لجهة الدّعوة إلى وجوب التّأدّب في أماكن الزّيارة والدّعاء، وفي زيادتهما يكون الخير والإجابة أوفر.

قال العالم الفاضل المتبحّر النّقّاد ميرزا عبد الله الإصفهانيّ، الشّهير بالأفندي، في المجلّد الخامس من كتاب (رياض العلماء وحياض الفضلاء) في ترجمة الشّيخ ابن أبي الجواد النّعمانيّ إنّه ممّن رأى القائم عليه السّلام في زمن الغَيبة الكبرى، ، وروى عنه عليه السّلام: ورأيت في بعض المواضع نقلاً عن خطّ الشّيخ زين الدّين عليّ بن الحسن بن محمّد الخازن الحائريّ، تلميذ الشّهيد، أنّه قد رأى ابن أبي الجواد النّعمانيّ مولانا المهديّ عليه السّلام، فقال له: يا مولاي لك مقام بالنّعمانيّة، ومقام بالحلّة، فأين تكون فيهما؟ فقال له: **أَكونُ بِالنُّعْمانِيَّةِ لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ وَيَوْمَ الثُّلاثاءِ، وَيَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَكونُ بِالحِلَّةِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الحِلَّةِ ما يَتَأَدَّبونَ في مَقامي؛ وَما مِنْ رَجُلٍ دَخَلَ مَقامي بِالأَدَبِ يَتَأَدَّبُ وَيُسَلِّمُ عَلَيَّ وَعَلَى الأَئِمَّةِ، وَصَلّى عَلَيَّ وَعَلَيْهِمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ صَلّى رَكْعَتَيْنِ بِسُورَتَيْنِ، وَناجى اللهَ بِهِما المُناجاةَ، إِلّا أَعْطاهُ اللهُ تَعالى ما يَسْأَلُهُ، أَحَدُها المَغْفِرَةُ.**

فقلت: يا مولاي علّمني ذلك، فقال: قل: **اللّهُمَّ قَدْ أَخَذَ التَّأديبُ مِنّي حَتّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ، وَإِنْ كانَ ما اقْتَرَفْتُهُ مِنَ الذُّنُوبِ أَسْتَحِقُّ بِهِ أَضْعافَ أَضعافِ ما أَدَّبْتَنِي بِهِ، وَأَنْتَ حَليمٌ ذُو أَناةٍ تَعْفُو عَنْ كَثيرٍ، حَتّى يَسْبِقَ عَفْوُكَ وَرَحْمَتُكَ عَذابَكَ،** وكرّرها عليّ ثلاثاً حتّى فهمتُها.

أماكن الأُنس، وهبوط الملائكة

يقول المؤلّف: النّعمانيّة بلدةٌ عراقيّة ما بين واسط وبغداد، والظّاهر أنّ منها الشّيخ الجليل أبا عبد الله محمّد بن محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب الشّهير بالنّعمانيّ، والمعروف بابن أبي زينب، تلميذ الشّيخ الكلينيّ وصاحب (التّفسير) المختصر في مختلف الآيات، وكتاب (الغَيبة) الّذي هو من الكُتُب المفصّلة المعتَبَرة، كما أشار إلى ذلك الشّيخ المفيد في (الإرشاد).

وليس خفيّاً أنّ من جملة الأماكن المختصّة المعروفة بمقامه عليه السّلام مثل (وادي السّلام)، ومسجد السّهلة، والحلّة، وخارج قمّ، وغيرها.

والظّاهر أنّه تَشرّف في تلك المواضع بعضُ مَن رآه عليه السّلام أو ظهرت هناك معجزة، ولهذا دَخلت في الأماكن الشّريفة المباركة، وأنّ هناك محلّ أُنسٍ وهبوط الملائكة، وقلّة الشّياطين، وهي أحد الأسباب المقرّبة لإجابة الدّعاء وقبول العبادة.

وجاء في بعض الأخبار أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أنْ يُعبَد في الأماكن الّتي هي أمثال هذه الأماكن، مثل المساجد، ومشاهد الأئمّة عليهم السلام، ومقابر أولاد الأئمّة والصّالحين والأبرار في أطراف البلاد، وهي من الألطاف العينيّة (الغيبيّة) الإلهيّة للعباد الضالّين، والمضطرّين، والمرضى، والمستدينين، والمظلومين، والخائفين، والمحتاجين، ونظائرهم من أصحاب الهموم، وموزّعي القلوب، ومشتّتي الظّاهر، ومختلّي الحواسّ: فإنّهم يلجأون إلى هناك ويتضرّعون ويتوسّلون إلى الله عزّ وجلّ بصاحب ذلك المقام، ويطلبون علاجَ أوجاعهم وشفاءَهم، ودفع شرّ الأشرار. ويُحتمل أنّ جميع تلك المواضع داخلة في جملة بيوت الله تعالى الّتي أَمَرَ أنْ تُرفع ويُذكَر فيها اسم الله عزّ وجلّ، ومدح مَن سبّح الحقّ تعالى بكرةً وأصيلاً، ولا يسع المقام تفصيلاً أكثر من هذا.

مصطلحات

التّقيّة عند علماء المسلمين

إجماعٌ على الأصل وموارد المشروعيّة

الأستاذ ثامر العميدي

التّقيّة من المفاهيم الإسلامية الأصيلة التي شرعها الله عزّ وجلّ لتكون ترساً للمؤمن، ووقاء لعرضه وكرامته حيثما وجد نفسه لا يقوى على مقاومة الظّالمين. ولقد أكّدتها السّنّة المطهّرة قولاً وفعلاً، واستعملها الصّحابة والتّابعون وتابعوهم بإحسان، وأقرّها جميع الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين من سائر المذاهب والفرق الإسلاميّة.

هنا تعريف إجماليّ للتّقيّة كما وردت في كتاب الباحث والمحقّق الإسلاميّ ثامر العميدي تحت عنوان: «التّقيّة عند المذاهب والفرق الإسلاميّة من غير الشّيعة».

«شعائر»

عرّفوا التّقيّة لغة بأنّها، الحذر والحيطة من الضّرر، والاسم: التّقوى، وأصلُها: إوتقى، يوتقي، فقُلبت الواو إلى ياء للكسرة قبلها، ثمّ أبدلت تاءً وأدغمت، فقيل: اتّقى، يتّقي. وعن ابن الأعرابي: التّقاة، والتّقيّة، والتّقوى، والاتّقاء كلّه واحد، ولهذا جاء في بعض القراءات القرآنية: ﴿..إلّا أنْ تتّقوا منهم تَقيّة..﴾ آل عمران:٢٨، في موضع ﴿..تُقَىٰةً ..﴾ آل عمران:٢٨.

وفي الاصطلاح، لا يختلف تعريف التّقيّة عند أهل السّنّة عن تعريفها عند الشّيعة الإماميّة لا في قليل ولا في كثير إلّا من حيث فنّيّة التّعبير وصياغة الألفاظ في تصوير المعنى الاصطلاحي للتّقيّة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على اتّفاقهم من حيث المبدأ على أنّ التّقيّة ليست كذباً، ولا نفاقاً، ولا خداعاً للآخرين.

فقد عرّفها السّرخسي الحنفي (ت ٤٩٠ هـ) بقوله: «والتّقيّة، أن يقيَ نفسه من العقوبة بما يُظهره، وإن كان يُضمر خلافه».

وعرّفها ابن حجر العسقلاني الشّافعي (ت ٨٥٢ هـ) بقوله: «التّقيّة، الحذر من إظهار ما في النّفس - من معتقد وغيره - للغير». وقال الآلوسي الحنبلي الوهّابي (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿..إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ..﴾: «وعرّفوها [أي التّقيّة] بمحافظة النّفس أو العرض، أو المال من شرّ الأعداء».

وعرّفها السّيد محمّد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) بأنّها: «ما يقال أو يُفعل مخالفاً للحقّ لأجل توقّي الضّرر». وهذا التّعريف من أجود تعاريف التّقيّة اصطلاحاً، وهو جامع مانع، ومنطبقٌ تماماً مع تعريف الشّيعة الإماميّة للتّقيّة.

أما في موارد التقية، فلمّا كانت لا تحصل بغير إكراه عليها واضطرار إليها، فقد فصّل المسلمون في حالات الإكراه المتعدّدة، وميّزوا تلك التي لا تصحّ فيها التّقيّة عن غيرها.

فأمّا حالات الإكراه التي لا تصحّ فيها التّقيّة، فهي المتعلّقة بأفعال القلوب، والتي لا سبيل للمُكرِه إلى علمها في قلب المكرَه، كما لو أُكره المسلمُ على بغض المؤمنين، أو حبّ الكافرين حقيقة، أو على الاعتقاد بعقيدة فاسدة، أو على إنكار ما ثبت أنّه من الدّين إنكاراً قلبيّاً، ونحو ذلك.

وأمّا حالات الإكراه التي تصحّ فيها التّقيّة، فهي الخارجة عن أفعال القلوب غالباً، بحيث يستطيع المُكرِه علمها عند المكرَه، وأمثلتها كثيرة لا حصر لها. منها: الإكراه على شتم المؤمن، أو موالاة الكافر ظاهراً. ومنها: الإكراه على ترك الواجب، كالإفطار في شهر رمضان، ونحوه.

على أنّ هناك بعض الحالات وإن لم تتعلّق بأفعال القلوب إلّا أنّ التّقيّة فيها لا تصحّ مهما بلغت درجة الإكراه، ومثّلوا له بالإكراه على قتل المسلم بغير حقّ، فعلى المكرَه أن يمتنعَ ولو أدّى إلى قتله، فليس له أن يقتُل، ولو قتل بذريعة التّقيّة، فلوليّ الدّم القصاص.

ومن الجدير بالإشارة هو أنّ التقيّة ليست واجبة في جميع الحالات وبلا قيد أو شرط عند فقهاء المسلمين، فهي قد تكون واجبة، وقد تكون محرّمة، كما قد تكون مباحة أو مندوبة أو مكروهة بحسب الأحكام التّكليفيّة الخمسة.

حكم

الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِه

من حِكم أمير المؤمنين عليه السّلام

* «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَه النَّارُ، ومَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَه الْجَنَّةُ، وكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ، وكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ».

* «الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ والْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ».

* «الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِه، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِه صِرْتَ فِي وَثَاقِه، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ ووَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وجَلَبَتْ نِقْمَةً».

* «قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِه، وصِدْقُه عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِه، وشَجَاعَتُه عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِه، وعِفَّتُه عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِه».

* «لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِه الْأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿..فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، ولَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِه الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿..إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾».

لغة

شجر

«الشّينُ والجيمُ والرّاء ، يَقْرُبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلا يَخْلُو مَعْناهُمْ مِنْ تَداخُلِ الشَّيْءِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ، وَمِنْ عُلُوٍّ فِي شَيْءٍ وَارْتِفاعٍ... فَكُلُّ شَيْءٍ يأْلَفُ بَعْضُهُ بَعْضاً: فَقَدِ اشْتَبَكَ وَاشْتَجَرَ، وَسُمِّيَ الشَّجَرُ شَجَراً لِدُخولِ بَعْضِ أَغْصانِهِ فِي بَعْضٍ، وَمِنْ هَذا قيلَ لِمَراكِبِ النِّساءِ مَشاجِرُ لِتشابُكِ عِيدانِ الهَوْدَجِ بَعْضِها فِي بَعْضٍ.

* فَالشَّجَرُ مَعْرُوفٌ، الْوَاحِدَةُ شَجَرَةٌ، وَهِيَ لَا تَخْلُو مِنِ ارْتِفَاعٍ وَتَدَاخُلِ أَغْصَانٍ. فالشَّجَرُ: كُلُّ نَبْتٍ لَهُ سَاقٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن:٦. وَوَادٍ شَجِرٌ: كَثِيرُ الشَّجَرِ. وَالْأَرْضُ الشَّجْرَاءُ وَالشَّجِرَةُ: الْكَثِيرَةُ الشَّجَرِ.

* وَشَجَرَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْأَمْرُ، إِذَا اخْتَلَفَ أَوِ اخْتَلَفُوا، وَتَشَاجَرُوا فِيهِ، وَسُمِّيَتْ مُشَاجَرَةً لِتَدَاخُلِ كَلَامِهِمْ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ. وَاشْتَجَرُوا: تَنَازَعُوا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ..﴾ النّساء:٦٥.

* وَأَمَّا شَجْرُ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ مَفْرَجُ الْفَمِ [تجويف الفم]. وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: الشَّجْرُ الذَّقَنُ بِعَيْنِهِ. وَالْقَوْلَانِ مُتَقَارِبَانِ; لِأَنَّ اللَّحْيَيْنِ إِذَا اجْتَمَعَا فَقَدِ اشْتَجَرَا... وَيُقَالُ: اشْتَجَرَ الرَّجُلُ، إِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى شَجْرِهِ.

* وَيُقَالُ: شَجَرْتُ الشَّيْءَ، إِذَا تَلَلَّ فَرَفَعْتَهُ.

* وَالشَّجَارُ: خَشَبُ الْهَوْدَجِ. وَالْمَعْنَيَانِ جَمِيعًا فِيهِ مَوْجُودَانِ; لِأَنَّ ثَمَّ ارْتِفَاعًا وَتَدَاخُلًا. وَالْمِشْجَرُ [من مراكب النّساء] سُمِّيَ مِشْجَرًا لِتَدَاخُلِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ.

* وَتَشَاجَرَ الْقَوْمُ بِالرِّمَاحِ: تَطَاعَنُوا بِهَا».

(مقاييس اللّغة، ولسان العرب)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ

لجَابر في الكيمياء، ما لأرسطو في المنطق

قال ابن خلِّكان في (وفيات الأعيان): «أبو عبد الله، جعفر الصّادق، بن محمّد الباقر، بن عليّ زين العابدين، بن الحسين، بن عليّ بن أبي طالب، رضي اللهُ عنهم أجمعين، أحدُ الأئمّة الاثنَي عشر على مذهب الإماميّة، وكان من سادات أهل البيت، ولُقِّبَ بالصّادق لصِدقِه في مقالتِه، وفضلُه أشهرُ من أن يُذكَر، وله كلامٌ في صَنعة الكيمياء، وكان تلميذُه أبو موسى، جابرُ بن حيّان قد ألّفَ كتاباً يشتملُ على ألفِ ورقةٍ تتضمّنُ رسائلَ جعفر الصّادق، وهي خمسمائة رسالة».

وقال خير الدّين الزّركليّ في الجزء الثّاني من (الأعلام): «جابر بنُ حيّان الكوفيّ، أبو موسى: فيلسوفٌ كيميائيّ، له تصانيفُ كثيرة، قِيلَ: بلغَتْ خمسمائة. ضاع أكثرُها، وتُرجِمَ بعضُ ما بَقِيَ منها إلى اللّاتينية. وممّا بين أيدينا من كُتبه: (أسرار الكيمياء)، و(أصول الكيمياء)، وكتابٌ في (السموم)، ولجابر شهرةٌ كبيرةٌ عند الإفرَنج بما نَقلوه من كُتبه، في بدء يَقظتهم العلميّة».

قال العالم الكيميائي الفرنسي مارسيلان برتيلو في كتابه (كيمياء القرون الوسطى): «لجابر في الكيمياء، ما لأَرسطوطاليس قبلَه في المنطق، وهو أوّل مَن استخرجَ حامض الكبريتيك، وسمّاه زيتَ الزّاج، وأوّل من اكتشف الصّودا الكاوية، وأوّل من استحضر ماءَ الذّهب، ويُنسَب إليه استحضارُ مركّبات أخرى: مثل كَربونات البوتاسيوم، وكَربونات الصّوديوم. وقد درسَ خصائصَ مركّبات الزّئبق واستحضَرها».

وقال الطبيب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): «تتألّفُ من كُتب جابر موسوعة علميّة تحتوي على خلاصة ما وصلَ إليه علمُ الكيمياء عند العرب في عصره. وقد اشتملت كتبُه على بيان مركّبات كيماوية كانت مجهولةً قبله. وهو أوّل مَن وصفَ أعمال التّقطير والتّبلوُر والتّذويب والتّحويل».

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

هرات (هراة)

تقع مدينة هرات Herat في شمال غربيّ أفغانستان، وتقترب من حدود إيران، وهي عاصمة المحافظة التي تحمل الاسم نفسه، يعتقد بأنّها تأسّست في القرن الرّابع قبل الميلاد على يد الإسكندر الأكبر. فتحها المسلمون في القرن السّابع الميلاديّ. خرّبها التتّار عند اجتياحهم الشّرق، ثمّ جعلها تيمورلنك عاصمةً لدولته عام ١٣٨١م.

استولى الأفغان عليها عام ١٧٤٩م، وتعدّ، إلى جانب العاصمة كابل، من أهمّ المراكز البشريّة والاقتصاديّة والتّجاريّة والعلميّة المُهمّة، وتُعَد مركزاً ثقافيّاً إسلاميّاً مُهماً.

ما تزال المدينة القديمة تحافظ على كثير من معالمها الإسلاميّة بالرّغم من أنّ العمران الحديث بدأ يبرز بجوار القديم، ويعيش أكثر من ٥٠٪ من سكّانها، دون خطّ الفقر، لكنّ موقعها على الطّرق التّجاريّة البريّة بين بلاد فارس والهند والصّين وأوروبّا جعلها مدينة تجاريّة، فهي عقدة مواصلات مُهمّة، ولا تزال الطّرق بينها وبين تركمانستان وإيران مُهمّة ونشيطة.

كانت هراة تتبع قديماً لخراسان بفارس، وعنها قال الحمويّ في معجم البلدان: «هَرَاةُ: بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أُمّهات مدن خراسان؛ لم أَرَ بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة؛ محشوّة بالعلماء ومملوّة بأهل الفضل والثّراء، وقد أصابها عين الزّمان ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفّار من التّتر فخربوها حتّى أدخلوها في خبر كان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وذلك في سنة ٦١٨».

العَيْنيَّة

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

* السّيّد إسماعيل الحِمْيَرِيّ رحمه الله

لِأُمِّ عَمْرٍو بِاللِّوى مَرْبَعُ ... طامِسَةٌ أَعْلامُهُ بَلْقَعُ
تَروعُ عَنْهُ الطَّيْرُ وَحْشِيَّةً ... وَالأُسْدُ مِنْ خيفَةٍ تَفْزَعُ
بِرَسْمِ دارٍ ما بِها مُؤْنِسٌ ... إِلّا ظِلالٌ في الثَّرى وُقَّعُ
رُقّشٌ يَخافُ المَوْتُ مِنْ نَفْثِها ... وَالسُّمُّ في أَنْيابِها مُنْقَعُ
لَمّا وَقَفْنَ العيسُ من رَسْمِها ... وَالعَيْنُ مِنْ عِرْفانِهِ تَدْمَعُ
ذَكَرْتُ مَن قَدْ كُنْتُ أَلْهو بِهِ ... فَبِتُّ وَالقَلْبُ شَجٍ مُوجَعُ
كَأَنَّ بِالنّارِ لِمَا شَفَّني ... مِنْ حُبِّ أَرْوى كَبِدٌ تُلْذَعُ
عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ أَتَوْا أَحْمَداً ... بِخُطْبَةٍ لَيْسَ لَها مَوْضِعُ
قالوا لَهُ لَوْ شِئْتَ أَعْلَمْتَنا ... إِلى مَنِ الغايَةُ وَالمَفْزَعُ
إِذا توفّيتَ وَفارَقْتَنا ... وَفيهِمْ في المُلْكِ مَنْ يَطْمَعُ
فَقالَ: لَوْ أَعْلَمْتُكُمْ مَفْزَعاً ... كُنتم عَسيتُمْ فيهِ أَنْ تَصْنَعُوا
صَنيعَ أَهْلِ العِجْلِ إِذْ فارَقوا ... هارونَ فَالتَّرْكُ لَهُ أَوْدَعُ
وَفي الّذي قالَ بَيانٌ لِمَنْ ... كانَ إِذاً يَعقِلُ أو يَسْمَعُ
ثُمَّ أَتَتْهُ بَعْدَ ذا عَزْمَةٌ ... مِنْ رَبِّهِ لَيْسَ لَها مَدْفَعُ
أَبلِغْ وَإِلّا لَمْ تَكُنْ مُبْلِغاً ... وَاللهُ مِنْهُمْ عاصِمٌ يَمْنَعُ
فَعِنْدَها قامَ النَّبِيُّ الّذي ... كانَ بِما يَأْمُرُهُ يَصْدَعُ
يَخْطُبُ مَأْموراً وَفي كَفِّهِ ... كَفُّ عَلِيٍّ ظاهِراً يَلْمَعُ
رافِعُها أَكْرِمْ بِكَفِّ الّذي ... يَرْفَعُ وَالكَفِّ الّتي تَرْفَعُ
يَقولُ وَالأَمْلاكُ مِنْ حَوْلِهِ ... وَاللهُ فيهِمْ شاهِدٌ يَسْمَعُ
مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا لَهُ ... مَوْلًى فَلَمْ يَرْضَوْا وَلَمْ يَقْنَعُوا
فَاتَّهَموهُ وحَنَت مِنْهُمْ ... عَلى خِلافِ الصّادِقِ الأَضْلُعُ
وَظَلَّ قَوْمٌ غاظَهُمْ فِعْلُهُ ... كَأَنَّما آنافُهُمْ تُجْدَعُ
حَتّى إِذا وارَوْهُ في قَبْرِهِ ... وَانْصَرَفُوا عَنْ دَفْنِهِ ضَيَّعُوا
ما قالَ بِالأَمْسِ وَأَوْصى بِهِ ... وَاشْتَروا الضُّرَّ بِما يَنْفَعُ
وَقَطَّعوا أَرْحامَهُ بَعْدَهُ ... فَسَوْفَ يُجْزَوْنَ بِما قَطَّعُوا
وَأَزْمَعُوا غَدْراً بِمَوْلاهُمُ ... تَبّاً لِما كانوا بِهِ أَزْمَعُوا
لا هُمْ عَلَيْهِ يَرِدُوا حَوْضَهُ ... غَداً وَلا هُوَ فيهِمْ يَشْفَعُ
حَوْضٌ لَهُ ما بَيْنَ صَنْعا إِلى ... أيلة والعرضُ به أَوْسَعُ
يُنْصَبُ فيهِ عَلِيٌّ لِلْهُدى ... وَالحَوْضُ مِنْ ماءٍ لَهُ مَتْرَعُ
يَفيضُ مِنْ رَحْمَتِهِ كَوْثَرٌ ... أَبْيَضُ كَالفِضَّةِ أَوْ أَنْصَعُ

حَصــاهُ ياقــوتٌ وَمَرْجانَــةٌ وَلُؤْلُــؤٌ لَــمْ تَجْنِــهِ إِصْبَــعُ
بَطْحــاؤُهُ مِسْــكٌ وَحافَاتُــهُ يَهْــتَزُّ مِنْهــا مُونِــقٌ مُربَــعُ
أَخْــضَرُ مــا دونَ الــورى نــاضِرٌ وَفاقِــعٌ أَصْفَــرُ أو أَنصَــعُ
فيــهِ أَباريــقٌ وَقُدْحانُــهُ يَــذُبُّ عَنْهــا الرّجُــلُ الأَصْلَــعُ
يَــذُبُّ عَنْهــا ابْــنُ أَبي طالِــبٍ ذَبّــاً كجرْبــا إِبِــلٍ شُرَّعُ
وَالعِطْــرُ وَالرَّيْحــانُ أَنْواعُــهُ ذاك وقــد هَبَّــتْ بِــهِ زَعْــزَعُ
ريــحٌ مِــنَ الجَنَّــةِ مَأْمــورَةٌ ذاهبــةٌ لَيْــسَ لَهــا مرجــعُ
إِذا دَنَــوْا مِنْــهُ لِــكَيْ يَشْرَبُــوا قــال لَهُــمْ تَبّــاً لَكُــمْ فَارْجِعُوا
دونَكُــمُ فَالْتَمِســوا مَنْهَــلاً يُرْوِيكُــمْ أَوْ مَطْمَعــاً يُشْــبِعُ
هَــذا لِمَــنْ والى بَــني أَحْمَــدٍ وَلَــمْ يَكُــنْ غَيْرَهُــمْ يَتْبَــعُ
فَالفَــوْزُ للشّــارِبِ مِــنْ حَوْضِــهِ وَالوَيْــلُ وَالذُّلُّ لِمَــنْ يُمْنَــعُ
فَالنّــاسُ يَــوْمَ الحَــشْرِ راياتُهــم خَمْــسٌ فَمِنْهــا هالِــكٌ أَرْبَــعُ

"..." [إلى أن يقول]:

وَرايَــةٌ يقدمهــا حيــدرٌ ووجهُــه كالشّــمس إِذ تَطْلُــعُ
غَــداً يُــلاقي المُصْطَــفى حَيْــدَرٌ وَرايَــةُ الحَمْــدِ لَهُ تُرْفَــعُ
مَــوْلًى لَهُ الجَنَّــةُ مَأْمــورَةٌ وَالنّــارُ مِــنْ إِجْــلالِهِ تَفْــزَعُ
إِمــامُ صِــدْقٍ وَلَهُ شــيعَةٌ يُــرْوَوْا مِنَ الحَــوْضِ وَلَــمْ يُمنَعوا
بِذلــكَ جــاءَ الــوَحْيُ مِــنْ رَبِّنا يــا شــيعَةَ الحَــقِّ فَــلا تَجْزَعُوا
الحِمْــيريُّ مادِحُكُــمْ لَــمْ يَــزَلْ وَلَــوْ يُقطَــعُ إِصْبَــعٌ إِصْبَــعُ
وَبَعْدَهــا صَلُّــوا عَلى المُصْطَــفى وَصِنْــوِهِ حَيْــدَرَةَ الأَصْلَــعُ

حكاية القصيدة العينيّة، وشُرّاحها

قال العلّامة المجلسيّ في (بحار الأنوار) ج١١/ ١٥٠: وجدتُ في بعض تأليفات أصحابنا أنّه روى بإسناده عن سهل بن ذبيان، قال: دخلتُ على الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام في بعض الأيّام، قبل أن يدخل عليه أحد من النّاس، فقال لي: مرحباً بك يا ابن ذبيان، السّاعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا. فقلتُ: لماذا يا ابنَ رسولِ الله؟ فقال: لمنامٍ رأيتُه البارحة، وقد أزعجني وأرّقني. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى. فقال: يا ابن ذبيان، رأيتُ كأنّي قد نُصِب لي سلّم فيه مائة مرقاة فصعدتُ إلى أعلاه. فقلت: يا مولاي، أُهنّيك بطول العمر وربّما تعيش مائة سنة. فقال عليه السّلام: ما شاء الله كان. ثمّ قال: يا ابن ذبيان، فلمّا صعدت إلى أعلى السّلّم رأيتُ كأنّي دخلتُ في قبّة خضراء يُرى ظاهرها من باطنها، ورأيتُ جدّي رسولَ الله جالساً وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النّور من وجههما، ورأيتُ امرأةً بهيّة الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيّ الخلقة جالساً عنده، ورأيتُ رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ:

لِأُمِّ عَمْرٍو بِاللِّوى مَرْبَعُ

فلمّا رآني النّبيّ قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا عليّ بن موسى الرّضا، سلِّم على أبيك عليّ. فسلّمت عليه، ثمّ قال لي: سلِّم على أمّك فاطمة الزّهراء عليها السّلام.

فسلّمتُ عليها، فقال لي: سلِّم على أبويك الحسن والحسين. فسلّمت عليهما، ثمّ قال لي: وسلِّم على شاعرنا ومادحنا في دار الدّنيا السّيّد إسماعيل الحِمْيَريّ. فسلّمت عليه وجلستُ، فالتفتَ النّبيّ (إلى) السّيّد إسماعيل وقال له: عد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة، فأنشد يقول: لِأُمِّ عَمْرٍو بِاللِّوى مَرْبَعُ

فبكى النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فلمّا بلغ إلى قوله:

وَرايَةٌ قائِدُها وَجْهُهُ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إذا تَطْلُعُ

بكى النّبيّ وفاطمة ومَن معه.

[ورد الشّطر الأوّل في بعض النُّسخ هكذا: وَرايَةٌ يقدمها حيدرٌ]

ولمّا بلغ إلى قوله:

قالوا لَهُ لَوْ شِئْتَ أَعْلَمْتَنا إلى مَنِ الغايَةُ وَالمَفْزَعُ

رفع النّبيّ صلّى الله عليه وآله يديه وقال: إلهي أنت الشّاهد عليّ وعليهم إنّي أعلمتهم: أنّ الغاية والمَفزَع عليُّ بن أبي طالب. وأشار بيده إليه وهو جالس بين يديه.

قال عليّ بن موسى الرّضا: فلمّا فرغ السّيّد إسماعيل الحِمْيَرِيّ من إنشاد القصيدة، التفت النّبيّ إليّ، وقال لي: يا عليّ بن موسى، احفظ هذه القصيدة ومُر شيعتنا بحفظها، وأعلمهم: إنّ مَن حفظها وأدمن قراءتها ضمنتُ له الجنّة على الله تعالى.

قال الرّضا: ولم يزل يكرّرها عليّ حتّى حفظتُها منه، والقصيدة هذه، ثمّ ذكرها برمّتها.

**

قال الأميني في (الغدير): «هذا المنام ذكره القاضي الشّهيد المرعشيّ في (مجالس المؤمنين) ص ٤٣٦ نقلاً عن (رجال الكشّيّ) ولم يوجد في المطبوع منه، ولعلّ القاضي وقف على أصل النّسخة الكاملة ووجده فيه، ونقله الشّيخ أبو عليّ في رجاله (منتهى المقال) ص١٤٣عن (عيون الأخبار) لشيخنا الصّدوق، وتبعه الشّيخ المعاصر في (تنقيح المقال) ١ ص ٥٩، والسّيّد الأمين في (أعيان الشّيعة) ١٣ ص ١٧٠، ولم نجده في نسَخ العيون المخطوطة والمطبوعة.

ورواه شيخنا المولى محمّد قاسم الهزّار جريبي في شرح القصيدة، والسّيّد الزّنوزي في الرّوضة الأولى في كتابه الضّخم الفخم (رياض الجنّة). والسّيّد محمّد مهدي في آخر كتابه (رياض المصائب).

شرّاح القصيدة

شرح هذه العينيّة جمعٌ من أعلام الطّائفة، منهم:

١- الشّيخ حسين بن جمال الدّين الخوانساريّ المتوفّى ١٠٩٩ للهجرة.

٢- ميرزا عليّ خان الكلبايكانيّ تلميذ العلّامة المجلسيّ.

٣- المولى محمّد قاسم الهزّار جريبي المتوفّى بعد سنة ١١١٢ للهجرة، وقد صنّف فيها كتابه (التّحفة الأحمدية)، يوجد هذا الشّرح في النّجف الأشرف.

٤- بهاء الدّين محمّد بن تاج الدّين الحسن الأصبهانيّ الشّهير بالفاضل الهنديّ، المولود ١٠٦٢ والمتوفّى ١١٣٥ للهجرة.

٥- الحاج المولى محمّد حسين القزوينيّ المتوفّى في القرن الثّاني عشر.

٦- الحاج المولى صالح بن محمّد البرغانيّ.

٧- الحاج ميرزا محمّد رضا القراجة داغي التّبريزيّ، فرغ منه سنة ١٢٨٩ للهجرة، وطبع في تبريز سنة ١٣٠١ للهجرة.

٨- السّيّد محمّد عباس بن السّيّد عليّ أكبر الموسوي المتوفّى ١٣٠٦ للهجرة، أحد شعراء الغدير في القرن الرّابع عشر "..".

٩- الحاج المولى حسن بن الحاج محمّد إبراهيم بن الحاج محتشم الأردكانيّ، المتوفّى ١٣١٥ للهجرة.

١٠- الشّيخ اليزديّ الحائريّ، المتوفّى ١٣٢٠ للهجرة.

١١ - ميرزا (فضل علي) بن المولى عبد الكريم الأرواني التّبريزيّ المتوفّى سنة نيّفٍ و ١٣٣٠ للهجرة، مؤلّف (حدائق العارفين).

١٢ - الشّيخ عليّ بن عليّ رضا الخوئيّ، المتوفّى ١٣٥٠ للهجرة.

١٣ - السّيّد أنور حسين الهنديّ، المتوفّى ١٣٥٠ للهجرة.

١٤ - السّيّد عليّ أكبر بن السّيّد رضى الرّضويّ القمّيّ المولود سنة ١٣١٧ للهجرة.

١٥ - الحاج المولى عليّ التّبريزيّ مؤلّف (وقائع الأيّام) المطبوع.

• وخمَّسها جمعٌ من العلماء والأدباء، منهم: شيخنا الحرّ العامليّ صاحب (الوسائل) وحفيده الشّيخ عبد الغنيّ العامليّ نزيل البصرة والمتوفّى بها، ومطلع تخميسه:

جوىً به كأسُ الأسى أجرعُ صرفاً وأجفاني حياً تدمعُ
فاسمعْ حديثاً بالأسى مسمع لأمّ عمرو باللّوى مربعُ

• ومنهم: الشّيخ حسن بن مجلي الخطّي وأوّل تخميسه:

لا تُنكروا إنْ جيرتي أزمعوا هجراً وحبلُ الوصل قد قطّعوا
كم دمنة خاوية تجزعُ لأُمّ عمرٍو...

• ومنهم: سيّدنا السّيّد عليّ النّقيّ النّقويّ الهنديّ ".." ومستهلّ تخميسه:

أتنطوي فوق الأسى الأضلعُ صبراً وترقأ منّيَ الأدمعُ؟!
وذاك حيث الظّعن قد أزمعوا لأُمِّ عمرٍو...

إصدارات عربية

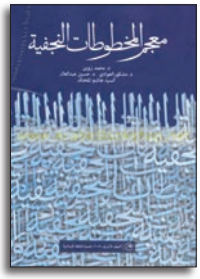

الكتاب: معجم المخطوطات النّجفيّة

إعداد: د. محمّد زوين، وآخرون

النّاشر: «مركز دراسات جامعة الكوفة»، النّجف الأشرف ٢٠١١م

أعدّ «مركز دراسات جامعة الكوفة» معجماً للمخطوطات الّتي أثرت مكتبات النّجف الأشرف، بهدف الاهتمام بالتّراث الحافل بأصناف العلوم، حيث يستفيد الباحثون والمحقّقون من العلماء وذوي الخبرة لاختيار المخطوطات وانتخابها، أو العثور على ضالّتهم منها، خدمةً للتّحقيق العلميّ.

وأشار معدّو الكتاب إلى أنّ هذا المعجم شمل ما يربو على ١٤٥٠٠ مخطوطة، جُمعت من مكتبات ومؤسّسات النّجف الأشرف العلميّة، ومن العتبات المقدّسة، من عصور مختلفة.

(نقلاً عن مجلة تراثنا)

الكتاب: موسوعة علماء الشّيعة في لبنان

المؤلّف: محمّد حسين مروّة

النّاشر: «دار الولاء»، بيروت ٢٠١٤م

صدر حديثاً عن «دار الولاء» كتاب للباحث اللّبنانيّ محمّد حسين مروّة تحت عنوان: «موسوعة علماء الشّيعة»، وهي تؤرّخ لسيرتهم الذّاتيّة والعلميّة من بدايات القرن الخامس إلى الرّابع عشر الهجريّ.

قدّم للكتاب الباحث الإسلاميّ الشّيخ علي خازم، مبيّناً قصّة الكتاب وأهمّيّته المعرفيّة في رفد التّاريخ العلميّ الدّينيّ لمنطقة جبل عامل.

الكتاب: موسوعة أدب الولاء في مدح ورثاء السّادة النّجباء (٣ أجزاء)

إعداد: الشّيخ محمّد البرهاني

النّاشر: «دار البرهان»، بغداد ٢٠٠٩م

تضمّ «موسوعة أدب الولاء في مدح ورثاء السّادة النّجباء» بين دفّتيها ما أمكن جمعه من أشعار في مدح ورثاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وقد صُنّفت القصائد فيها حسب القوافي، كلّ قافية في مجلّد أو أكثر، كلّ مجلّد معلّم بقافيته؛ فالأوّل في قافية (الألف)، والثّاني في قافية (الباء)، والثّالث في قافية (الرّاء)، دلالة على ما يحتويه الجزء من أشعار بقافيته. وقد ذُكرت فيها القصائد برمّتها دون حذف منها، وقد عُنيت الأشعار بشرح غرائب مفرداتها، وتحريك الكلمات، وترجمة الشّعراء، وزُوِّدت بفهرسة موضوعيّة.

(نقلاً عن مجلة تراثنا)

الكتاب: عقود حياتي

المؤلّف: آية الله الشّيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله

تحقيق: أمير كاشف الغطاء

النّاشر: «مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامّة»، النّجف الأشرف ٢٠١٢م

يتضمّن هذا الكتاب ترجمة آية الله الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله لنفسه، وهو من كبار مراجع التّقليد وذوي الزّعامة للطّائفة الشّيعيّة الإماميّة.

رتّب الكتاب على عدد عقود حياته، من العقد الأوّل إلى العقد الثّامن، ليكرّس فيها تاريخ حياته وذكرياته الّتي تحكي عن نبوغه العلميّ وطول باعه في العلوم والفنون، فهو الفقيه والأصوليّ، والفيلسوف الأديب – في الأدب العربيّ والفارسيّ – والشّاعر الأريب، حيث ترك في كتابه هذا آثار بصماته العلميّة والأدبيّة وذكرياته التّاريخيّة من رحلات ومراسلات مع كبار العلماء والشّخصيّات والملوك، وما قدّمه من خلالها لإحياء الشّريعة، وتبليغ الدّين الحنيف، فهو الشّخصيّة العلميّة الفذّة، والرّحّالة المتبصّر الّذي يتعايش بتواضعه وخُلُقه مع جميع الظّروف والطّبقات الاجتماعيّة.

(نقلاً عن مجلة تراثنا)

الكتاب: «المساعدة الخارجية اليابانية لأفريقيا» Japan's Foreign Aid to Africa

المؤلّف: بيدرو رابوزو

النّاشر: «ROUTLEDGE»، لندن ٢٠١٤م

من المواضيع المطروحة كثيراً في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين على الصعيد الجغرافي السياسي العالمي مسألة توسّع الحضور الصيني في القارّة الأفريقية التي يطلقون عليها توصيف «السوداء»، للدلالة على المنطقة الواقعة جنوب الصحراء وتمييزها بالوقت نفسه عن بلدان شمالي أفريقيا العربية.

يتناول الكتاب أسئلة كثيرة أهمها حول اهتمام اليابان بالقارّة الأفريقية، وهل هذه الدولة الآسيوية الصناعية الكبرى لم تولِ، أو لا تُولي، أي اهتمام بهذه القارّة التي تتّفق الآراء كلّها تقريباً على أنه سيكون لها دورها وكلمتها في مستقبل العالم الذي نعيش فيه.

ويدرس المؤلف في هذا العمل بشكل عام السياسة الخارجية اليابانية حيال القارّة الإفريقية، والمساعدة اليابانية لبلدان مثل أنغولا والموزمبيق، المستعمرتَين البرتغاليتَين السابقتَين، في إطار «مؤتمر طوكيو الدولي حول التنمية الأفريقية»، كما يدلّ العنوان الفرعي للكتاب.

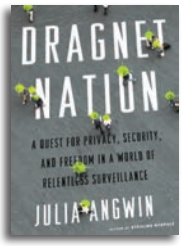

الكتاب: «أمّة قيد التّفتيش» Dragnet Nation

المؤلّف: جوليا أنغوين

النّاشر: «Times Books»، نيويورك ٢٠١٤م

توثّق جوليا أنغوين -المراسلة السّابقة لصحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركيّة- في كتابها «أمّة قيد التّفتيش» للآليّة التي تتّبعها الشّركات الكبرى والحكومات من أجل جمع المعلومات الشّخصيّة الّتي يستعملها الأفراد على الإنترنت، وكيفيّة استخدامها، ومدى التّأثير السّيّئ لهذا الانتهاك على حياتهم.

تقول أنغوين: إنّ نظرة معمّقة لمعرفة مَن يراقبك، وما هي المعلومات الّتي من المتوقّع أن تُجمع عنك من خلال شبكة الإنترنت، ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، والبطاقات والهواتف الذّكيّة، وما هي الجهات أو الأشخاص الّذين يقومون بجمع هذه المعلومات، إنّ نظرة من هذه الزّاوية ستؤكّد لك تماماً أنّك قيد التّفتيش الإلكترونيّ باستمرار.

وتخلص أنغوين إلى أنّ الاقتصاد العولميّ بنسخته الرّقميّة أصبح بحاجة ماسّة إلى تشريعات تحمي الخصوصيّة، وقادرة على كبح جماح تجاوزات قرصنة المعلومات.

الكتاب: «خلل في التّوازن: الصّين والولايات المتّحدة في حالة تبعيّة متبادلة» (Unbalanced)

المؤلّف: ستيفن رووش

النّاشر: «جامعة يال»، ٢٠١٤م

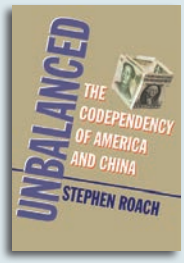

يدرس أستاذ العلاقات الدّوليّة في «جامعة يال» الأميركيّة، ستيفن رووش، في كتابه الأخير، العلاقات الاقتصاديّة الأميركيّة - الصّينيّة وآفاق تطوّرها، وذلك من منظور: تحديد أعراض حالة الهشاشة الّتي تعاني منها حاليّاً، والفرص المستقبليّة، الّتي تتضمّنها العلاقات الاقتصاديّة الحاليّة بين البلدَين.

ويستخدم سيفن رووش، في توصيفه العلاقات بين الصّين والولايات المتّحدة، تعبيراً من قاموس علم النّفس: «التّبعيّة المتبادلة» أو«الإدمان المتبادل»، والّذي يدلّ على خَللٍ في العلاقة استُخدم غالباً في مجال الصّلات بين متعاطي الكحول وأهله وأصدقائه، حيث يقول: «إنّ العلاقة بين اقتصاد الصّين والاقتصاد الأميركيّ تُبدي مثل تلك الأعراض - التّبعيّة المتبادلة - وليس على مستوى تبادل السّلع فحسب، ولكن أيضاً في مجال تبادل رأس المال الماليّ. هذان الاقتصادان الكبيران النّشطان هما، بالوقت نفسه، فريسة توجّهات غير متناظرة وغير مستقرّة. وأصبحا فقيرَين من حيث ما يطلبه كلّ منهما من الآخَر».

«هدى القرآن»

العدد (١٣)

صدر عن «جمعيّة القرآن الكريم» في بيروت العدد الجديد من مجلّة «هدى القرآن»، وهي تُعنى بالثّقافة القرآنيّة. وممّا نقرأه في هذا العدد:

- كلمة الإمام الخامنئيّ: نعمة تنامي حبّ القرآن والارتباط به في مجتمعنا.
- التّفسير والبيان: المساواة والتّعارف والتّقوى، أصول قرآنيّة.
- علوم قرآنيّة: ظهور القراءات.
- قصص قرآنيّة: قصّة النّبيّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام في القرآن والرّوايات.
- الأخلاق في القرآن: علاقة العمل بالأخلاق.
- حفظ القرآن: التّحذير من الوقوع في أخطاء أثناء قراءة القرآن الكريم، وحفظه.
- أشهر القرّاء المبدعين: القارىء الشّيخ أبو العينين الشّعيشع.
- مقابلة العدد: مقابلة مع القارئ الشّيخ نصر السّعيد محمّد أبو الجلاجل.
- يوم غدير خمّ، يوم العيد الأكبر.

وبضميمة العدد الجديد، صدر أيضاً عن «جمعيّة القرآن الكريم»، العدد الخامس عشر من مجلّة «نافذة من السّماء»، وهي مجلّة مصوّرة للأحداث، تتضمّن مواضيع قرآنيّة وتربويّة قيّمة، بلغةٍ ميسّرة ومحبّبة عند الأطفال والنّاشئة.

«تحوّلات مشرقيّة»

العدد (٤)

صدر العدد الجديد من الفصليّة الفكريّة «تحوّلات مشرقيّة»، وهي مجلّة تُعنى بشؤون الحضارة المشرقيّة في العالَمَين العربيّ والإسلاميّ.

تضمّن هذا العدد طائفة من الدّراسات والأبحاث الفكريّة والفلسفيّة والأدبيّة، نذكر منها:

- «العرب والغرب: العلاقة المأزومة» للباحث الأكاديميّ عاطف عطيّة.
- «فلسفة العلم بما هي مقولة إيديولوجيّة» للباحث محمود حيدر.
- «استمرار ضياع الهويّة الوطنيّة والقوميّة» للكاتب د. وليد زيتوني.

وفي الملفّ تحت عنوان: «الأدب المقاوم: الكلمة والفعل»، شارك عدد من الأدباء والشّعراء بنصوص متنوّعة في الشّعر، والنّقد، والقصّة القصيرة، والمقالة.

(نقلاً عن مركز دلتا)

«تراثنا»

العدد (١١٣-١١٤)

صدر العدد المزدوج الجديد من مجلّة «تراثنا»، وهي نشرة فصليّة تصدرها «مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام لإحياء التّراث».

كلمة العدد جاءت تحت عنوان «المحتدم الفكريّ والنّيل من المقدّسات» بقلم هيئة التّحرير، ومن المواضيع الّتي وردت في هذا العدد:

- **«(مزار) المفيد بين نسختَي الكبير والصّغير منه» للسّيّد حسن الموسويّ البروجرديّ.**
- **«الذّكر المحفوظ: قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن وما رُوي في تحريفه» للسّيّد عليّ الشّهرستانيّ.**
- **«دراسة في سند الزّيارة الجامعة» بقلم حميد ستودة الخراسانيّ.**
- **«الغدير بين الأدب والتّأريخ» للسّيّد محمّد عليّ راضي الحكيم.**
- وتحت عنوان «من ذخائر التّراث»، نقرأ (شرح القصيدة العينيّة للسّيّد الحِمْيَريّ) للملّا حبيب الله الكاشانيّ، تحقيق الشّيخ فارس حسّون كريم.
- وفي باب «من أنباء التّراث»، ملخّصات لِكُتب متقدّمة صدرت محقّقة، وأخرى صدرت حديثاً.

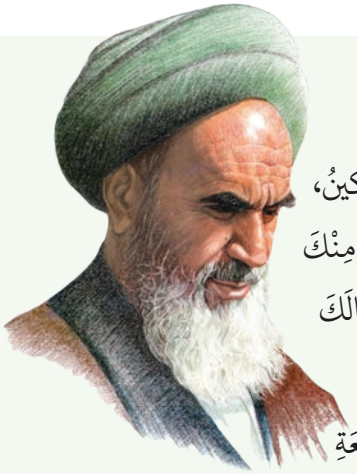

لا تتباهَ بقربك من اللّه

أَيُّها الأَخُ، كُنْ حَذِراً تِجاهَ مَكائِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يَدَعَكَ، أَيُّها المِسْكينُ، تُؤَدّي عَمَلاً واحِداً بِإِخْلاصٍ؛ فَحَتّى هَذِهِ الأَعْمالُ غَيْرُ الخالِصَةِ الّتي تَقَبَّلَها اللهُ تَعالى مِنْكَ بِفَضْلِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطانَ لَنْ يَدَعَكَ تَصِلُ بِها إِلى الهَدَفِ، وهو سيَعْمَلُ عَمَلاً تُحْبِطُ بِهِ أَعْمالَكَ كُلَّها، وَتَخْسَرُ حَتّى هَذا النَّفْعَ بِسَبَبِ ".." العُجْبِ وَالتَّدَلُّلِ في غَيْرِ مَوْقِعِهِ. "..

أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ بِهَذِهِ الأَعْمالِ المُتَفَسِّخَةِ المُتَعَفِّنَةِ الهَزيلَةِ، المَمْزوجَةِ بِالرِّياءِ وَطَلَبِ السُّمْعَةِ وَأَلْفِ مُصيبَةٍ أُخْرى، الّتي تَحولُ دونَ قَبولِ العِباداتِ كُلِّها، تَظُنُّ أَنَّكَ بِها تَسْتَحِقُّ الأَجْرَ مِنَ الحَقِّ تَعالى، أَوْ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ بِها مِنَ المُحِبّينَ وَالمَحْبوبينَ. أَيُّها المِسْكينُ الجاهِلُ بِأَحْوالِ المُحِبّينَ! يا سَيِّءَ الحَظِّ الّذي لَمْ يَطَّلِعْ عَلى قُلوبِ المُحِبّينَ، وَعَلى لَهَبِ شَوْقِها تِجاهَ الحَقِّ، سُبْحانَهُ. أَيُّها المِسْكينُ الغافِلُ عَنْ حُرْقَةِ المُخْلِصينَ وَنورِ أَعْمالِهِمْ! أَوَ تَظُنُّ أَنَّ أَعْمالَهُمْ أَيْضاً مِثْلُ أَعْمالي وَأَعْمالِكَ؟ أَوَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ ميزَةَ صَلاةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام، عَنْ صَلاتِنا، أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يَمُدُّ «الضّالّينَ» أَكْثَرَ، أَوْ أَنَّ قِراءَتَهُ أَصَحُّ، أَوْ أَنَّ سُجودَهُ أَطْوَلُ، وَأَذْكارَهُ وَأَوْرادَهُ أَكْثَرُ؟ أَوْ أَنَّ ميزَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ العَظيمِ في أَنَّهُ كانَ يُصَلّي عِدَّةَ مِئاتٍ مِنَ الرَّكَعاتِ لَيْلِيّاً؟ أَوَ تَظُنُّ أَنَّ مُناجاةَ سَيِّدِ السّاجِدينَ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام هِيَ مِثْلُ مُناجاتي وَمُناجاتُكَ؟ وَأَنَّهُ كانَ يَتَحَرَّقُ وَيَتَضَرَّعُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ مِنْ أَجْلِ الحورِ العينِ وَالكَمَّثْرى [أي الإجّاص] وَالرُّمّانِ مِنْ نِعَمِ الجَنَّةِ؟

أُقسِمُ بِهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، لَوْ أَنَّ المُحِبّينَ كانَ بَعْضُهُمْ ظَهيراً لِلبَعْضِ الآخَرِ، وَأَرادوا أَنْ يَتَفَوَّهُوا بِكَلِمَةِ (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ) مَرَّةً واحِدَةً بِمِثْلِ ما كانَ يَقولُها أَميرُ المُؤْمِنينَ عليه السلام، لَما اسْتَطاعُوا. فَكَمْ أَكونُ تَعيساً وَشَقِيّاً أَنْ لا أَكونَ عَلى خُطى عَلِيٍّ عليه السلام، وَأَنا مِنَ العارِفينَ لِمَقامِ وِلايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ؟

أُقْسِمُ بِمَقامِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام، لَوْ أَنَّ المَلائِكَةَ المُقَرَّبينَ وَالأَنْبِياءَ المُرْسَلينَ ما عَدا الرَّسولَ الخاتَمَ، الّذي يَكونُ مَوْلى عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ – أَرادوا أَنْ يُكَبِّروا مَرَّةً واحِدَةً، تَكْبيراً عَلى غِرارِ ما كانَ يُكَبِّرُ عَلِيٌّ عليه السلام، لَما اسْتَطاعُوا. وَأَمّا الوُقوفُ عَلى قُلوبِهِمْ فَلا يَعْرِفُ أَحَدٌ شَيْئاً إِلّا حَمَلَةُ تِلْكَ القُلوبِ وَأَصْحابُها!

فَيا أَيُّها العَزيزُ، لا تَتَباهَ بِقُرْبِكَ مِنَ اللهِ، وَلا تُبالِغْ في [ادّعاء] حُبِّكَ لَهُ، أَيُّها العارِفُ، أَيُّها الصُّوفِيُّ، أَيُّها الحَكيمُ، أَيُّها المُجاهِدُ، أَيُّها المُرْتاضُ، أَيُّها الفَقيهُ، أَيُّها المُؤْمِنُ، أَيُّها المُقَدَّسُ، أَيُّها المَساكينُ المُبْتَلَونَ، يا سَيِّئِي الحَظِّ المَغْلوبينَ بِمَكائِدِ النَّفْسِ وَهَواها، أَيُّها المَساكينُ المُبْتَلونَ بِالآمالِ وَالأَماني وَحُبِّ النَّفْسِ، كُلُّكُمْ مَساكينُ، كُلُّكُمْ بَعيدونَ فَراسِخَ عَنِ الإِخْلاصِ وَعِبادَةِ اللهِ، لا تُحْسِنُوا الظَّنَّ بِأَنْفُسِكُمْ إِلى هَذا الحَدِّ، [كُفّوا عن الغُنج والدّلال]. اسْأَلُوا قُلوبَكُمْ: هَلْ تَبْحَثُ عَنِ اللهِ، أَمْ تُريدُ ذاتَها؟ هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ وَتَطْلُبُ الواحِدَ أَمْ مُشْرِكَةٌ وَتَعْبُدُ اثْنَيْنِ؟ فَماذا يَعْني، إِذاً، كُلُّ هَذا العُجْبِ؟ مَاذا يَعْني، إِذاً، التَّعالي بِالعَمَلِ إِلى [هذا] الحَدِّ؟ وَهُوَ [أي العمل] إِذا صَحَّتْ جَميعُ أَجْزائِهِ وَشُروطِهِ وَخَلا مِنَ الرِّياءِ وَالشِّرْكِ وَالعُجْبِ وَباقي المُفْسِداتِ، فَهَدَفُهُ الوُصولُ إِلى إِشْباعِ شَهَواتِ البَطْنِ وَالفَرْجِ، فَما قيمَتُهُ كَيْ تَنْقُلَهُ المَلائِكَةُ؟ هَذِهِ الأَعْمالُ مِنَ القَبائِحِ وَالفَجائِعِ، وَيَنْبَغي لِلإِنْسانِ أَنْ يَخْجَلَ مِنْها وَيَسْتُرُها..

إِلَهي.. بِكَ نَعوذُ، نَحْنُ المَساكينَ، مِنْ شَرِّ الشَّياطينِ وَالنَّفْسِ الأَمّارَةِ بِالسُّوءِ، اللّهُمَّ فَاحْفَظْنا مِنْ مَكائِدِهِمْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.